كتاب

مناجاة البلغاء في مسا[illegible]

ترجمة [illegible]

كتابٌ في سرائره سرورٌ   مناجيه من الاحزان ناجِ
كراحٍ في زجاجٍ بل كروحٍ   سرت في جسم معتدل المزاجِ

طبع في بيروت بالمطبعة الادبية سنة ١٨٨٣

خلاصة مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي خلق الانسان . وميزه عن الحيوان . بالنطق والجنان . اما بعد فلا يخفى اهل الذكاء والفصاحة . وارباب النهى والبلاغة . ان العقلاء والحكماء كان دائمًا جلُّ دابهم اجتهادهم في مطالعة اخبار من سلف ومن عبر . وامثال من مضى ومن غبر . فيجنون من غررها درَّ الفوائد . ويكتسبون من دررها غرَّ الفرائد . لانهُ لا ريب بان في امثال المتقدمين عبرةً للمتاخرين . ووقاية للمعتبرين . فبناء عليهِ قد اوعز اليَّ من اشارتهُ حكمٌ وطاعته غنمٌ . وهو سلطان سلاطين هذا الزمان . وولي نعمتنا بلا امتنان . الجالس باليمن والافتخار . على اريكة السلطنة العثمانية الابدية القرار . بان احرر هذا الكتاب المستطاب . بعبارات لطيفة رائقة . واضمنهُ من مبتكرات الاداب ملحًا فائقة شائقة . فعاندني جمود القريحة الخامدة . وناصبني خمود الفطنة الجامدة . بيد انهُ قد جاء امرهُ الكريم مسهلاً لحزونها . ومذللاً لحرونها . فلهذا بادرت الى تسويد هذه الطروس . وابتدرت الى ابداع هذه العروس . فجاءت عارية من الحسن والجمال لكنها تستعير من انظاره الملوكية حلة البهاء والكمال . هذا وارجو المغفرة عما طغى بهِ القلم . وزلت بهِ القدم . متوسلاً للحق سبحانهُ بان يوفقني لختامه . ويغمرني بغزير الائه وانعامه . امين يا رب العالمين

كتاب
مسامرة تمر السكر والببغاء

قد روت ائمة النقل انهُ كان في نواحي صوف مدينة عظيمة سكانها على جانب عظيم من الثروة والغنى وكان حواليها كثير من المدن والبلدان وكان من اعيانها تاجر يدعى سعيدًا رزقه الله من العقل افضله ومن الغنى اجزله ولم يرزقه ولدًا فشق ذلك عليهِ وعلى اهله وكان كلما بلغه خبر وليٍّ يستجاب دعاؤهُ او معبد اشتهر بالعجائب والمعجزات اتاه وتضرع الى الله ليرزقه ولدًا صالحًا. فيومًا ما زار مدفن الاولياء واخذ يتضرع اليهم ليتوسلوا به عند الله فيرزقهُ مرادهُ فقبل الله دعاه وترأف عليهِ

وبعد ايام قليلة اتاه شيخ جليل عليهِ سمة الوقار. ولما اخبره سعيد بقصتهِ قال لهُ: يا سعيد ان لم يرزقك الله للان ولدًا فليس عندهُ امرٌ عسير فوزع من مالك الحلال الف دينار على ذوي الاعواز فترزق ولدًا ذكرًا تقر بهِ عينك فاقبل على هذا العمل ثم اغسل يديك واغشَ امراتك فان طاب اعتقادك يرزقك الله غلامًا ذكرًا تدعوهُ ساعدًا. فامن سعيد بما قاله الشيخ الموما اليه وفعل ما امره بهِ فعلقت منهُ زوجته. وبعد تسعة اشهر وعشرة ايام وضعت غلامًا ذكرًا فازداد فرح سعيد وسروره وتفاقم طربهُ وحبوره لا سيما حيث افاده المنجمون ان طالع هذا الغلام يكون سعيدًا مباركًا فدعاه حينئذٍ ابوه ساعدًا امتثالاً لما امره بهِ الشيخ المقدم ذكرهُ

فلما بلغ الغلام السنة الرابعة من عمره دفعوه الى الاستاذ ليرضعهُ من ثدي المعارف والعلوم فنجح فيها بحوله تعالى وكان كلما تقدم في العمر ازداد جمالاً وبهاء ونجاحًا وفلاحًا فلهذا اضحى محبوبًا من الجميع فنيطت بهِ امال ابيهِ وامهِ حتى اصبح لها جنة تفرج عنهما كل حزن وكدر. ولما بلغ السنة الخامسة عشرة من سنهِ اخذ يتعاطى التجارة في سائر الاصناف وكان منذ نعومة اظفارهِ

الى ان بلغ سن العشرين مجتنباً الصغائر والكبائر من المحرمات مجتهداً في اكتساب المعالي والكمالات حتى صار قدوة المزايا الحميدة ومرآة الفضائل الفريدة . فشرع حينئذٍ يهتم في امر الزواج ويبحث عن حليلة تليق بهِ فادتهُ اخرة البحث الى بكرٍ تدعى قمر السكّر فريدة الحسن والجمال والبهاء والكمال رشيقة القد اسيلة الخد بينة الكحل مكحولة المقل مفلجة الثغر نحيفة الخصر مخضبة الكفين رقيقة الشفتين حلوة الابتسام مهفهفة القوام نجلاء العين مجدولة الساعدين تختال فيخال انها ملكة ربانية وترفل بثوب العز كانها عذراء سماوية واين منها العذارى المارونية والحور العين المارونية . فلما نظرها ساعد اعجبهُ جمالها وفتن ببهائها وكمالها فخطبها اليهِ واقام زفافاً حافلاً ولما اتى بها الي بيتهِ صار حبهُ يزداد نحوها يوماً فيوماً ولم يكن من قرينتهِ نحوه اقل منهُ ذلك حتى انهما تعابدا عشقاً وهياماً ولم يعد على ذكرهما شيء من حطام الدنيا بل اشتغل فوادهما بالغرام ولم يعد حاوياً سوى الهيام حتى ان ساعداً نسي اباهُ وامهُ وصرم حبالهُ عنهما وتعلق بزوجتهِ ولم يكن يفارقها لا ليلاً ولا نهاراً وترك التجارة ولم يعد يفكر بشيء سوى بوصال حليلتهِ البديعة الجمال

ولما كان سعيد يرى ابنهُ على هذه الحالة كان يسوءُهُ ذلك فيتضرع الى الله قائلاً : الهي قد استرزقت منك ولداً صالحاً تقرّ عيني بهِ يتعاطى التجارة في مدة شيخوختي فيريحني ويوفر اوقاتي للصفاء ولكن قد حكمت يا الهي بان يكون ولدي هذا علة حزني وشقائي فاهدهِ اللهمَّ الى الحق وانر عقلهُ وانقذهُ من هذه العادة التي نشبتهُ وتاول بهِ الى صفر الراحة والذل

فبينما كان يتضرع هكذا أُلهم ان يصنع وليمة فاخرة ويدعو اليها الآل والاصحاب ويتصح ابنهُ ساعداً بحضورهم ففعل ولما اجتمع المدعوون للوليمة نظر سعيد الى ابنهِ وقال لهُ حبيبي ان رباطات الحب المخلص وحنية الابوّة تلزمانني بان اسارع وانتشلك من غواية غويت فيها انظر يا بني ها ان اباك قد شاخ وقرب اجلهُ ومن ثم لم يعد لي مطمع في حطام هذه الدنيا سوى

بنجاحك وفلاحك اعلم يا بني انني منذ ما درجت من عشي لم اذق قط صفو الليال بل كنت اجد واسعى في طلب الرزق حتى اقتنيت ما يسرهُ لي العلي المنان من كرمهِ ولطفهِ وقد شق عليَّ الان ان اراك متناعساً متقاعساً مسرفاً مبذرّاً جنى اتعابي وكدي ومتعلقاً بقرينتك تعلقاً يأول بك الى الذل والهوان . يا بني ان كنت لا تدع معاشرة قرينتك وتقلع عن هذه العادة السيئة فلا يمكنني ان امنعك عنها غير انهُ لا يليق بشاب مثلك ان يفني ايامهُ بالتقصف والصفا مع زوجتهِ. ناشدتك الله ان ترجع عن غيك وارتدع عن لهوك واذعن لنصيحة اب شفوق . اكبح نفسك ولا تمل الى هواها ولا تطاوع شهواتها فان طاوعتها كبحت ورب نجاة منها الم تسمع ما حكي ان ثمانين صالحاً لم يصلحوا شريراً واحداً بل شرير واحد افسد ثمانين صالحاً . فقال لهُ ساعد وكيف كان ذلك

حكايـة

قال سعيد : زعموا انهُ كان في ناحية هرمز رجل يقال لهُ ناخود وكان لهُ غلام قبيح السيرة لانهُ لم يبلغ السنة الثانية عشرة من عمره حتى توغل في غيطان الفواحش والرذائل فاستوعب اهلهُ خجلاً وخزياً من افعاله القبيحة ولما كان ابوه ذات مرة متحيراً في امره اخبره احد اقربائهِ بانهُ يوجد في احدى القفار معبد فيهِ ثمانون ناسكاً منعكفون على الصلوة والعبادة واشار عليهِ بان يسجن ابنهُ ثمانين يوماً معهم ويعدهم بمال وافر ليقبلوه بينهم لعلهُ يستفيد من امثالهم الصالحة ويقلع عن عوائدهِ الوخيمة ويرسل لهُ الطعام فيعطى لهُ من الخارج فاستصوب ابو الغلام هذا الكلام وفعل كما أُشير عليهِ . فلما انقضت المدة المعينة اتوا الولد ليفتقدوه ويروا ما صار اليهِ امره ولما شرعوا يفحصون عنهُ وجدوه باقياً على ما كان عليهِ وقد اثر فسقهُ بالثمانين صالحاً فتوغلوا معهُ ببحر الفواحش والرذائل

فلما سمع ساعد هذا الكلام تاثر وانتصح وارتدع عن غيه فتقدم الى ابيهِ

واستغفره عما مضى فضمه ابوه اليه وقبل عارضيه . فرجع ساعد الى عادته القديمة متعاطيًا التجارة وضابطًا ادارة الاشغال المنوطة بابيه فاراحه ووفر اوقاته للانشراح ولم يكن يواصل زوجته الا بعد انقضاء النهار . فاعطاه ابوه حينئذ الف دينار ليتجر بها فيومًا ما حينما كان ذاهبًا في المدينة وجد رجلاً معهُ ذكر من الببغاء وكان الدلال يطنب بمدحه قائلاً انهُ فصيح اللسان حافظ القرآن ثمنهُ الف دينار وانهُ يدرك من اقتناه كمال السعد والدولة وكانت الناس تتقاطر اليه فلما سمع ساعد كلام الدلال تعجب واندهش فتقدم الى الببغاء ليراه فوجدهُ خاشعًا في قفصه ولا يغره بكلمة واحدة فتبسم عند ذلك صارخًا من هو ذاك الاحمق المسرف الذي يبذل ماله لاقتناء هذا الطائر لانهُ لا يجدي احدًا نفعًا فان كان فصيح اللسان فلا يفهم ما يقول وان كان حافظًا القرآن فلا تجدي محفوظاته نفعًا فمن شراهُ بالف دينار كان به ضرب من الجنون المطبق . فلما سمع الببغاء هذا الكلام تأثر منه وتحسرت وصرخ في الحال قائلاً يا ساعد نعم الرجل انت انك صدقت فيما نطقت غير انك لا تعرى عن الملام لانك اطلقت الكلام في هذا المقام لان ما قلتهُ يصدق على عموم الحيوانات والطيور واما انا فاستثنى من عدادهم لانني ذو حكمة وبصيرة متحلٍ بفضائل سامية ذو همة عالية اعرف بالغيب والاثار ولهذا اقول لك انك ستصادف حظًا وافرًا وسعدًا عظيمًا وقد اوقع الله حبك في فؤادي فوددت لو تقتنيني فانلك من الحظ والسعادة مبلغًا عظيمًا واعيش في دارك بظل الراحة وصفو البال . فاجابهُ ساعد ايها الطائر اللطيف ان قلبي قد مال معطفًا نحوك ووددت ان اقتنيك ولكن اذا بذلت الان الف دينار وهي راس مالي فماذا اصنع بعد ذلك . فاجاب الببغاء يا سيدي ان كلامك هذا قد زاد حبك في قلبي لان منشأه الفطنة والعقل الذي لا نقدر قيمتهُ لانهُ للانسان الغنى الذي لا يفنى فمن ساد بعقله فاز بكنوز لا تحصى ومن كان خاليًا من العقل فذاك هو المحتاج لان الانسان انسان وان لم يعرف الا طريقًا

واحدًا والحمار حمار وان كان آكافهُ من فضة او ذهب . ففنيتي ايها الشاب اللطيف هي انفع من الف دينار لانني سائيك بفوائد عظيمة تنيف قيمتها عن الف دينار فان كنت لا تعتقد بكلامي هذا جربهُ بالامتحان فتظهر لك الحقيقة لانهُ قيل بالامتحان يكرم المرء او يهان . فعند ذلك اشترى ساعد البغاء بشرط الخيار ليختبر امره واخذهُ الى بيتهِ ثم بعد ذلك تقدم اليهِ وقال لهُ مدني الان بنصيحتك لارى ما يكون منها . فاجابهُ البغاء يا سيدي انهُ بعد يومين ياتي من مدينة بابل كثير من التجار ليشتروا كمية وافرة من الحنطة فاشترِ الان قمحًا بالالف الدينار التي معك فيكون الربح اضعافًا . فوثق ساعد بكلام البغاء وذهب الى المدينة فاشترى كل ما كان فيها من الحنطة حتى انهُ لم يبقَ عند غيره حبة واحدة وبعد يومين تم ما اشار اليهِ البغاء فاتى تجار من بابل يطلبون الحنطة فلم يجدوها سوى باهراء ساعد فاشتروا ما كان عنده بخمسة الاف دينار وعادوا الى بلادهم فدفع ساعد الف دينار ثمن البغاء ورد الى ابيهِ الف دينار كان قد استقرضها منهُ وبقي معهُ ثلاثة الاف دينار جعلها راس مالهِ . فازداد حينئذ حبهُ نحو البغاء فسلمهُ الى قمر السكر وامرها برعايتهِ وكان لا يفعل شيئًا سوى بمشورتهِ لانهُ كان دائمًا مصيبًا برايهِ

فيومًا ما راى ساعد في يد الدلال بغاء انثى ثمنها دينار واحد فاشتراها وجعل اعتناقها عند البغاء العاقل حتى تسامره وكانت هذه البغاء جاهلة لا تعرف شيئًا ولم يشترها ساعد الا لمسامرة ذاك البغاء الذي كان في داره عصا الترحال وسبب غبطتهِ وسعادتهِ

فيومًا ما اتى ساعدًا البغاء العاقل وقال لهُ تهيأ للسفر فاني مرحلك الى ارضٍ بعيدة فتجني من سفرك هذا ربحًا عظيمًا وشرع يبين لهُ المنفعة التي ستنتج من سفرهِ فوقع ذلك لديهِ موقع الاستحسان وعزم على العمل بموجبهِ . فاخبر قمر السكر بما عنَّ لهُ وقال لها انهُ عن قريب يسافر الى بلد بعيدة فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام اعتراها حزن شديد واخذت تبكي وتنوح

حتى جرحت قلب ساعد فطفق عند ذلك يعزيها ويعدها بالرجوع قريبًا ويبين لها ان سفره ذو فائدة عظيمة لا يليق به ان يتقاعد عن نوالها لأنهُ لا يجمل بهم الرجال ان تلازم بيوتها دون انقطاع سيما في زمن الصبا . فاجابتهُ قمر السكر حبيبي اني لمتيقنة أنّ عزمك على السفر انما هو ناتج عن علو همتك ولكن الى من تتركني اذا رحلت وكيف استطيع صبرًا على فراقك ولم اتعود عليهِ قط لانك لم تكن تفارقني لحظة واحدة فكيف تكون حالتي بعد الفراق ويا لعظم حزني وتعاستي حال غيابك الذي سيفتت احشائي ويذيب مقلتي من الدموع السخينة . فاجابها ساعد لحقيق ان الفراق يورثكِ الغم الجسيم ولكن فانهُ يورثني من ذلك اضعافًا وانما لا يليق بي التهاون والتقاعس حتى لا تشمت بي اعدائي وتستقلني احبابي فان غبت عنكِ فاودعك فؤادي . وعن قريب اعود اليكِ فما احسن الوصل بعد الفراق ولكن لك مني وصية بموجبها يكون العمل وهو انهُ يجب عليك ان تحفظي هذين الطيرين وتبذلي لهما القليل والكثير حتى اعود من سفري هذا ثم انهُ لا تحيدي عن جادة الصدق بل الزمي محجة الصلاح وحافظي على الطهارة والنقاوة لانهما زينة المرء في الدنيا والاخرة واحرصي على لسانك والزمي قلة الكلام لان زينة النساء الصمت والاحتشام وقد قال الشاعر

الصمت زينٌ والسكوت سلامةٌ فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

واذا مضت سنة كاملة ولم اعد من سفري وتحركت فيك الشهوة النفسانية فاجتنبي مصاحبة اللئام لان من صاحب اللئيم صار لئيمًا ولكن اذا هويت شابًا جميل الصورة ذا حسب ونسب فمباح لك ذلك بشرط ان لا تقبلي على عمل بدون استشارة الببغاء العاقل . قال هذا وسلم كلٌّ منهما امرهُ لله فودعها ساعد وودع الاحباب والخلان وسافر فجددت قمر السكر البكاء والنحيب متاسفة متحسرة طالبة من الله عود زوجها باقرب وقت لتعود

لوصاله فلبثت على هذه الحالة اياماً عديدة متذكرة حبيبها وكانت تاتي الببغاء مراراً وتخبرهُ عما احاق بها من الم الفراق شعر

تمنيت الوصال يعود يوماً لاخبرهُ بما صنع الفراقُ

ثم انهُ مضت سنة كاملة وقمر السكر على هذه الحالة متحسرة ومتشوقة الى زوجها ولم تكن تخرج من بيتها مرة واحدة فيوماً ما بينما كانت جالسة في الشباك متذكرة زوجها كان بالقضاء والقدر ان نظرها امير جميل الصورة فافتتن ببهائها وشغف بجمالها . واما قمر السكر فكانها لم تزل لان بعد فراق زوجها لم يعد يلذ لها شيء

واما الامير فكان يزداد انشغافاً يوماً بعد يوم حتى نحل جسمهُ وصار اشبه بالخيال ولم يعد يسمع لهُ الا زفير ونحيب واضحى في عجزٍ عظيم ادركهُ به درجة الهلاك ولكن حيث كان يتعاطى بعض اشغال في المدينة عثر على عجوز خادعة محتالة تحتال على الحكيم والجاهل فاتاها واطلعها على سريرته ووعدها بمال جزيل اذا ما بلغ مرامهُ فتعهدت لهُ بذلك وقالت فليسكن منك البال لانك بابتداء الشهر القادم تنال مبتغاك ثم نهضت لساعتها وقصدت قمر السكر كغراب البين يطرق الابواب المخدومة من السعد والاقبال فلما رات العجوز قمر السكر وما هي عليهِ من البهاء الفائق تظاهرت بالبكاء والنحيب فقالت لها قمر السكر لِمَ البكا والنواح فلا غرو انك غير مبتلية مثلي بفراق حبيبك فمن شيمتي البكا والنواح واما انت فما هو سبب بكائك فلما سمعت العجوز هذا الكلام شرعت توقب قمر السكر وتبذر في فوادها زوان المكر والخداع لان ذلك داب العجوز التي اشتهر مكرها وخداعها وما احسن ما قالهُ الشاعر فيها

عجوز النحس ابليس يراها تعلمهُ الخديعة من سكوت

تقود بمكرها سبعين بغلاً اذا شردوا بخيط العنكبوت

فنظرت الى قمر السكر وقالت لها يا قرة العين اما هذا الحيف والجهالة

هل يليق بك انت المتوشحة بحلة الجمال المتنزهة عن نظير ان تلزمي الخلوة
وتعرضي عن مواصلة الخلان ومزاح الاقران مع انك تقاسين اشد الحزن
بفراق زوجك القاسي المتصلب الذي لم يبال بفراقك بل نسي خلوص
المودة والمواخاة فسافر واودعك فريسة التحسر والكمد ولا غرو انه وجد في
غربته من سلبت فؤاده فتعلق بها ولم يعد يهاوك العاتق على ذكر منه
وذلك بدليل عاقته في بلاد الغرباء وحيث انه قد نكث عهدك فما لك لا
تحلي بربحيه وتشفي غليل فؤادك بمصافاة من يروق لك من امراء هذه
المدينة الذين يهيمون بحبك اذا نظروك مرة واحدة فمنهم امير من جلة الامراء وهو
شاب جميل الصورة يمتاز بغنى لا يحصى وجمال لا يوصف ولا غرو انك
اذا نظرته مرة واحدة انشغفت بحبه ونسيت بعلك ذاك الخائن الذي
اعتاض عنك بغيرك في تلك الامصار وحيث قد اصبح زوجك عاشقاً فلماذا
لا تعشقين والعشق والله ليس بمحرم فاذا قصدت الان مصافاة ذاك الامير
الذي ذكرته لك فليس هذا بامر عسير لانه يود كثيراً ان يعاشرك ويواخيك
فاتركي هذه الحالة الشقية والزمي الصفا والانشراح معه كما هي عادة الغواني
الحسان ولا تبالي بزوجك الخائن المبغض الذي لم يبال بهجرك فان اذعنت
لنصيحتي المخلصة فتكوني قد انتقلت من الشقاء الى السعادة وان بقيت مصرّة
على غيك فيكون فيك جنون وستندمين على ما فاتك اذا ما عاد زوجك
من سفره واتضح لك جلياً فتور حبه نحوك ولكن لات حين ندم

فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام تحركت فيها الشهوة النفسانية ووقع
لديها قول العجوز موقع الاستحسان والقبول فصرحت لها بتمام رضاها بما تريده
فلما تيقنت العجوز بنوال مبتغاها قالت لها حبيبتي انه عند ما ينقضي النهار
توشحي بافخر الملابس والحلي وعند ما يدلهم الليل اذهبي الى الامير فان ظلام
الليل يظللك عن عين كل ناظر قالت هذا وانصرفت عنها ورجعت الى
سيدها حاملة هذه البشرى السعيدة

واما قمر السكر فقد شعرت بوقوع حب الامير في قلبها وقد قيل :
الاذن تعشق قبل العين احيانا . فلما ظل المساء تزينت وتبرقشت وتسربلت
بالملابس الثمينة وهمت بالتوجه الى حبيبها فحينئذٍ تذكرت ما اوصاها به
زوجها ساعد فقالت في نفسها ان استشرت البغاء العاقل وهو ذكر من
غير جنسي فلا يرق لحالي ولا غرو انهُ يميل الى زوجي فيحول بيني وبين
مرامي فالاجدر بي ان استشير البغاء الانثى فهي من جنسي ولا شك انها
تبيح لي ما استبيحهُ منها وذلك لا يغاير امر زوجي لان قولهُ استشيري البغاء
يطلق على كليهما فمن ثم اتت الانثى وحيتها بالسلام واطلعتها على سريرتها
واستباحت الذهاب الى حبيبها فلما سمعت البغاء كلامها اتقدت جذوة
غضبها واخذت توبخها وتقول الا تستحي ايتها الامراة من ارتكاب اثم كذا
فظيع اذ تخونين زوجك المحسن اليك ونكثت عهوده هل ظهر منهُ ما يوجب
الخيانة هل لا تخشي سخطهُ عليك اذا حضر وعلم ما انطوى عليهِ امرك فارجعي
عن غيك والا فساعلم زوجك بسوء تصرفك فتكوني عبرةً لمن يعتبر فاوغر
هذا الكلام صدر قمر السكر فاشتد غيظها وكمنت الحقد والضغينة للبغاء
وقالت لها كيف تتجاسرين مع دناءة شانك ان تجيبيني بمثل هذا الكلام
مع ان ساعدًا اباح لي هوى شاب جميل ذي حسب ونسب فلافعلن بك
واصنعن والحال اخذتها بيدها وطرحتها في الارض فماتت وحينئذٍ صارت
قمر السكر تبكي وتقول اسفي على البغاء لقد افترسها السنور فلما سمع البغاء
العاقل هذا الكلام علم بما اصاب رفيقتهُ من النكبة والبلاء لانهُ كان عارفًا
بالغيب وبعد ذلك خرجت قمر السكر الى عرصة الدار حزينة غاضبة وقضت
ليلها على الحضيض ولما ظل الليل التالي دعاها الامير الى بيتهِ وحينئذ ندمت
على ما فعلت من استشارة البغاء الجاهلة وتذكرت وصية زوجها بوجوب
استشارة البغاء العاقل فقالت في نفسها هلم بي اليهِ فان حذا حذوَ رفيقتهِ
فكمثلها اموتًا يموت قالت هذا وتقدمت اليهِ وباحت لهُ بسرها واستباحت الوصال

مع خلها فلما سمع البغا كلامها اطرق خاشعاً وفكر في وجه الحيلة بتصرفهِ في هذه المشكل ففطن وقال في نفسهِ ان نصحتها هلكت لا محالة وان طاوعتها ارتكبت خيانة عظيمة مأواها السعير. ففكر في هذا ونظر الى قمر السكر وقال لها يا روضة الحسن والبها كيف يليق بكِ ان تستتري هذا البها الفائق وتستهدفي للحزن والكدر في حجرتك فالاجدر بك ان تسارعي وتقبلي على ما لك اخيرًا فهذا هو سديد الراي عندي وقد شق عليّ جدًّا ما فاهت به تلك الحمقاء التعيسة ولما كنت اعهد من حماقتها وجهلها اجتنبت مصاحبتها لانها لم تكن تدرك مايقاسيهِ العاشقان من مر الهجر فلهذا تكلمت بما تكلمت وحل بها ما استحقته بسوء تصرفها واما انا فكان يسوءني لزومك الخلوة وفكرت كثيرًا بحالتك الشقية وكثيرًا ما خطر ببالي ردعك عما انت عليهِ لكن خشيت الفضول ولذلك لبثت صامتاً مترقباً الفرصة المناسبة فعليّ الان انتهازها لاني اود ما يأول الى انشراحك وجلاء همك وعليّ ان اعلمك طريقة العشق لكي يزداد اهلهُ بحبك هياماً ولكِ مني نصائح اخرى اقولها لك في الليلة الاتية وما فتيء البغاء يخاطبها بمثل هذا الكلام حتى ضجرت قمر السكر فحينئذٍ صرفها وقال لها اذهبي بسلام الى حبيبك و يسر الله لك رغداً هنيئاً فخرجت قمر السكر ساعتها قاصدة باب الصفا والسرور ولكن لم تخرج من الباب الا وقد بلج الصباح واضا بنوره ولاح فعادت حينئذٍ خائبة منتظرة بفروغ صبر انقضاء ذاك النهار فلما ظلّ المساء تزينت وتخضبت واتت قفص البغاء وقالت يا من سدل على سحبان ثوب النسيان قد وعدتني ليلة امس بنصائح واتيتك الان لينجز حرٌّ ما وعد. فاجابها البغاء يا قمر السكر انني افتتح كلامي بثلاث مقدمات يجب عليك حفظها. وبدونها يعود سعيك باطلاً وبعد ذلك اعلمك ما يجب ان تفعليهِ. اولاً يجب ان ترتبطي بحب زوجك ساعد ارتباطاً متيناً وتحافظي على حبهِ ووداده ولكن هذا لا ينافي مواصلة الامير حبيبك فلا تلبثي في حجرتك بلا انس ولا انيس لانك لم تحصلي على

هذا الحب الا باعظم التقادير وهذه سعادة حظوت بها بدون مشقة فلا توجلي صفو يومك للغد. ثانيًا بما انني عالم بالغيب فاحول ل ساعد معلومة لديّ فانهُ على ما يرغب ويحب لان لهُ بكل ناد خليلاً يروي غليلهُ ولئن كان مرتبطًا بحبك اشد ارتباط فانهُ لا يجتنب مصافاة الخلان ومغازلة الاقران ولا يوجل رغد يومهِ للغد واما انتِ فاغتنمي ايضًا ما يتيسر لكِ من السرور لانهُ لا يليق بك ان تكوني خالية من العشق لان هذه شيمة من قلّ عقلهُ ونزح خيرهُ وفضلهُ وقد قال الشاعر

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى   ولا خير فيمن لا يحبُّ ويعشقُ

ثالثًا انهُ لحقيق بان ساعد اقد اشتراني ونقد ثمني لكن فضلك اعم من فضلهِ اذ بين يديك عشت زمنًا طويلاً ومن يدك اقتبلت النعم لانك كنت تقدمين لي كل ما يعوزني وسهرت عليّ بكل نشاط فمن ثم نعمتك جزيلة وافرة لا تنسى ولذلك اسعى واجد في كلما يسرك وان لحقني بعد حين اذية منكِ فروحي ونفسي فداك لانهُ لا يستطيع شيء ان يفصلني عنك ويقلع وفور حبك من فوادي فان حللت كلامي محل الصدق فبها ونعمت وان حللتهِ محل التمويه فسوف يظهر لك الحق فيعرف المبغض من الوامق والصادق من الكاذب ولا شك انهُ بقوة العلي المنان يظهر حبي لك جليًا كما اتضح حب تلك الببغاء المسكينة لمولاها التاجر الهندي وقرينتهِ. فسالتهُ قمر السكر وما هي حكايتهم فاجابها الببغاء ان هذه الحكاية على غاية من الظرافة واود ان اقصها عليك لكن لم يبقَ من الليل سوى ثلثهِ فلا يمكنك الذهاب الى الامير فاذهبي الان وارقدي لانك في حوج كلي الى الرقاد والراحة وانا كذلك لانني لم ازل منذ يومين ساهرًا لم اذق لذة الوسن فضعفت قواي جدًّا ولهذا ارجو صرف النظر عن هذا القصور وفي الليلة الاتية اقص عليك هذه الحكاية. فذهبت قمر السكر ونامت حتى بزوغ الشمس وقامت تنتظر المساء الى ان وفل فحينئذ اتت الببغاء وقالت لهُ انجز ما وعدتني بهِ امس وقص عليّ تلك الحكاية

التي اشرت اليها

حكاية

قال الببغاء انهُ كان في بلاد الهند تاجر حكيم عاقل لهُ ببغاء حكيمة ورثها من ابيهِ ولفرط حبهِ لها اقام عليها حارساً ليقوم بصيانتها وحراستها وكان يقضي نهارهُ في المدينة وعند رجوعهِ للبيت مساء كان يسال الببغاء عن حال زوجتهِ وبيتهِ وعما جرى حال غيابهِ فمضى على هذا المنوال ايام كثيرة. فيوماً ما عنَّ لهُ السفر الى خراسان فتهيأ للرحيل واتى الببغاء فودعها واقامها محافظة على بيتهِ لتخبرهُ بعد رجوعهِ عما يحدث حال غيابهِ ثم اتى زوجتهُ وامرها برعاية الببغاء ثم ودعها وسافر. فلم تمضِ ايام كثيرة بعد سفره حتى ابتلت زوجتهُ بعشق شاب جميل الصورة فدعاها مرة الى بيتهِ حيث كان خالياً من الناس وقضى ليلهُ بوصالها ومغازلتها حتى الصباح فعلمت الببغاء بما جرى واسرتهُ في قلبها. ثم عقيب ذلك عاد التاجر من سفرهِ فنظر الى احوال بيتهِ فراها على ما يرغب من الانتظام ثم اتى قفص الببغاء وسلم عليها وسالها عما جرى حال غيبتهِ فاخبرتهُ بكل ما كان الا انها كتمت عليهِ ما فعلتهُ زوجتهُ مع ذاك الشاب غير ان التاجر قبل وصولهِ الى البيت بلغهُ ذلك ممن يوثق بقولهِ فاتقد قلبهُ بنار الغضب وصمم على اهلاك زوجتهِ لكنهُ كتم عليها ذلك ولم يظهر لها الا البشاشة واما هي فكان اثمها متصوراً دائماً امام عينيها ويوجسها خوفاً شديداً فقالت في نفسها ان علم زوجي بما فعلتهُ فلا شك بان تكون الببغاء اخبرتهُ بهِ لانني متيقنة بانهُ لم يعلم بقصتي احد سواها. فمن ثم كمنت البغض للببغاء وصارت تنتظر فرصة لاهلاكها فقامت ليلة ما واخذت الببغاء من القفص فنتفت جناحيها وذنبها وطرحتها من الشباك وللحال اخذت تبكي وتنوح فاستيقظ زوجها وسالها عن سبب بكائها فاجابتهُ ان القط قد افترس الببغاء فشق ذلك عليهِ وتاسف عليها جداً واما حارس الببغاء فتفتتت احشاؤهُ حزناً عليها وبكى بكاء شديداً لفقد هذه الببغاء الثمينة

واما ما كان من امر الببغاء فانها لما سقطت من الشباك ارتعدت فرائصها من الرعبة وخافت على نفسها فذهبت الى معبد الاصنام الذي كان بجوار بيت مولاها واقامت في قرنة المعبد ولم يكن ثمة لا ماكل ولا مشرب فمناها الجوع وحرمت الهجوع ولم تكن تقتات الا من فضلات الخبز المتروك عن النساك . واما ما كان من التاجر فانهُ تاكد خيانة زوجتهِ وفساد خلقها فشجبها وطردها من بيتهِ . ولخوف اهل المدينة من زوجها لم يكن احد ياويها عندهُ حتى عاشقها ايضاً لانهُ كان عاجزاً عن مقاومة بعلها . فادركت هذه الامراة احزانٌ جسيمة كادت تدرك بها درجات الموت فاتت معبد الاصنام المار ذكرهُ واقامت فيهِ نادمةً على ما فعلت ومواظبة على الصلوة والعبادة فلما كانت ذات مرة تتضرع الى الاصنام لترق لحالها وكان المعبد وقتئذ خالياً من الناس اتت الببغاء وراء الاصنام وقالت ايتها الامراة قد استجيبت دعاكِ ورثيت لحالك فرحمتك الا انني لا اوقع شعائرا لتحنن بقلب زوجك ما لم تحلقي شعر راسك وحاجبيك وجفونك . فلما سمعت الامراة هذا الكلام اخذت موسى وارادت ان تفعل كما سمعت فبعد ذلك ظهرت لها الببغاء وصرخت باعلى صوتها ايتها الحمقاء التي لم تعرف المحب من المبغض قد تمنيت الشر وفعلتهِ مع من كان يتمنى لك خيراً واستنزلت البلية على راسك فبالله العالم السر والخفاء انني لم ابح قط بسرك ولم اعلم زوجك بما بدا منك ولما سالني عن ذلك كتمتهُ ولم اخبرهُ بشيءٍ وجعلتهُ ان لا يصدق هذا الخبر واما ما دهمت بهِ من شرك فانما هو بلية مقدرة عليَّ منذ الازل ولا جناح عليك بذلك لانك على جانب عظيم من الغباوة اذ انك اتخذت كلامي كلام الاصنام التي تعبدينها وهي من الاجص لا قوة لها فالان ارتدعي عن غيك واتركي هذا الدين الباطل واعتنقي دين الاسلام واندمي على ما فرط منك من قبح السيرة ثم بعد ذلك اذهبي الى زوجك واستغفريهِ عما بدا منك وانا اذهب اليهِ واقنعهُ ببراءتك فاذعنت الامراة لقول الببغاء وفي الحال اعتنقت دين

الاسلام وتابت الى الله تعالى . واما الببغاء فقامت لساعتها واتت الى التاجر
فلما راها اخذهُ العجب والاندهال وكاد يطير من الفرح فاخذها وقبلها
وسالها عن احوالها فاجابتهُ انهُ لحقيق بانني قد مت لكن الله تعالى منَّ عليَّ
بحيوة جديدة فقال لها التاجر يا للعجب هل يحيى المخلوق بعد ان يموت فاجابتهُ
نعم يحيى وهذا من الامور المقررة اما سمعت حكاية سيدنا ابراهيم عليهِ الصلوة
والسلام . فسالها التاجر وما هي حكايتهُ

حكاية

قالت الببغاء ان سيدنا ابرهيم عليهِ السلام قال يومًا لله تعالى الهي
ارني كيف تحيي الموتى ليطمئن قلبي فاجابهُ الحق سبحانهُ يا ابراهيم خذ اربعة
من الطير واقطع روؤسها واخلط الاجزاء ببعضها ثم حلها اربعة اجزاء
واجعل على كل جبل جزءًا منها ثم ادعها اليك فترى العجائب . ففعل
ابراهيم لساعتهِ كما امرهُ الله تعالى ثم دعا العصافير فاتتهُ حيةً . فهذه الحكاية
يا سيدي مسطرة في القرآن العظيم ومنها يتضح ان الله سبحانهُ قادر مطلق يحيي
ويميت فمن كرمهِ قد منَّ عليَّ بالحيوة . فقال التاجر عجبًا ما اعظم هذا الاله
الذي يحيي الاموات هل هو اعظم من الهتنا . فاجابتهُ الببغاء يا سيدي ان
الهتكم هي اصنام صنعتها ايدي الناس من الاجص وغيرهِ ولا حاسية لها ولا
قوة وانما الاله الحق الخالق الكائنات هو الهنا الحي الصمد . فقال لها التاجر
حقًا ان الاله الذي يحيي الاموات هو اله عظيم فاهديني اليهِ حتى اعبدهُ .
فعند ذلك علمتهُ الببغاء كلمة الاخلاص فنطق بها وختن وصار مسلمًا ثم
قال لها لقد امنت بالاله المتعال وبقوتهِ الربانية وتيقنت انهُ يحيي الاموات
ولكن فلاي سبب احياكِ . فاجابتهُ يا سيدي انني لما قضيت نحبي لم تلبث
انت حتى افتريت على زوجتك فطردتها من بيتك حيث صدقت سعاية
الوشاة ولما حل بها هذا المصاب اتت معبد الاصنام ولبثت فيهِ مواظبة على
الجوَارِ والعبادة التي لم تكن تجديها نفعًا لانها كانت تلتمس الفرج من الحجر

والاجص لكن الله لم يهملها لما كان يعهد من طهارتها فتدفقت عليها ابحر مراحمه واهداها الصراط المستقيم فاسلمت لله وتمسكت بالعروة الوثقى وحيث لم يكن لها لا ملجأ ولا نصير اخذت تتضرع لله ليردني الى الحيوة حتى اشهد امامك ببراءتها فاستجاب الله تضرعها ومنَّ عليَّ بالحيوة حتى اتيك شاهدةً بالحق فالان اعلم ان زوجتك بريئة مما اتهمت به فاذهب اليها واحضرها الى بيتك . فصدق التاجر كلامها وقام لساعته واتى معبد الاصنام واخذ زوجته الى بيته واستغفرها عما بدا منه . فحينئذٍ تاكدت هذه الامراة حب الببغآ لها فشكرت فضلها وندمت على ما فرط منها

فعند ذلك استتلى الببغاء كلامه قائلاً : والان يا قمر السكر قد قصصت عليكِ هذه الحكاية لتتاكدي خلوص حبي نحوك فاني اسعى واجد في ان ابلغكِ مرادكِ ومتى حضر ساعد ووشي بكِ اليه فانا اقلع الشبهة من قلبه واثبت براءتك بحيلٍ لطيفة فاذهبي حالاً الى معشوقكِ ولا تدعي ايام الصبا تمر على الحالة التي كنتِ عليها . قال هذا وصرفها . فخرجت قمر السكر فارحة متهللة لكنها رأت قد طلع الصباح واشرقت شمس الضحى على الهضاب والبطاح فتنفست الصعداء وعادت الى حجرتها كئيبة ورقدت . ولما ظل المساء قالت في نفسها : ان الببغاء قد طاوع هواي فان وشي بي لزوجي فاني اكذبه واغش ساعدًا ولا ريب في انه يصدقني اكثر من الببغاء ولا جناح عليَّ ان اعتصمت وقتئذٍ بالكذب لادفع عن نفسي واما الان فلا حاجة اليه . قالت هذا واتت قفص الببغاء واستأذنته بالذهاب الى حبيبها فلما راها الببغاء قال لها : أ انتِ للان تماطلين عن الذهاب الى حبيبكِ وقد ضاق صدرهُ من الانتظار فناشدتكِ ان اذهبي اليه ولا تخشي شيئًا من قبل زوجكِ لانني اكذب عليه ولا ادعه يعرف شيئًا ولا اثم عليَّ ان اعتصمت بالكذب لانه مباح عند الضرورة لا سيما اذا كان ياول لحسن العاقبة اولقطع المنازعة بين اخين واما انتِ فاحفظي سرك ولا تخبري احدًا باحوالكِ فتوجهي الى حبيبكِ والزمي معهُ

الادب والاحتشام وتحاشي كثرة الكلام لانهُ قيل : خير الكلام ما قلَّ ودلَّ ولم يطل فيملّ ولهذا السبب كان مردجانباز مقبولاً ومعززًا عند ملك خراسان . فسألتهُ قمر السكر وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء : ان ملك خراسان جلس مرة ما مع وزرائهِ وعلماء مملكتهِ وجمع من شعبهِ بين الغني والفقير والقدير والحقير فاخذوا يقصون عليهِ ما جلَّ منَ الحكايات السالفة المتضمنة من الحكم اجلها ومن الاداب احسنها وانفعها وبينما كانوا على هذه الحالة نظر الملك بغتة الى الصحراء المجاورة البلاط الملوكي فرأى رجلاً ضعيفاً نحيفاً آتياً نحوهُ فلما وصل هذا الرجل بين يدي الملك سجد وكفر واستاذنهُ ليتكلم فاذنهُ فعند ذلك دعا لهُ بطول البقاء وقال: يا مولاي ان وزراءك يعلمون حقيقة امري وما كنت عليهِ وما صرت اليهِ فاني كنت متقيد ابخدمة ملك نجند الذي كان يودني لخلوص حبي لهُ وصدق خدمتي امامهُ ودعاني مردجانباز اي الرجل الشجاع لفراسني وشجاعتي. وكنت اكتشف غوامض الاسرار وبحسن ادارتي وتدبيري كنت آتي المملكة بفائدات جمة وافتح الفتوحات التي يعجز عنها الوف من الجنود المتمرنة على القتال واوفر كل سنة على الخزينة الف دينار وكانت مجازاتي على هذه الخدم النصوحة كل سنة عشرة آلاف دينار فكنت اصرفها على اهل بيتي عائشاً معهم بالامن والمسرات . واما الملك فكان عادلاً منصفاً محباً للرعية لكن بعد ذلك تعرضت لهُ الدنيا واستمالتهُ بشهواتها فاغتنم ما ابدتهُ من اللذات الغابرة فطغى وبغى وتكبر وتجبر وكان كلما ازداد امرهُ وعظمت شوكتهُ يزداد عسفاً وعتوًا فنكث العهود ونبذ المواثيق ولم يعد يفكر بعاقبة امرهِ واحوال مملكتهِ فعرى الدمار بلادهُ واصبحت مملكتهُ خراباً فاسف البطـــانة واحقد الخاصة والعامة ولكن لشهرتهِ بالنخوة واحتقار رجال الدولة لم يكن احد يجسر على معارضتهِ فصرت انا كسائر الوزراء نسياً منسياً واذ لم يعد يلتفت اليَّ

اعتزلته وتنحيت عن خدمته واضطررت الى الخروج من مملكته لما حاقني من الفقر والفاقة ومن مصائب الدهر الذي لا يعاند الا من كان ممتازا ومشتهرا

شعر

قل للذي بصروف الدهر عيرنا　　هل عاند الدهر الا من له خطرُ

الا ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ　　وتستقر باقصى قعره الدررُ

وفي السماء نجومٌ لا عداد لها　　وليس يخسف الا الشمس والقمرُ

والان اصبحت في حالة يرثى لها وقد اتيتك يا مولاي لترق لحالي وتترأف عليَّ وتامر لي براتب يكفي لمعاشي ومعاش عيالي واقوم بكل نشاط واستقامة بالخدمة التي تعينها لي فيجزل الله ثوابك لانه مثيب المحسنين

فلما سمع الملك هذا الكلام تحير واندهش والتفت الى الرجل ضاحكا وقال له: ايها الرجل ان امرك لعجيب لانك تدعي بما ليس فيك ومنظرك النحيف يوجب الاحتقار وحيث لا يمكنني ان اوجه اليك خدمة من خدامات الدولة فلا احرمك من الحسنات التي تتوزع من بيت المال لانه معد للمحتاجين فاجابه الرجل: يا مولاي لماذا تنظر الى الصورة الخارجة هل يعرف الانسان من صورته و يعلم عقله من كبر جسمه فلماذا تعرض عن الباطن الذي فيه العقل والانارة فان كنت ضعيفا صغير الجسم فهذا لا ينافي كوني عاقلاً حكيما واميناً فهيما فلا تنظر الى الظاهر بل انظر الى الباطن فتعرف الحقيقة الم تسمع ما قاله الشاعر

لا تعجبنك اثواب على رجلٍ　　دع عنك اثوابه وانظر الى الادبِ

فالعود لو لم تفح منه روائحه　　لم يفرق الناس بين العود والحطب

فينتج من هذا يا مولاي ان قيمة المرء ليست بجماله ولا بغناه وثروته بل بعقله وعلمه ولهذا قال الله تعالى: انما يخشى الله من عباده العلماء وقال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم　　اذا كانت الاخلاق غير حسانِ

فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى　　فما كل مصقول الحديد يماني

فاعلم اذًا يا سيدي اني على جانب عظيم من الدراية وقادر على القيام باعباء الدولة حق القيام فان كنت تشك بقولي فجربهُ بالامتحان واحسن تجربة ان تعين لي خدمة في بلاطك الملوكي فيظهر ما في باطني من العقل والفطنة لان العقل كالشرار لا يظهر حتى يقدحه قادح ولا يسبر عقل الانسان الا بالامر والنهي لان الولاية معيار العقول كما قال الشاعر

بالامر والنهي عقل المرء يختبرُ وبالسياسة في الاحكام يعتبرُ

انَّ الولاية معيار العقول بها يبين من فيهِ عقلٌ او بهِ ضورُ

فازداد تحير الملك من هذا الكلام فاخبر الوزراء بامر هذا الرجل واستشارهم بذلك وقال لهم لقد صرت في حيرة عظيمة لانهُ لا يخلو هذا الرجل من ان يكون اما كاذبًا او صادقًا فان كان كاذبًا ولا نلتفت اليهِ فلا نعري عن الملام من عامة الناس لانهُ لا يطلع على حقيقة امرنا مع هذا الرجل الا القليلون وان اجبنا التماسهُ فنكون قد انخدعنا بخلابة الفاظهِ واسرفنا مالنا فنأثم بتبذيرنا مال الرعية وان كان صادقًا ولم نلتفت اليهِ فنكون قد تركنا عملاً محمودًا وان نظرنا اليهِ فلا بد من ان نعين لهُ راتبًا وافرًا لان امير تجند وهو كاحد عمالنا عين لهُ سنويًا راتبًا قدرهُ عشرة الاف دينار فيجب علينا ان نعطيهُ اضعاف ذلك وان عينا لهُ اقل من هذه القيمة حسبنا من اللئام فافيدوني ما ترتؤُونهُ بهذا الشان لانني وقعت بين شرين

هذا وكان عند الملك وزير عاقل فقال لهُ: ايها الملك ان الراي السديد عندي ان لا تخيب هذا الرجل الذي اتى مترجيًا نوالك وقد وقفت الان على وسيلة تتخلص بها من هذا الامر وهي ان تقيمهُ حارسًا على البلاط الملوكي في الليل ولا تسمح لهُ بالرقاد دقيقة واحدة وعين لهُ راتبًا سنويًا قدره عشرون الف دينار فكيف يمكنهُ ان يسهر سنة كاملة مع انهُ قلما يوجد من يسهر ثلاث ليالٍ متوالية فان قام بهذه الخدمة فبها ونعمة والا فتكون عظمة الملك قد عريت عن الملام. فوقع هذا القول لدى الملك موقع الاستحسان فاجراه وامر

مرد جانباز بحراسة البلاط الملوكي في الليل فقبل ذلك وشكر الملك على هذه المنة وقام مواظبًا على وظيفتهِ فكان يسهر الليالي برمتها ولم يكن يرقد دقيقة واحدة . فمضت سنة كاملة على هذا المنوال ولم يكن يبدو منهُ ادنى قصور بخدمتهِ فاعطوه حينئذ عشرين الف دينار وهكذا كان في السنة الثانية والثالثة والرابعة حتى اندهش الجميع من ذلك

ففي ذات ليلة حلم الملك فراى في منامهِ القمر مستترًا وراء السحاب والعالم كلهُ في دلامس الظلام ونظر ذاتهُ جالسًا على سرير السلطنة بكمال الهيبة والوقار فانسر جدًا ولما افاق من نومهِ طلبًا من يعرف تفاسير الاحلام تذكر مرد جانباز وفي الحال دعاه باسمهِ فسمع الرجل صوت الملك وفي الحال اسرع اليهِ وقبل الارض بين يديهِ وقال : اطال الله بقاءك يا مولاي ماذا عنّ لك في هذه الليلة حتى دعوتني . قص عليّ الامر لعلهُ خير . فقص عليهِ الملك بالاختصار ما راه في منامهِ وامره بتعبير حلمهِ . فاطرق مرد جانباز برهة واخذ يعبر رؤيا الملك فكان تعبير الرؤيا خيرًا يشير الى سعادة الملك في المستقبل وبينما كان الملك مصغيًا سامعًا تعبير الرؤيا سمع صوتًا في البرية كانهُ صوت امراة وهو يقول : ها اني تاركة من يبذل نفائس العطايا ليفتديني بها فتعجب من ذلك وتاق لمعرفة الامر فاستاذنهُ وقتئذٍ مرد جانباز ليذهب الى الصحراء فيعلم الحقيقة فلم ياذنهُ . فبعد ذلك سمع الملك هذا الصوت ثانية فازدادت رغبتهُ في معرفة هذا الامر لكن الصوت لم يعد يسمع سوى عن بعد . فسال الملك مرد جانباز قائلاً : ما عسى ان يكون هذا فانهُ امر عجيب فاجابهُ يا مولاي لا اعرف ما هذا الامر ولكن ان شئت معرفتهُ فمرني ان اذهب الى الصحراء فاعرف الحقيقة وارجع اقص عليك الامر فاذنهُ الملك وقام مرد جانباز لساعتهِ واتى الجهة التي سمع منها الصوت فلما اضحى الملك وحده فكر في نفسهِ قائلاً ان الملوك لم يكونوا ينظرون احوال خدمهم الظاهرة بل كان جل دابهم ان يتجسسوا بواطن الوزراء وسائر الخدم لان كثيرًا ما

يتظاهر الانسان بما ليس فيهِ فما لاجدر بنا ان نقتدي بهم لان مرد جانباز ادعى اولاً ثلاثة اشياء : النشاط في الخدمة والعلم والامانة والان قد تأكد لدينا نشاطهُ من سهره في الليل وتيقظهِ . وتاكدنا علمهُ من تعبيره الرويا فلم يبقَ علينا الا ان نختبر امانتهُ باتباعهِ الى الصحراء لنرى ماذا يصنع . قال هذا وقام لساعتهِ وتبع مردجانباز بحيث لا يراه ليعرف حاقة امرهِ فقطع مسافة طويلة والملك يدلف اليهِ وهو لا يراه وكلما دنا اليهِ الملك وقف وربما يبعد عنهُ ثم يتبعهُ فلم يزل مردجانباز سائرا حتى ترآءت لهُ امراة جميلة الصورة لكن علامة الحزن مطبوعة على وجهها فلما نظرها مردجانباز وراى ما هي عليهِ من البهاء هتف صارخًا : ايتها الامراة لماذا انت ضالة في هذه الصحراء ليلا فما هو سبب ذلك ومن اين انتِ ومن اين اتيت والى اين تذهبين . فلما سمعتهُ الامراة تنفست الصعداء وقالت : واسفاه انا حيوة ملك خراسان ماضية الى الفناء لانهُ قد دنا اجلهُ . فلما سمع مردجانباز هذا الكلام وقع مغشيًا عليهِ لما حاقهُ من الحزن فلما افاق اخذ يبكي وينوح ثم تقدم الى الامراة وقال لها : يا سيدتي اليس لهذا الداء دواء لكي ابادر سريعًا الى جلبهِ ولو اقتضى بذل حيوتي فابذلها فدية عن نفس الملك . فاجابتهُ الامراة : لا دواء لذلك الا اذا كان للملك محب مخلص يوثر حيوة الملك على حيوتهِ فان كنت لمولاك محبًا شفوقًا مخلصًا فابذل حيوتك وحيوة عيالك فدية عن نفس الملك ليبقى اسمهُ مقيدًا في سفر الحيوة . فاجابها مردجانباز : اما نفسي فاني مبذلها للحال واما نفس عيالي فلا سلطة لي عليها ويعز عليهم مبارحة هذه الدنيا ولكن اذا اكتفيت بضحية نفسي فاني مبذلها سريعًا . فاجابتهُ الامراة : كلا لا ارتضي بنفسك فقط بل يجب ايضًا ان تضحي انفس عيالك فشجعهم وحثهم على هذه الضحية لان الصدقة ترد البلاء وتزيد العمر . فعند ذلك قام مردجانباز واتى بيتهُ فاخبر اهلهُ بما جرى لهُ وكان لهُ زوجة وابن وابنة فلما سمعوا كلامهُ هتفوا صارخين بصوت واحد : فليقدم كل منا نفسهُ عن الملك ولا يجزع من الموت

لانهٔ مستطاع عند مرام النفس وهو امر محتوم لا مناص منهٔ سواء كان آجلا او عاجلاً وانشدوا

ولا تبعد فكلٌ فتى سياتي عليهِ الموت يطرق او يغادي

قالوا هذا وقرَّ رايهم على تقدمة هذه الذبيحة وانْ يبتدي مرد جانباز بذبح عيالهِ ثم بقتل نفسهِ فاستل سيفاً ماضياً واخذ ابنهُ الوحيد ثمرة فوادهِ واجلسهُ في وسط المحل ورفع يدهُ ليذبحهُ واذا بصوت قد ناداه قائلاً : اعدل عن قصدك ايها الرجل ولا تمدد يدك للغلام فقد نظر الله اليك بعين الرحمة وتأكد خلوص نيتك وحبك الصادق واسكب عليك انعامهُ الغزيرة ومن بحيوة جديدة على الملك فخر مردجانباز ساجداً لله وشكرهُ على ما اولاهُ من النعم ثم قام هو وعيالهُ واخذوا يبكون فرحاً ويسجدون الله تعالى

هذا ما كان من امر هذا الرجل واولادهِ واما ما كان من امر الملك فانهُ كان ناظراً بعينهِ كل ما جرى ولما كان مرد جانباز منعكفاً تارة على حمد الله تعالى وتارة على معانقة اهلهِ رجع الملك سرًّا الى البلاط الملوكي ولم يشعر بهِ احد ولم يخبر احدًا من اهل البلاط بما كان من امر مردجانباز . ولما فرغ مردجانباز من حمد الله سبحانهُ رجع الى البلاط ودخل على الملك ووقف بين يديهِ صامتاً فقال لهُ الملك اخبرني بما رايت . فاطرق مردجانباز وقال في نفسهِ ان اخبرت الملك بما صار وهو امر غريب يبعد عن الصدق فيحل كلامي محل الكذب فيسخط عليَّ فالاجدر بي ان اصنف لهُ خبراً يسهل تصديقهُ ثم التفت الى الملك وقال : يا مولاي ان التي كانت تصيح وتصرخ هي امراة جميلة تخاصمت مع زوجها وخرجت من البيت تبكي وتطلب انصافاً فلما رايتها وعرفت حقيقة امرها ارجعتها الى زوجها وصالحتها معهُ فاشار اليهِ الملك باشارة الاستحسان واسر الامر في قلبهِ حتى انقضى ذاك الليل فلما طلع الصباح قضى الملك مهماتهِ وعند انتصاف النهار جلس على عرشهِ ودعا لديهِ سائر الوزراء ورجال الدولة والعلماء فجلس من لهُ عادة الجلوس ووقف من لهُ عادة ان يقف وكان مرد جانباز واقفاً عن يمين

الملك . فعند ذلك اخذ الملك يقص عليهم حلمهُ وما حدث لهُ مع مرد جانباز وما بدا من شجاعة هذا المحب الباسل التي تحير العقول . فلما سمع الحاضرون هذا الخبر اخذهم العجب والاندهاش وفرحوا فرحًا عظيمًا وشكروا مرد جانباز على امانتهِ وخلوص ودادهِ وأما الملك فاخذ يضمهُ اليهِ ويثني على ودادهِ وشجاعتهِ الفريدة وامر لهُ بالتحف الثمينة والهدايا الفاخرة وجعلهُ وزيرًا ثانيًا عندهُ ثم بعد مدة اقامهُ رئيسًا على الوزراء فقام مرد جانباز بخدمة الملك والدولة حق القيام حتى استحق التفات مولاه وحب الرعايا واعتبارهم

والان يا قمر السكر ينتج من هذه الحكاية ان الوداد اعظم شيء في الدنيا ولا بد منهُ لمن يروم المفاخر والمعالي لانهُ وحدهُ ادرك بمرد جانباز منتهى الاوطار ورفعهُ الى ذرى المجد والكرامة ولا يشابه ملك خراسان الا انتِ يا سيدتي ولا يماثل مرد جانباز الا انا لاني اسعى ليس فقط لوقاية حيوتك بل لادرك بك ايضًا غاية الوطر وحيث ان غايتك الوحيدة الوصول الى حبيبك فانني ابذل جهدي لابلغك اليهِ فاذهبي اليهِ الان واقضي ليلك معهُ بالفرح والسرور ولا تنسي ما اوصيتك بهِ سابقًا

فعند ذلك خرجت قمر السكر فارحة متهللة قاصدة حبيبها فرات قد طلع الصباح فرجعت الى حجرتها حزينة باكية ونامت حتى صارت الشمس الى المغيب فقامت من النوم وتعطرت وتعصبت ولما خيم الظلام اتت قفص الببغاء فلما نظرها مقبلة عليهِ هتف صارخًا: يا نجمة بانت فابانت نور البدور والكواكب واضات بنورها الغياهب والسباسب لماذا انتِ للان شاخصة امام عيني وتاركة حبيبك وقد قرب الهجر مصيرهُ الى الفناء الا تعلمين ان تاخرك للان يوقع اشد الخصام بينك وبين حبيبك لانهُ ربما يخال بفكره انك ترغبين في تجربتهِ وامتحانهِ فيظن ان ذلك ناتج عن كبرٍ منك لان المحبوب اذا علم محبة عاشقهِ لهُ تدلل كما قال الشاعر

ناديت لما بالدلال قتلتني عرف الحبيب مقامهُ فتدللا

واما تجربة الحبيب فانها مستظرفة ومستطابة لانها تأمين من سوء العواقب والمصائب غير انكِ لستِ بمحتاجة لتجربة محبوبك فلا تحرقيه اذًا بنار الهجر والفراق ولا تجربيه كما جرب ذاك الشاب النيسابوري صاحبه فسالتهُ قمر السكر وما هي حكاية هذا الشاب

حكاية

قالت الببغاء: انهُ كان في قديم الزمان في مدينة نيسابور شاب جميل الصورة ذو قوة غريبة حتى ان معاصريهِ كانوا يعدونهُ من الجبابرة . فيومًا ما حينما كان مارًا في الطريق صادفهُ رجل مبتلٍ بحب الفتيان فلما وقع نظره على هذا البدر المنير كاد يقع مغشيًا عليهِ فتقدم اليهِ بوجهٍ باشٍ وقال لهُ: يا حيوة روحي وجسدي سبحان الذي سخرك لي في هذا النهار لان جمالك يحيي الفواد وينعشهُ فلا تمنعني قربك لانني ابتليت بحبك وهمت بغرامك فلما سمع الشاب هذا الكلام تحير واندهش وفي الحال خطر ببالهِ هذا المثل السائر: التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان . فاطرق هنيهة وفكر في نفسهِ قائلاً: ان تهافتُّ وبثيت عهدًا مع هذا الرجل فربما لا يرعى الوفاء فاكون قد رجعت بصفقة مغبون وصح بي قول هذا المثل: من استرعى الذئب فقد ظلم: ثم نظر اليهِ وقال لهُ: يا هذا لا يليق بالعاشق الا ان يصاحب اجمل محبوب يراهُ فان لي اخًا اجمل مني صورة وهو اتٍ على هذا الطريق فان انتظرتهُ وفد اليك بعد برهة وجيزة . فلما سمع الرجل هذا الكلام طمع بوصال ذاك واعرض عن هذا الذي ودعهُ وسار في طريقهِ حتى افضى الى مكان خالٍ فقام فيهِ يترصد الرجل ليرى ما يفعل بعد ذهابهِ عنهُ فراهُ جالسًا على الطريق ناظرًا يمنة وشمالاً ومنتظرًا وفود الموعود فلما راه الشاب على هذه الحالة تاكد خزعبلاتهِ وفتور حبهِ فتركهُ على حالتهِ وسار

فالان اخبريني يا قمر السكر هل ان تاخرك عن زيارة حبيبك هو لاجل التجربة او ان قلبكِ خالٍ من الحب فتريدين ان تعرضي عنهُ . فاجابتهُ

الملك . فعند ذلك اخذ الملك يقص عليهم حلمهُ وما حدث لهُ مع مرد جانباز وما بدا من شجاعة هذا المحب الباسل التي تحير العقول . فلما سمع الحاضرون هذا الخبر اخذهم العجب والاندهاش وفرحوا فرحًا عظيمًا وشكروا مرد جانباز على امانتهِ وخلوص ودادهِ وأما الملك فاخذ يضمهُ اليهِ ويثني على ودادهِ وشجاعتهِ الفريدة وامر لهُ بالتحف الثمينة والهدايا الفاخرة وجعلهُ وزيرًا ثانيًا عندهُ ثم بعد مدة اقامهُ رئيسًا على الوزراء فقام مرد جانباز بخدمة الملك والدولة حق القيام حتى استحق التفات مولاه وحب الرعايا واعتبارهم

والان يا قمر السكر ينتج من هذه الحكاية ان الوداد اعظم شيءٍ في الدنيا ولا بد منهُ لمن يروم المفاخر والمعالي لانهُ وحده ادرك بمرد جانباز منتهى الاوطار ورفعهُ الى ذرى المجد والكرامة ولا يشابه ملك خراسان الا انتِ يا سيدتي ولا يماثل مرد جانباز الا انا لاني اسعى ليس فقط لوقاية حيوتك بل لادرك بك ايضًا غاية الوطر وحيث ان غايتك الوحيدة الوصول الى حبيبك فانني ابذل جهدي لابلغك اليهِ فاذهبي اليهِ الان واقضي ليلك معهُ بالفرح والسرور ولا تنسي ما اوصيتك بهِ سابقًا

فعند ذلك خرجت قمر السكر فارحة متهللة قاصدة حبيبها فرات قد طلع الصباح فرجعت الى حجرتها حزينة باكية ونامت حتى صارت الشمس الى المغيب فقامت من النوم وتعطرت وتعصبت ولما خيم الظلام اتت قفص الببغاء فلما نظرها مقبلة عليهِ هتف صارخًا: يا نجمة بانت فابانت نور البدور والكواكب واضات بنورها الغياهب والسباسب لماذا انتِ للان شاخصة امام عيني وتاركة حبيبك وقد قرب الهجر مصيرهُ الى الفناء الا تعلمين ان تاخرك للان يوقع اشد الخصام بينك وبين حبيبك لانهُ ربما يخال بفكره انك ترغبين في تجربتهِ وامتحانهِ فيظن ان ذلك ناتج عن كبرٍ منك لان المحبوب اذا علم محبة عاشقهِ لهُ تدلل كما قال الشاعر

ناديت لما بالدلال قتلتني عرف الحبيب مقامهُ فتدللا

الصلوة والعبادة حتى بلغا من الزهد اعظمهُ ومن الورع افضلهُ وقاما على اصلاح المفسدين فردا الضالين واهديا التائهين وجعلا اقامتهما في المعبد مدعيين بذل الوقت لاجل الصلوة والعبادة ولما كانا يسمعان بان معابد النصارى كافة فيها اوان فضية وذهبية استاذنا من الرهبان واخذا يطوفان في المملكة ويرشدان الناس الى عبادة الله وما زالا على هذه الحالة حتى افضيا الى كنيسة في جوار القسطنطينية فاقاما فيها مدة منعكفين على العبادة وارشاد الناس فشاع خبرهما في المملكة وطار صيتهما في سائر الاقطار . فيوماً ما صنع قيصر الروم وليمة فاخرة دعا اليها الجثالقة والقسيسين وجمهوراً من الرهبان وصرح في دعوته باستدعاء الراهبين المتلبسين لما بلغهُ من برهما وفضلهما فلما عرض عليهما الرهبان دعوة قيصر اخذا يحملقان بوجوههم ويقولان : كيف يليق بنا ان نجيب هوى النفس ونرغب عن العبادة في غرور العالم واباطيله فنحن معتزلان المسرات العالمية المناقضة زهد الزاهدين وانقطاع المنقطعين فاذهبوا انتم ولبوا دعوة قيصر واعتذروا عنا لديهِ واعلموه ان انصبابنا على الملاهي يجلب علينا سخط الخالق وغضبهُ على الناس لان قد كثرت الفواحش بينهم وافعمت المعابد اهانة فلا تعجبوا اذا ترك الاله معابده واعتزلكم . قالا هذا واخذا يبكيان ويذرفان الدموع فتقدم الرهبان وقبلوا يديهما وذهبوا الى وليمة قيصر

واما النجار والصائغ فانهما رجعا الى الكنيسة واقاما فيها منتظرين بفروغ صبرٍ وفود المساء . فلما خيم الظلام نظرا الى تمثال كبير من الذهب الصافي الخالص العيار فرفعاهُ من مكانهِ وحملاهُ على منكبيهما وسارا من الكنيسة يطلبان لهُ خلوةً يخفيانهِ فيها فوجدا مكاناً خالياً وحفرا فيهِ حفرةً ودفناه فيها ورجعا الى الكنيسة ولم يعلم احدهما فعلا . فمضت ايام ليست بقليلة ولم يدخل احد الكنيسة لما كان عليهِ الرهبان من الفتور في العبادة ففي اخر الامر اتى الكنيسة خدمها فافتقدوا التمثال فلم يجدوهُ فاخبروا الرهبان بذلك . فلما شاع هذا الخبر

بينهم وقع في قلوبهم الخوف والرعبة واشتد بينهم الخصام وصار كل منهم يتهم الاخر ولم يتهموا النجار والصائغ خيفةً من سخطهما عليهم ولانهم كانوا يعتقدون انهما بعيدان جدًا عن ارتكاب اثم كذا فظيع ولكن لم يلبثوا حتى اخبروهما ما توقع فعند ذلك خرقا ثيابهما ونتفا شعر راسهما ولحيتهما واخذا يبكيان و ينوحان ثم نظرا الى الرهبان وقالا لهم : انهٔ عندما وطانا هذه الارض تاكدنا سوء العاقبة لما نظرناهُ من تهاونكم في العبادة فكنتم تتركون معبودنا وحدهُ ليلاً ونهارًا . تذكروا ما قلناه لكم لما لبيتم دعوة قيصر فاننا كنا نخشي اتقاد غضبهِ علينا وكنا دايمًا في خوفٍ ورعبةٍ عظيمة وكنا نقول: ان مولانا قد افعم اهانة من الناس وحيث قد صار متروكًا منهم فلا غروَ انهُ سيتركهم و يذهب الى السما يشكو من سوء معاملة هذا القوم المجرم ويلتمس الانتقام من جريرة البشر فها هوذا الان قد حل بنا ما كنا نخشاه ولولا تضرعنا وصلواتنا لما بقي حتى الان وهل يمكننا بعد هذا ان نومن غضبهُ فمن الان فصاعدًا لم تعد تسعنا الاقامة معكم خوفًا من غضب الهنا فالاجدر بنا مبارحتكم والرحيل الى ديار اخرى فلما سمع الرهبان هذا الكلام بكوا بكاءً شديدًا وصاروا يلتمسون منهما ان يبقيا عندهم ويقولون لهما : لاتفارقانا لان دعاءكما يدرا غضب الله تعالى وبواسطتكما يقبل الله توبتنا الصادقة . اما الراهبان المتلسسان فلم يذعنا لقول احد و بعد يومين ودعا الرهبان وسافرا ولما خيم الظلام رجعا الى المحل الذي دفنا التمثال فيهِ فرفعاه من الارض وتهيئا حملهُ ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى بلدهما في ازربيجان وبقي الصائغ مستلمًا التمثال و يصرف من ثمنهِ بسعة . فيومًا ما قال لهُ النجار: ياأخي اضبط بدقةٍ حساب الذهب حتى يرتاح ضميرك من الحرام ويكفينا هذا المال زمنًا طويلاً . وكان الصائغ الى ذاك الحين ينفق من الذهب بدون تدبر لكن الشيطان خزاه الله لم يلبث حتى حرك في قلبهِ شهوة الطمع فقال الصائغ في نفسهِ : حقًا انني لذو سذاجة كلية لان الذهب بيدي وما احد عارف بهِ غيرنا فان قلت للنجار لم يبقَ شي من

الذهب فمن يكذبني في دعواي وهل يستطيع النجار ان يخاصمني لدي الحكام ففكر في هذا وقرّ رايهُ عليهِ . فيومًا ما اتاه النجار حسب عادتهِ وطلب منهُ مقدارًا من الذهب فتظاهر الصائغ بالتعجب والاندهاش وقال لهُ : اظن ان من الذهب فضلاً وزيادة الا تعلم انهُ قد فرغ ولم يبقَ منهُ مثقال واحد فلما سمع النجار هذا الكلام سكت لانهُ كان عاقلاً فتظاهر بالقناعة واسر ذلك في نفسهِ وقال لهُ : يا اخي لا تحزن اذا فرغ المال لانهُ خلق لقضاء ما بحاجة الانسان فداك يا اخي كل مال فانهُ غير ماسوف عليهِ بل اعتاض عنهُ بصحبتك الكريمة وصار بمثل هذا الكلام يخاطب الصائغ ليخفي عليهِ ما كنهُ لهُ لانهُ علم يقينًا ان الصائغ احتال عليهِ وانكر الذهب المشترك ليستبد بهِ فصار النجار يفكر بوجه الحيلة ليسترجع ما فرط عليهِ من الذهب فحفر في دارهِ وهدةً عظيمة وقطع شجرة فصنع منها تمثال الصائغ محكماً حتى لا يكاد يتميز عنهُ والبسهُ ثيابًا مثل ثياب الصائغ ووضعهُ في الوهدة ثم اتى بعد ذلك بافراخ ذئب فغللها بالقيود ووضعها قبالة تمثال الصائغ وصار كل يوم يحضر لها طعامًا ويضع قطع اللحم على منكبي التمثال فلما كان يشتد عليها الجوع كانت تنفلت من اغلالها وتهجم على التمثال وتاكل اللحم الموضوع على منكبيهِ وكان النجار يحضر لها الطعام كل يوم مرتين ويضعهُ على راس التمثال وكتفيهِ وكان يهز لها راس التمثال واذنيهِ ليظهر لها علامة الانس حتى تعتاد عليهِ فصارت اذا راتهُ ترقص طربًا وتحرك ذنبها وتبدي الفرح والاستئناس

فيومًا ما دعا النجار الصائغ الى وليمة في بيتهِ فاتى الصائغ الى بيت النجار واحضر معهُ اولاده الصغار وقضى عند صاحبهِ قسمًا من النهار بالصفا والانشراح ولم يظهر كل منهما للاخر سوى الانس والملاطفة وبعد ان جلسا على الاكل واكلا وشربا قاما يتفاكهان في الحديث ثم قام الصائغ وقال للنجار: يا اخي انا ذاهب الان الى المدينة واترك اولادي هنا فرحلهم بعد ساعة الى البيت . ثم ترك اولاده وذهب وبعد ذهابهِ اخذ النجار الاولاد وحبسهم في

مكان منفرد في بيتهِ ورجع الى الوهدة فرفع تمثال الصائغ واخفاه وكانت حينئذٍ جائعة جدا لانهُ كان قد منع عنها الطعام في ذلك النهار. فلما كان المساء اتى الصائغ الى بيتهِ وطلب اولاده فلم يجدهم فسال عنهم اهلهُ فاجابوهُ انهم لم ياتوا البيت فصار حينئذ بحيرة عظيمة وانشغال فكر نحو اولاده فاتى ليلاً بيت النجار وسالهُ عنهم فاجابهُ النجار: يا اخي والله لا ادري الى اين ذهبوا لانهم بعد ان توجهت الى المدينة مكثوا هنا برهةً وذهبوا ولم ادرِ الى اين واما الصائغ فلم يشك قط بقول النجار ولم يخطر ببالهِ انهُ كمن لهُ حقدا فظن ان اولاده رجعوا الى البيت بينما كان هو آتيًا الى بيت النجار فرجع الى بيتهِ وطلبهم فلم يجدهم فحينئذٍ ضاق صدره وعيل صبره فاخذ يطوف في الشوارع ويفتش على اولاده وبقي على هذه الحالة من ابتداء الليل حتى ظهيرة النهار الآتي فعند ذلك خزق ثيابهُ واخذ يبكي وينوح ويندب اولاده

ثم بعد ذلك خال بفكره ان النجار الحق بهم مكروهًا فرجع اليهِ وقال لهُ: انني تركت اولادي عندك ولم آكن عارفًا انك خائن ماكر وان الحسد دب في قلبك وكمنت لي البغض فلا شك في ان اولادي لم يذهبوا من عندك بل انك اهلكتهم او اخفيتهم. قال هذا واشتد بينهما الخصام حتى رفعا امرهما الى القاضي فتقدم الصائغ وقال لهُ: يا مولاي انهُ كان بيني وبين هذا الرجل صداقة عظيمة وبقيت محافظًا على عهده اما هو فكمن لي البغض وصار يترقب فرصة ليلحق بي الاذى فدعاني لمناولة الطعام عنده فاحضرت اولادي معي وابقيتهم في بيتهِ وذهبت فاخفاهم عنده والله يعلم ما صنع بهم لانني فتشت عليهم في كل المدينة فلم اجدهم فاسترحم انصافي من هذا الغادر الخائن. ثم اخذ يبكي ويندب اولاده فرق لهُ القاضي ونظر الى النجار وقال لهُ: ان الاولاد عندك فان لم تحضرهم فلافعلن بك واصنعن. فاجابهُ النجار يامولانا ان الاولاد بقوا عندي غير انهم بعد ذهاب ابيهم صاروا ذئابًا فغللتهم بالقيود ووضعتهم في وهدةٍ في بيتي وها هم الآن موجودون فيها. فقال لهُ القاضي ايها الرجل

قصّ عليّ الواقع لان المسخ كان في عهد الانبياء الاقدمين واما الرسول صلعم فقد خلص العالم منهُ وهذا من اخص عجائبهِ. فاجابهُ النجار: ان عجائب الرسول لا تنكر غير ان الله تعالى سمح بذلك مجازاة لهذا المذنب الاثيم واقتصاصاً من جرائره وماَثمهِ لانهُ طالما ركب الضلال واعتصم بالخداع والنفاق. فنظر القاضي الى من كان عنده وقال لهم: يا معشر المسلمين ان هذا الامر لعجيب لان قول النجار هذا لا يخلو من الصحة فيجب ان نختبر هذا الامر وننظر باعيننا لنرى الحقيقة. فحينئذٍ جمع القاضي من كان عنده واتى بيت النجار ليرى الاولاد الممسوخين وبمعيتهِ النجار والصائغ وجمٌّ غفير فلما وصلوا الى بيت النجار تقدم النجار واخذهم الى الوهدة فلما رات الذئاب الصائغ الذي اعتادت على تمثالهِ صارت ترقص وتلاطفهُ وتبصبص وتطلب منهُ اكلاً ففي الحال تقدم اليها النجار وحل قيودها فوثبت على كتفي الصائغ وصارت تلاعبهُ وتمسكهُ باذنهِ وانفهِ فلما راى ذلك القاضي وجماعتهُ اخذتهم الحيرة والاندهاش وقالوا: ماذا نصنع وماذا نقول ان امرنا لله تعالى فزالت الان الشبهة وتاكد لدينا ايها الصائغ ان اولادك مسخوا ذئاباً قالوا هذا وخرجوا من الوهدة فحينئذٍ اخذ النجار الذئاب وسلم قيودها الى الصائغ وقال لهُ: خذ يا اخي اولادك ففهم الصائغ حقيقة الامر وتاكد ان في وسع النجار ان يلحق بهِ الاذى فاختلى بهِ وقال لهُ: اصفح يا اخي عن ذلتي واستر عليّ ذنبي فان نصيبك من الذهب عندي وان شئت زيادةً عليهِ فما تطلبهُ تنلهُ فاجابهُ النجار: واولادك يا اخي عندي فمتى اتيتني بالذهب سلمتك اياهم فذهب الصائغ واحضر حصة شريكهِ من الذهب واخذ اولاده وافترقا عن حقد وبغض فهذا ما آلت اليهِ صداقتهما القديمة اجارنا الله من امثال ذلك.

فالان يا قمر السكر ينتج من هذه الحكاية ان البشر ينقسمون الى قسمين فمنهم من تدوم مودتهُ ومنهم من لا تدوم فالاولى هي المودة الخالصة ويكون صاحبها خالياً من اغراض النفس والاهواء والثانية هي التي تكون لغايات يضمرها

صاحبها فهذه لاتعرف سوى بالامتحان واما مودة حبيبك فهي من النوع الاول فلا حاجة لامتحانها فالان لاتعللي نفسك بشيء بل اسرعي واذهبي الى حبيبك وذوقي صفو وصاله . فقامت قمر السكر لساعتها فارحة قاصدة الذهاب الى حبيبها فلما فتحت الباب رات قد اشرقت الشمس فانارت الكون فعند ذلك تنفست الصعداء ورجعت الى حجرتها متلسفة متحسرة واجلت رغدها الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار بفروغ صبر تارة راقدة وتارة باكية متذكرة حبيبها ومتشوقة اليه ولما جاء المساء اتت قفص الببغاء وتنهدت وقالت : ايها الببغاء ارث لحالي لاني في حسرة عظيمة لخيبة امالي وتاخر احوالي وقد ادرك بي الغرام درجة الهلاك فبالله خذ بيدي وبلغني مرادي . فاجابها البغاء يا قمر السكر قد قالت الحكماء ان سعادة الانسان في الدنيا القيام بخدمة مولاه وحفظ الامانة له ولذلك اري من المقتضي ان اتحفك بالنصائح اللازمة لاقوم بخدمتك فاعلمي اذًا ان الايام تمر ولا يشعر الانسان بمرورها فلا تماطلي قط بل اذهبي الى محبوبك حالاً وسريعًا لان عاقبة الهجر وخيمة فانها تورث الحزن والكدر وربما يخشى ايضًا رجوع زوجك فيحول بينك وبين مرامك فتصبحي في خجل عظيم من محبوبك كما اضحى ذاك الامير مخجولاً من زوجة الجندي فسالته قمر السكر وما هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: انه كان في احدى مدن الهند جندي متقاعد وله زوجة بديعة الحسن والجمال وكانت طاهرة عفيفة لم تمد يدها قط الى المحرمات فلذلك احبها بعلها حبًا شديدًا وتعلق بها تعلقًا متينًا حتى لم يكن يفارقها لحظة واحدة بل ترك الجندية وكل ما في الدنيا ولازم زوجته ليلاً ونهارًا قانعًا بمشاهدتها ووصالها وكانت هي ايضًا تحب زوجها ولم تكن تخالف رضاه ولا تطمع بغيره وكان كلاهما قانعًا بما يرزقهما الله من فيض كرمه وكانا ينفقان من موجوداتهما بكل سعة عائشين بارغد عيش واتم هناء لكن هذه الحالة افضت بهما الى ان

بينما كلما كانا يملكانه حتى ان الامراة باعت ثيابها وجواهرها ولم يبقَ عندها لاسبد ولا لبد فشق ذلك عليهما لانهما كانا معتادين على الرخا ورغد العيش
وحيث كانت امراة الجندي حكيمة عاقلة تقدمت الى زوجها وقالت له : بعدان كنا في نعيم من الدنيا قد ذاقنا الفقر المدقع لكن الله تعالى لا يحرمنا معاشنا لانه يسر لكل خليفة رزقًا تعيش منه وقد قيل : وما من دابة على الارض الا وعلى الله رزقها . فحقيق انه قد فرغت يدنا من كل شي غير ان وسائط المعيشة كثيرة بحول الله تعالى لمن يجد ويسعى لانه جعل في الحركة بركة . فحيث انك والحمد لله على جانب عظيم من الصحة والعافية فلا يليق بك ان تتقاعد واقرانك قائمون بخدمة الملك والامراء وهم على احسن حال واتم منوال فاذهب الى العاصمة والتجِ الى احد رجال الدولة فياخذ بيدك ويدرك بك منيتك فنعود الى ما كنا عليهِ . فلما سمع الجندي هذا الكلام تحسر وتاسف وقال لها : كيف افارقكِ واطيق لوعة الهجر والفراق . فاجابته : ان نار الفقر اشد من نار الفراق وقد قيل : ان شدة الفقر من نار جهنم فان من يريد وصال حبيبهِ يجد لذلك وقتًا كافيًا واما تحصيل الرزق فلا يتأتى في كل حين وان لم نتعاطَ شغلاً ينتج منه فائدة لنا فمن اين نعيش وكيف نلتذ بالوصال وقلوبنا محترقة بنار الفقر فاسمع الى نصيحتي واسعَ في طلب الرزق ولا باس اذا افترقنا لان للوصال بعد الهجر لذة عظيمة ولكن اذا كان في الغربة لا يرتاح بالك من نحوي وتخشى ان آتي محرمًا فاني اتعهد لك امام الله تعالى بمحافظتي على الطهارة والعفاف واصون عرضي ونفسي من كل دنس الى منتهى الحيوة فاطمئن بالاً ولا تحسبن الفراق شقاء لانه قد قيل : السعيد سعيد من بطن امهِ والشقي شقي من بطن امهِ فان الله تعالى يقسم الارزاق بين عباده فيسعد من يشاء ويشقي من يشاء ومطلق العنان لكل انسان فان الامراة اذا ارادت المنكر ارتكبته غائبًا كان زوجها او حاضرًا وانت تعلم يقينًا انني لم ارتكب قط فعلاً شنيعًا وانني بعيدة عن ذلك وتعلم ايضًا طهارة ابي

وامي وجدي وجدتي وهذا امر مشهور عند اهل المدينة فكما انهم حافظوا على طهارتهم فانا احافظ على طهارتي لانهُ من المقرر بان كل فرع يتبع اصلهُ فان رجلاً طلق امراتهُ لما علم بان امها كانت بغيًا فسالها الجندي وكيف كانت تلك الحكاية .

حكايةٌ

قالت الامراة: انهُ كان في قديم الزمان تاجر مغرم بهوى النسا ومتعلق بحبهن تعلقًا شديدًا . فيومًا ما سافر الى بلدة بعيدة وفي اثنا الطريق بينما كان في احدى المدن تحركت فيهِ الشهوة النفسانية فبادر الى تسكينها وتزوج ابنة بديعة الحسن والجمال لكن امها كانت بغيًا فقضى معها في تلك البلدة زمنًا طويلاً واحبها حبًا شديدًا . ثم بعد مدة عزم على الرحيل من تلك المدينة فتاهب للسفر وحمل النوق وودع اصحابهُ وسار مسافرًا مع زوجتهِ بمعية القافلة . فبعد ان ساروا ايامًا وقطعوا مسافة طويلة وصلوا الى جسر عظيم فلما دنت منهُ النوق السائرة في طليعة القافلة نفرت ورجعت الى الوراء فساقوها فلم تقطع بل كلما ضربوها رجعت واستدبرت فحينئذٍ قالت زوجة التاجر: تقدموا بهذه النوق التي معنا فتى عبرت هذه عبرت حينئذٍ تلك . فتعجب التاجر من ذلك وسالها قائلاً : من اين تعلمين بان هذه النوق تعبر وانها متى عبرت فتعبر تلك ايضًا . فاجابتهُ : لانني اعلم بان تلك النوق هي نتاج هذه المعتادة على السفر والظعن فان قطعت امهاتها قطعت هي للحال لان من المقرر بان كل فرع يتبع اصلهُ . فسالها زوجها قائلاً : هل يتبع الفرع اصلهُ في كل شيء . فاجابتهُ نعم وهذا لا ريب فيهِ فلما سمع التاجر هذا الكلام اولهُ تاويلاً خاف منهُ سوء العاقبة لان حماتهُ كانت بغيًا فعند ذلك التفت الى زوجتهِ وقال لها : حقًا لقد صدقت فيما قلتِ لانك تشابهين هذه النوق واحوالكِ معلومة عندي فكما ان هذه النوق تتبع آثار امهاتها في السير فانتِ ايضًا تقتفين اثار امك وتسيرين في الطريق الذي سارت فيهِ فتورثيني العار

والفضيحة فمن الان فصاعداً ما عدت اريد مصاحبتك فانصرفي عني طالقٌ انتِ ثم طالق ثم طالق قال هذا وتركها وسار مسافراً نحو بلاده

فالان ينتج من هذه الحكاية ان كل فرع يتبع اصلهُ فمن كان اصلهُ طاهراً مصوناً فهو طاهر ومصون ومن كان اصلهُ دنساً فحاشاً فهو دنس فحاش واما انا فاني بحوله تعالى اعد من الصنف الاول لان ابي وامي واجدادي اشتهروا بالصلاح والعفاف فانني احذو حذوهم واحافظ على طهارتي الى نهاية العمر ولا احتاج قط الى صيانتك وحراستك ولا ادنس عرضي ولو مهما اصابني من الرزايا والنكبات واكون كتلك الامراة المدعوة مرحومة التي قاومت سائر البلايا وحفظت عفتها من كل غائلة فاكتسبت رضى الله تعالى واكسبت زوجها فخرًا وشرفًا لا يوصف. فسالها الجندي وما هي حكايتها

حكايـة

قالت زوجة الجندي لبعلها: زعموا انهُ كان في احدى نواحي تركستان رجل بار يدعى صالحًا وكان لهُ زوجة اسمها مرحومة وكانت طاهرة عفيفة طائعة لزوجها. فيومًا ما عزم على السفر الى الحج فاحضر اخاه المدعو فساج واوصاه بزوجتهِ وبيتهِ ثم اخذ يتاهب للسفر فجمع مهماتهِ وودع زوجتهُ واخاه وسائر اصحابهِ وسار مسافرًا الى المدينة واما اخوه فساج فقد حفظ وصيته وكان ياتي كل يوم الى بيت اخيهِ ويتفقد احوالهُ ويحضر لزوجتهِ كلما يعوزها

فيومًا ما اتى بيت اخيه حسب عادته وبدخوله الى الدار وقع نظرهُ بغتةً على زوجة اخيه وكانت ذات حسن عجيب وبهاء غريب فوقع الغرام بغتةً في قلبه واراد ان يباغيها فدعاها اليهِ واخذ يتنزه معها ويبدي لها حسن الملاطفة والرقة لكي يستميلها اليه فلم يحصل على نتيجة فعاد اليها في اليوم الثاني فلم يحصل على مراده فصار عشقهُ يزداد يومًا بعد يوم حتى ضاق صدره ولم يعد في طاقته احتمال الصبر والغرام فكشف عنهُ قناع الحيا ودعا مرحومة واباح لها بسره وطلب منها الوصال فلما سمعت مرحومة هذا الكلام اخذها حزن جسيم غير

انها لم تستحي منه ولم تخجل بل اخذت توبخه وطردته من امام وجهها فتحير فساج من ذلك وزاد غضبه واكمن لها بغضاً شديداً ومع ذلك لم يدع من ان يلاطفها بالكلام ويخاتلها ليسترضيها واذ لم يجده ذلك نفعاً اخذ يتوعدها بالقتل واما هذا الكلام فلم يزعزع عزم مرحومة بل رذلته وقالت له: دعني ايها الشقي فلست اخاف منك لانك ان هتكت ستري واتهمتني بالفاحشة فيعلن الله براءتي وان اهلكتني انل منه جزاء عظيماً قالت هذا وابتعدت عنه واتت الى حجرتها وجلست غاضبة حزينة متفكرة في عاقبة امرها

واما ما كان من امر فساج فانه اشتد غيظه وصار يفكر في حيلة لاهلاكها فقال في نفسه: اذا اتهمت هذه الملعونة بالفحشاء واهلكتها فلا يشق ذلك على اخي لانه من عائلة ذات شان فلا شك انه يشكرني لغيرتي على عرضه ويلعن هذه الاثيمة قال هذا واستحضر اربعة شهود من ذوي الخلاعة واغراهم بالمال ليشهدوا على مرحومة بارتكاب الفاحشة فاذعنوا لقوله ووعدوه باتمام كل ما يشا

فعند ذلك اتى فساج مجلس الشرع الشريف وقرر لدى القاضي ان زوجة اخيه قد زنت ويطلب من ثم مجازاتها فطلب منه القاضي البينة الشرعية على ذلك فذهب فساج واحضر الرجال الاربع المار ذكرهم فاعطاهم الرشوة ولقنهم الشهادة فاتوا معه الى القاضي وادوا شهادة مطابقة لدعوى فساج فلما سمع القاضي شهادتهم حكم باجراء القود الشرعي على مرحومة فاتوا بها الى الصحراء ورجموها ولما ظنوها قد ماتت تركوها في الصحراء وانصرفوا غير ان الله تعالى اسرع الى اعانتها وانقذها من الموت لبراءتها وجهادها في سبيل الطهارة وابقى لها نسمة حيوة لكنها بقيت مغشياً عليها حتى المساء فلما آلت الشمس الى الغروب افاقت فرات جسدها مكلماً بالجراحات الثخينة فبقيت بين الحجارة صامتة جامدة لا تتحرك ثم التفتت الى العلا ونظرت الى مقر الاله العلي وسبحته وشكرته على انعامه ثم هتفت بلسان الالم وقالت: الهي انت عالم السر والخفاء فتعلم ان ما عزوه اليّ من الاثم هو محض افتراء وانما فعلوا ذلك فرية عليك وبهتاناً

على الاطهار غير اني قد تهاونت في عبادتك فاستخفيت القصاص ولذلك قد قبلتهُ بكل خضوع لمشيتك الربانية فاقبل مني تزكية دمي وحبوتي كفارة عن ذنوبي السالفة ولا تصرف وجهك عني لانني ملهوفة وانت غوث اللهيف . انت الذي انقذت خليلك من نار نمرود واحييت يونان في احشاء الحوت فيامحب الطهارة اظهر برارتي ولا تتركني في بلواي بل انقذني من هذه الميتة الشريرة لانك على كل شيء قدير وبالاجابة جدير

فسمع الله تضرعها وانقذها من الموت وسخر لها اعرابياً لينتشلها من بلواها فعند ما وصل هذا الاعرابي الى قبالة تلة الحجارة سمع نواحاً وزفيراً فالتفت يمنةً وشمالاً وصار يتقدم نحو مصدر النواح حتى راى هذه الامراة في حالة الملاشاة مهشمة بالجراحات باكية نائحة يكاد الجلمود ينفطر لبلواها . فرق الاعرابي لحالها وقال لها : ما الذي اصابكِ ايتها الامراة اخبريني حقيقة الامر . فاستأنست مرحومة به واخذت تقص عليهِ ما كان من امرها مع اخي زوجها من اولهِ الى اخرهِ فلما سمع الاعرابي قصتها المحزنة رثى لها ورق لحالها فمد يدهُ اليها واخرجها من بين الحجارة ونظر اليها فاذا هي جميلة المنظر فاخذها بيدها وسار مسافراً معها الى بيتهِ وتائقاً لوصالها واذ لم يعد يحتمل الم الغرام نظر اليها وقال لها : هل تريدين ايتها الامراة ان اقترن بك بالزواج الشرعي فتصادفي خير القرين . فاجابتهُ مرحومة : هل يجوز للامراة ان تكون زوجة رجلين في وقت واحد فكيف يسوغ ان تتزوجني وزوجي لم يزل في قيد الحيوة ولست بطالق منهُ وهو الان في الحج الشريف فخف من الله تعالى وابتعد عن هذه المعصية فخاف الاعرابي من الله وعدل عن قصدهِ وقال للامراة اطمأني بالاً فلا استحللك قط بل تكونين في بيتي نظير اخت لي ولا ادع احداً ينظر اليك

وما زالا سائرين حتى وصلا الى بيت الاعرابي فادخلها هذا بكل ترحاب واخبر زوجتهُ بما كان من امر مرحومة وآمرها بان تواصلها بالمعروف فرقت لها زوجة الاعرابي واحبتها كاختٍ لها فاقامت مرحومة في بيت الاعرابي

زمناً ليس يسيرعلى احسن حال فشفيت جروحاتها ورجعت الى حالتها الاولى وما فتئت عائشة عند الاعرابي بارغد عيش وأتم هناء حتى داهمتها تجربة اخرى عكرت صفو عيشها

هذا وكان لذالك الاعرابي ولد شرير فاسق قبيح المنظر فكان بالقضاء والقدر انهُ ابتلى بعشق مرحومة وصار يراقب فرصة مناسبة ليبلغ مرامهُ منها . ففي ذات مرة اذ كانت قائمة في خلوة دنا منها وطلب منها الوصال فابت ورذلتهُ وابتعدت عنهُ واظهرت لهُ الكراهة فصار تارة يلاطفها وتارة يتوعدها بالقتل ان لم تجب طلبهُ غير انها لم تجزع ولم تخف بل بقيت ثابتة على عزمها فاكمن لها الغلام البغض والضغينة وصار ينتهز فرصة لاهلاكها . وكان للاعرابي طفل جميل الصورة وكانت مرحومة تحبهُ حباً شديداً وفي اغلب الاوقات تحملهُ على ذراعيها . ففي ذات ليلة قام الغلام عند انتصاف الليل وكان الجميع راقدين واستل خنجراً قاطعاً وذبح الطفل اخاهُ ولت بدمهِ ثياب مرحومة ويديها ووضع الخنجر تحت فراشها فلما طلع الصباح واستيقظ كل من نومهِ قامت زوجة الاعرابي تفتقد ابنها فراتهُ مذبوحاً وثوب مرحومة ملطخ بالدم فصارت ام الطفل تبكي وتنتف شعرها وتندب ولدها والغلام الشقي يشتم مرحومة ويقول: لاريب ان هذه الشقية ارتكبت هذه القساوة البربرية . تعالوا وانظروا فان الخنجر تحت فراشها ولم يزل هذا الشرير يتكلم بمثل هذا الكلام حتى اوغر صدر ابيهِ وامهِ على مرحومة فوثب عليها الاعرابي واخذ يضربها ضرباً شديداً فقاست من ذلك الماً لا يوصف لكنها لم تغب عن الصواب بل استلطفت الاعرابي وخلت بهِ وقصت عليهِ كلما توقع بينها وبين ابنهِ فصدق الاعرابي كلامها لانهُ كان يعهد في غلامهِ القساوة والفجور فندم على ما فرط منهُ ورق لحالها وقال لها : لقد تاكدت ايتها الامرأة برارتكِ ووددت لو تبقي في بيتي دائماً غير ان زوجتي قد تصورت انكِ قتلتِ ابنها فانغرس بغضك في قلبها ولم يعد في وسعي ان اقلعهُ منهُ ومن ثم فاقامتكِ في بيتي عذاب عظيم

فاذهبي الى بلدٍ اخرى واقيمي فيها الى ان تحققي رجوع زوجكِ من الحج. قال
هذا واعطاها اربعماية درهم ورحلّها . فشكرتهُ على معروفه وودّعتهُ وسارت
مسافرة ماشية كل ذلك النهار حتى وصلت الى محلٍ آمن في الطريق وكانت
الشمس قد آلت الى الغروب فنامت في ذلك المكان ولما كانت تستيقظ
كانت تسبح الله وتتضرع اليهِ ليشفقْ عليها .

ولما اصبح الصباح قامت مسافرة حتى وصلت الى مدينة عظيمة فنظرت
صليبًا كبيرًا وجمًا غفيرًا محدقًا بهِ فتقدمت اليهم وسالتهم عن سبب اجتماعهم
وعن الصليب وعمّن اعدّ لهُ فاجابوها ان من عادة ملك المدينة ان يصلب كل
من لا يؤدي الخراج الموظف عليه وان شابًا قد عجز عن تاديته لفقره واحتياجه
فامر الملك بصلبهِ حيث لم يتيسر لهُ دفع ما عليهِ اذ لا احد تقدم لاسعافهِ.
فسالتهم حينئذٍ ان يدلوها على المحكوم عليهِ وكم يجب عليهِ من الخراج فقدموه
بين يديها وقالوا لها بانهُ مستوجب عليهِ اربعماية درهم فعند ذلك نقدت مرحومة
من جيبها الاربعمائة درهم التي اخذتها من الاعرابي ودفعتها عن المحكوم عليهِ
وانقذتهُ من موت الصليب فحينئذٍ انطرح ذاك الشاب على اقدامها واخذ
يشكرها على فضلها ومروتها لكنهُ لما وقع نظرهُ عليها ابتلى بحبها ورام وصالها
فلما تركت الجمع وسارت تبعها هذا الرجل واخذ يطلب منها الوصال
فرذلتهُ واخذت توبخهُ وهو يثب عليها ويتهددها ان لم تطاوعهُ فاخذت
حينئذٍ تذكرهُ الجميل وتوبخهُ على تجاسرهِ وهو لا يذعن بل يقول لها : ان الموت
كان خيرًا لي لانني لو مت لما كنتِ لي سبب العذاب فانقذتني من شر عظيم
واوقعتني في شر اعظم . قال هذا واخذ يتبعها كرهًا حتى افضيا الى البحر وكانت
هناك سفينة وكان الملاحون على الشاطيء مستعدين للسفر فطلبت مرحومة
ان تسافر معهم وحيث قد راوها جميلة المنظر ارتضوا بذلك ولما هموا على
انزالها بالسفينة شرع ذاك الشاب الاثيم يصرخ ويقول : لماذا تريدون
اختلاس جاريتي فبالله عليكم اتركوها لانني قد اشتريتها بمالي . فلما سمع ربان

السفينة هذا الكلام اخذه العجب فنظر الى مرحومة فاذا هي جميلة جدًّا فاحبها حبًّا مفرطًا واشتراها من المدعي برقبتها بعشرة آلاف دينار وانزلها في السفينة وسافر بها .

واما مرحومة فرضيت ان تباع مثل العبيد والاماء لانها كانت تبتغي النجاة من ذاك الشاب الاثيم خيفة شره . وتحقيق انها نجت منه غير ان في كل وادٍ بني سعد فلما اصبحت في السفينة رأت ما اشبه الليلة بالبارحة لان ربان السفينة ابتلي بحبها وبقي صابرًا حتى المساء نزوغ صبر فلما ظل المساء عيل صبره ولم يعد في طاقته احتمال الم العشق فدنا من مرحومة واطلعها على شهوته وطلب وصالها لكونها على زعمه جارية له فبكت مرحومة بكاء شديدًا وتحسرت وتاسفت وقالت له : خف يا صاحِ من الله فان لي زوجًا لم يزل في قيد الحيوة فلا يحل لك ان تتزوجني فصار الربان من ثم يتوعدها ويتهددها ولم يحصل على نتيجة فعند ذلك وثب عليها واراد ان يغتصبها فصرخت باعلى صوتها .
فسمع الملاحون صراخها واسرعوا اليها فلما راوا ما هي عليه من الجمال شغفوا بها وصاروا يوثبون عليها وانما كان يريد كل منهم ان يخلصها من يد صاحبه لتكون نصيبه فلما رات مرحومة ما حاقها من الخطر العظيم نظرت الى العلا وهتفت صارخة : يا من اغرقت فرعون في الغمر لبغيه وفجوره وانقذت خليلك نوح بواسطة السفينة لصلاحه وبره هلم لاغاثتي ولا تسمح ان اتدنس بعد ان حفظت طهارتي من كل غائلة . فسمع الله تضرعها ورق لحالها وكان البحر وقتئذٍ هاديًا فتفاقمت مياه البحر وماجت وتلاطمت الامواج وهاجت واشتدت الانواء وعصفت الرياح حتى اصبح الملاحون في خوف عظيم ولذلك تركوا الامراة واسرع كل منهم لنجاة نفسه لكن الله تعالى الناظر من العلا قباحتهم اهبط عليهم صاعقة من السماء فاحرقتهم جميعًا ولم يبقَ الا مرحومة فيسر الله لها بعد ذلك ريحًا مناسبة فسافرت بالسفينة الى ان وصلت الى شاطىء مدينة عظيمة وقبل ان ترسو في ميناها خافت من تجديد المصاب فخلعت ثيابها ولبست من

ثياب الملاحين التي كانت في السفينة فلما نزلت الى البر اسرع الناس اليها واخذهم العجب لما راوا السفينة خالية من الملاحين فسالوا مرحومة عن ذلك وعن احوالها فلم تجبهم بكلمة بل طلبت منهم ان يحضروها الى والي المدينة حيث كان قد بلغها خبر مزاياهُ الحميدة واخلاقه الفريدة فاحضروها بين يديهِ وقصت عليهِ ما اصابها اولاً وثانياً وثالثاً وحيث كان ذلك الوالي متورعاً عفيفاً رق لحالها وتحنن عليها ولم يتمالك من البكاء فهنأها على خلاصها وشكرها على عزمها وثباتها وقال لها ان تطلب ما تريد فيعطى لها . فاجابتهُ مرحومة: يا مولاي اطال الله بقاءك واجزل ثوابك ان في السفينة التي حضرت فيها مالاً وافرًا واشياء كثيرة من الاقمشة وغيرها فخذها كلها لبيت المال ومر بان يبنى لي منسك اقيم فيهِ الى ان ياتي القضاء المحتوم على كل الخلائق .فاجاب الوالي طلبها ولما كمل بناء المنسك اقامها فيهِ وكان يرسل لها كل يوم ما يعوزها

فاقامت مرحومة في هذا المنسك منقطعة الى الله تعالى ومواظبة على عبادته فباركها الله ومنحها نعمة صنيع العجائب والمعجزات حتى اشتهرت وبعد صيتها في سائر الاقطار فصارت الناس تتقاطر اليها من جميع الجهات لانها كانت تشفي من كل الامراض حتى انهُ اتاها ابرص واعمى واشفتهما شفاء تاماً

فلبثت مرحومة على هذه الحالة اياماً عديدة منعكفة على عبادة الله تعالى فرجع زوجها من الحج ولما وصل الى بيتهِ لم يجد زوجتهُ فظن انها ذهبت الى زيارة احد الاقارب فسال اخاه فساج عنها فاجابهُ: دعنا يا اخي من ذكر هذه الملعونة لانها الحقت بنا العار والفضيحة لكونها زنت مع شاب غريب فقادها القاضي بعد ثبوت ذلك شرعاً وامر برجمها فرجمت .فلما سمع صالح هذا الكلام صدقهُ وحزن حزناً شديداً لكنهُ صبر على شدته وتحمل هذه المصيبة

هذا وان الاله المتعال علام الغيوب والخفايا وذا الانتقام لم يدع من ان ينتص من جريرة فساج الشرير فسقطت على عينيهِ ماء سوداء فعمي ولم تشفهِ

معالجة الاطباء بل كان يزداد وجعه يوماً بعد يوم . ففي اخر الامر سمع صالح المار ذكرهُ انهُ يوجد في المدينة الفلانية التي على شاطىء لبحر امراة زاهدة صالحة منقطعة الى الله تعالى ومشتهرة بصنيع العجائب ودعاؤها مقبول عند الله وتشفي من جميع الامراض . فعزم على زيارتها واخذ اخاه وسار مسافراً الى المدينة المار ذكرها . فبينما كانا سائرين في الطريق التقيا بابن ذاك الاعرابي الذي قتل اخاه واتهم مرحومة بقتلهِ وهو قاصد زيارة البكر الزاهدة وابوه بمعيتهِ وذلكً لان هذا الغلام قد شلت يداه ورجلاه وتعطلت اعضاوهُ كلها وصار جسمهُ كجسم الابرص لان الله تعالى غضب عليهِ وانتقم منهُ لتهمتهِ الباطلة . فسار الاعرابي وابنهُ مع صالح واخيهِ دون ان يعرف احدهم امر الاخر حتى افضوا الى المدينة التي فيها انقذت مرحومة من الصلب ذاك الشاب الشقي الذي قد حلَّ عليهِ الانتقام الالهي واصيب بمرض عضال اعيى جميع الاساة ولما آيس من شفائهِ اشار عليهِ اقاربهُ ان يذهب الى الزاهدة المتقدم ذكرها لينال الشفاء من مرضهِ فقبل نصيحتهم وعزم على السفر الى المدينة المومأ اليها فسار مسافراً و بينما كان في الطريق التقى بالزوار المار ذكرهم وهم صالح وفساج والاعرابي وابنهُ فرافقهم وساروا جميعهم مسافرين وكل منهم يجهل امر الاخر وما زالوا يقطعون كل يوم مسافة حتى وصلوا الى المدينة المقصودة . فدخلوها فرحين واخذوا يسالون عن منسك من اشتهرت بفعل المعجزات حتى اهتدوا اليهِ فراوا ازدحام الناس على باب المنسك كانهُ بلاط اعظم الملوك او مستشفى احدى الدول . ولازدحام الناس صارت المرضى تتناوب الدخول الى المنسك فمكث صالح وارفاقهُ كل ذلك النهار ولم تاتهم فرصة الدخول فانتظروا الى اليوم الثاني لان من كان لايحظى بمقابلة هذه الزاهدة كان ينتظر الى اليوم الثاني ثم الى اليوم الثالث ثم وثم الى ان تاتيهُ الفرصة . فلما اصبح اليوم التالي بكروا بكور الغراب فراوا من ازدحام الناس ما كان في الامس فوقفوا خارج المنسك منتظرين ان تاتيهم فرصة الدخول . واما مرحومة فكانت

متبرقعة . واذ نظرت صدفة في الشباك رات هولا المرضى وعرفتهم كلهم وتحيرت من صنيع الله بهم وانتقامه منهم فسجدت حينئذٍ لله ومجدت احكامه العادلة ثم دعتهم اليها وقالت لهم: اعلموا ان الله على كل شيء قدير و بدونه لا نقدر على شي فهو وحده يضرب بالامراض العضالة و يشفي منها واما انا وكل سواهُ فعاجزون عن ذلك غير انهُ تمجدت اسماوهُ نظر اليَّ بعين الرحمة وسلطني على ان اشفي ليس فقط الذين مثلكم بل الذين بلغوا درجة الهلاك ايضاً واما انتم فاريد من صميم الفواد ان اتضرع الى الله تعالى ليمن عليكم بالشفا غير اني لا اتضرع هنا لاني الان متوجهة الى والي المدينة لانهُ بادرلي معهُ غرض ضروري وقد اشرت اليهِ بان يجمع عندهُ سائر البطانة واعيان المدينة فاتبعوني اما ركم هناك واتضرع الى الله من اجلكم

قالت هذا وسارت الى والي المدينة وهولاء المرضى يتبعونها فلما قربت من دار الوالي وكان قد استبشر بقدومها تقدم لملاقاتها مع بطانتهِ ومن كان عندهُ من اكابر المدينة لانها سبقت فاوعزت اليهِ ان يدعوهم لدارهِ فدخلت حجرة كبيرة حيث كان قد اعد لها مرتبة عالية فجلست وجلس من كان حاضراً من بطانة الوالي واعيان المدينة واكابر العلماء والحكماء وبعد ذلك امرت الحاجب ان يحضر امامها المرضى الذين اتوا بمعيتها فاحضرهم

اما الوالي وجماعتهُ وسائر اهل المدينة فلم يكونوا عارفين وقتئذٍ ان هذه الزاهدة تسمى مرحومة لانها غيرت اسمها وانتحلت اسماً اخر واما قصتها العجيبة فلم يكن احد يعرفها سوى الوالي فقط . فلما دخل المرضى الى الحجرة نظرت مرحومة الى الحاضرين وقالت لهم: ان هولاء المرضى لهم قصة عجيبة وقد الهمت ان لا اتضرع لاجلهم ما لم يتوبوا عن ذنوبهم و يعترفوا بها علانية لان ما اصيبوا بهِ انما هو قصاص من الله لذنوب ارتكبوها فان اعترفوا امامكم بذنوبهم تضرعت لاجلهم الى الله فيرزقهم الشفاء التام والاَّ فلا . فلما سمعت الجماعة هذا الكلام تحيروا وتاقوا الى معرفة امر هولاء المرضى فاخذوا يلحون

عليهم ليقصوا حكايتهم فابوا ولبثوا صامتين: غير ان علامة الاندهاش والاندهال لاحت على وجوههم فاصبحوا خاشعين فقالت مرحومة: قولوا لهم اني لا اتضرع لاجلهم ما لم يقصوا عليكم حكايتهم كل على حدة مفصلاً - وحقيق ان الله تعالى يريد ان تكتم السيئات وان ستر الذنوب محمدة يندب اليها لانه قيل من ستر ستر لكني لا اقصد بكشف سرهم ان الحق بهم الفضيحة بل لاعلن قدرة الله تعالى وعجائبه في سائر الاقطار فيجب الان ان يخبرونا بقصتهم دون تمويه لانهم ان موهوا زاد الله عقابهم قالت هذا واخذت تلح عليهم هي والجماعة بان يقصوا حكايتهم فلما راوا ان لابد من افشاء سرهم اظهروا الطاعة والندم فتقدم فساج اولاً وقال: كان لاخي هذا امراة صالحة عفيفة اسمها مرحومة فلما ذهب اخي الى الحج اوصاني بها وبان اتفقدها كل يوم واحضر لها ما يعوزها فواصلتها اياماً بالمعروف والاحسان لكني لم البث حتى تحركت فيّ الشهوة النفسانية فشغفت بها واطلعتها على سريرتي وطلبت ان اباغيها فابت ورذلتني فكمنت لها الحقد وقصدت اهلاكها فادعيت عليها لدى القاضي بانها زنت ورشوت اربعة شهود فشهدوا طبق دعواي فحكم عليها القاضي بالرجم فرجمت والان قد انتقم الله مني لقساوتي البربرية. فلما سمع الحاضرون حكايته اخذهم العجب والاندهاش غير انهم كما سبق لم يكونوا يعرفون من هي مرحومة. ثم تقدم ابن الاعرابي واخبرهم بقصته وبما فعل مع مرحومة المار ذكرها فازداد تحير الحاضرين واندهاشهم

ولما انهى ابن الاعرابي مقالته تقدم الشاب الذي كان معداً للصلب وقص على الجماعة ما كان من امره مع مرحومة وذلك دون زيادة ولا نقصان ولما انتهى من حكايته قامت مرحومة ونظرت الى الجماعة وقالت لهم: يا امة محمد انا مرحومة التي اتهمت بالزنا ورجمت وهذا الرجل المدعو صالح هو زوجي لا اعرف رجلاً غيره انا التي نكبت من ابن الاعرابي ومن هذا الشاب الذي انقذته من الصلب وقد باعني من ربان السفينة بعشرة

آلاف دينار. ولما دخلت السفينة كانت مصيبة اعظم ما سبق تنتظرني فيها لان الملاحين اثاروا على طهارتي حرباً شديدة وارادوا اغتصابي غير ان الله تعالى رمقني بعين الرحمة وانقذني منهم وارسل عليهم صاعقة من السماء فاحرقتهم وبقيت انا وحدي في السفينة فيسر الله لي ريحاً مناسبة حتى وصلت الى هذه المدينة فرآني جمٌ غفير وتعجبوا من ذلك فالان قد اتضح لكم ما قاسيتهُ من المصائب والرزايا وما حلَّ بهولاء المفترين من الامراض العضالة جزاء لما ارتكبوه ضدي من الذنوب والافترآ

فاعتبروا جميعكم من هذه الامثال واعلموا ان الله يجازي كلاً حسب افعاله ثم نظرت الى المرضى وقالت حيث قد اعترفتم بذنوبكم فيجب ان تتوبوا الى الله تعالى فيتوب عليكم لانهُ هو التواب الرحيم فاندموا على ما سبق منكم ندامةً صحيحة واستغفروا الله تعالى لاني قد غفرت لكم ما ابديتموهُ نحوي من الافتراء وما الحقتموه بي من الاوجاع والعذاب فان تبتم توبةً صالحة تضرعت لاجلكم فشفيتم والاَّ فلا شفاء ترجونهُ

فلما سمع المرضى هذا الكلام تاثروا وانتصحوا فندموا على ما فعلوا واخذوا يذرفون الدموع السخينة ويقبلون اقدام مرحومة ويستغفرونها عما مضى واما هي فغفرت لهم وباركتهم وتضرعت الى الله من اجلهم فاجاب تضرعها واشفاهم من امراضهم فرجع الاعرابي وابنهُ والشاب المار ذكره الى بلدهم شاكرين الله تعالى وحامدين فضل مرحومة واحسانها

واما ما كان من امر مرحومة وزوجها فانهما مكثا عند الوالي ثلاثة ايام ولم يدعهما ان يسافرا من عنده الاَّ اضطرارًا لانهُ كان يروم ان يبقيا عندهُ دائمًا لما راى من فضلها وبرهما ولانهُ احبهما حباً شديدًا فاجزل عليهما العطا ورحلهما الى بلادهما وهما يبثان الشكر لحامد اخلاقهِ ويحمدان كرمهِ وجوده فوصلا الى بلادهما بالسلامة وعاشا عقيب ذلك زمانًا طويلاً باتم رغدٍ واحسن عيش متذكرين هذه الحكاية ومتاثرين منها حتى اتاهما هادم اللذات

ومفرق الجماعات

فلما انهت امراة الجندي مقالتها هذه اردفت كلامها قائلة : فالان ينتج من هذه الحكاية ان عفاف الامراة وفجورها منوطان بها فان كانت تبغي المباغاة باغت احترس عليها زوجها او لم يحترس وان كانت تحافظ على طهارتها حفظتها من كل غائلة غائباً كان زوجها او حاضراً كما يتضح ذلك جلياً من مثل مرحومة المار ذكرها . فانا قد منحني الله تعالى من فيض كرمهِ حب الفضيلة والعفاف فسواء كنت في البيت او لم تكن فاني احافظ على طهارتي واصون نفسي من كل دنس . فاذهب الان لكي تسعى لنا في طلب الرزق حتى لا نهلك جوعاً وان شئت زيادة اطمئنان من نحوي فخذ هذه الوردة واحترس عليها واحذر من ان تدعها من يدك دقيقة واحدة فكلما رايتها طريئةً نامية اعلم اني على جانب عظيم من الطهارة وان رايتها لاسمح الله قد ذبلت فاعلم اني حينئذ قد خنتك وملت الى الفساد اعوذ بالله من ذلك فاطمأن بالاً لنحوي ولا يشق عليك فراقي فقم واذهب الى العاصمة والتجِ الى احد الامراء فيا تيك خيراً

فاستحسن الجندي هذا الكلام واذعن لنصيحة زوجتهِ فقام لساعتهِ وبعد ان ودعها سار الى العاصمة واتي احد الامراء وكان معروفاً بمحامد الاخلاق ومشهوراً با لكرم والجود فتقيد الجندي بخدمتهِ وكان دائماً ساهراً على اتمام واجباتهِ ولهذا السبب احبهُ الامير حباً شديداً وصار يعاملهُ بالاحسان ويحسن الالتفات اليهِ وابلغهُ الى اعلى درجة واقامهُ رئيساً على خدمهِ واعوانهِ حتى اخذ الدالة عليهِ وصار يتقرب منهُ في كل حين بدون استئذان وكان يحضر كل يوم مجلس الامير والوردة في يدهِ ولم يكن يتركها دقيقة واحدة وكان الامير يرى هذه الوردة فيظن ان الجندي يقطف كل يوم وردة من البستان ولذلك لم يكن يسا لهُ عنها ولكن فقد مضى فصل الربيع والصيف واتى فصل الخريف واستؤصل جميع اصناف الزهور والرياحين ولم يزل الامير يرى الوردة بيد الجندي فتعجب من ذلك وقال في نفسهِ : لا يخلو هذا الامر من

شيء عجيب فدعا الجندي البوسا له قائلاً: من اين تقطف كل يوم وردة اخبرني حقيقة الامر ولا تكتم عليَّ شيئاً فلم يرَ حينئذٍ الجندي ان يكتم حقيقة امرهِ بل اخذ يقص على الامير حقيقة الواقع كما هي وقال: ما زالت هذه الوردة طرية فاعرف ان زوجتي لم تنبذ وصيتي حافظة طهارتها وان ذبلت هذه الوردة اعرف انها تدنست ومالت الى الحرام. فلما سمع الامير كلامهُ ضحك عليهِ وقال له: ايها الجندي كنت اعهدك عاقلاً فاذا انت على جانب عظيم من الحماقة لانك لم تعرف مكر امرأتك الخادعة الماكرة فاعتمدت على كلامها وصدقتهُ وليس هو بالحقيقة الا كذب وخداع ولاشك انها بعد ذلك تشمت بك اذ ترى انها خدعتك فانغشيت يا احمق وظننت زوجتك طاهرة عفيفة مع انها فاجرة ساحرة اوجدت هذه الوردة بسحرها حتى تبعدك عنها لتنال مطلق الحرية ولا ريب انها بعد ان ابتعدت عنها انعكفت على المعاصي والفجور فسرتك في المبدا واحزنتك في المنتهى فلا تفرح بخلّ تسرك مباديهِ وتسوءك عواقبهُ لان قد قال الشاعر

وزهدني في الناس معرفتي بهم ... وطول اختباري صاحباً بعد صاحبِ
فلم ترني الايام خلاً تسرني ... مباديهِ حتى ساءني في العواقبِ
ولا كنت ارجوهُ لدفع ملمةٍ ... من الدهر الا كان احدى النوائبِ

واما الجندي فلم يصدق هذا الكلام ولم يتغير ظنهُ بزوجتهِ لكنهُ لم يجاوب الامير بل لبث صامتاً واسر الامر في قلبهِ وانصرف

فلما تفرق المجلس وانصرف كل الى محلهِ اخذ الامير يتفكر في امر الجندي وزوجتهِ ويفكر في وسيلة يثبت بها على الامراة ارتكاب الفحشاء والفجور ليوكد صدق ما قالهُ للجندي فدعا اثنين من اعوانهِ اسم احدهما حسيب وهو الاكبر والثاني نسيب وهو الاصغر وهما اخوان وكان الامير يحبهما حباً مفرطاً لحسن اخلاقهما وخلقهما ولشدة ما اتصفا بهِ من الفراسة وجودة العقل والفطنة والحماسة وكان جل اعتماده عليهما فلما حضرا بين يديهِ اخبرهما ما توقع له مع الجندي

واستشارهما في كيفية نوال مآربه وقال لهما : ان هذا الامر يهمني جدًّا ولا يروق لي عيش ما لم انل غايتي فما العمل بذلك فقام حسيب وقال له : يا مولاي ان هذا الامر ليس بعسير فامرني ان اذهب الى مدينة الجندي وافحص مدققًا عن حالة زوجته واتجسس سائر احوالها فربما اتوصل الى نوال وصالها فاعطني فرصة خمسة عشر يومًا حتى اذهب واعود اليك واخبرك بما يكون فاستصوب الامير رأيه واعطاهُ مهلة خمسة عشر يومًا ليذهب و يعود واعطاهُ مالاً وافرًا لينفقهُ في سفرهِ فاخذ حسيب يتاهب للسفر وتنكر وسار مسافرًا حتى افضى الى مدينة الجندي فنزل في منزل المسافرين و بعد ان استراح قليلاً اخذ يطوف في المدينة واذ نظر في احدى المنتزهات جماعة من الشبان يتفاكهون في الحديث جلس معهم وتعرف بكل واحد منهم وصار يسالهم عن عوائد المدينة وقال المثل : الكلام يجر الكلام وعليهِ حيث كانوا ساعتئذٍ يتجاذبون اطراف الحديث عرضوا بذكر محبة النساء ووصالهن وحظو العيش والمعاشرة معهنَّ فاظهر لهم حسيب انهُ يرغب ويتمنى بديعة حسن يواصلها وفريدة خلق يغازلها وسالهم باية واسطة ينال ماربهُ فاجابوهُ انهُ يوجد في هذه المدينة عجوز مخضبة الاصابع و باحدى يديها عصا و باليد الاخرى سبحة مركبة من خمسمائة حبة . ودأب هذه العجوز ان تطوف الاسواق في النهار وتصلي على الطريق وتتظاهر بالعبادة والندامة وان صادفها رجل في الطريق ركعت امامهُ وقبلت الارض وطلبت منهُ المغفرة حتى ان كل من ينظرها يتبرك منها فهذا ظاهرها واما باطنها فهو باطن اخبث الشياطين لانها تتعاطى المكر والخداع وتغش الكبير والصغير وتخدع الحكيم مثلما تخدع الجاهل وكم اخرجت من النساء المحصنات الى طريق المعاصي لانهُ لم يقصدها عاشق الا و بواسطتها نال مبتغاه واخذوا من ثم يطنبون بمدح هذه العجوز فلما سمع حسيب كلامهم رقص فرحًا وطربًا فانتظر بفروغ صبر تفرق المجلس فلما تفرق اخذ حسيب يطوف في المدينة و يسال عن العجوز حتى عثر عليها فحياها وجلس يقص

عليها خبره ووعدها بكثيرمن المال اذا استمالت اليه زوجة الجندي فتعهدت له بذلك وقالت له: اطمان بالاً لانني سافرغ جهدي لكي تنال ما ترغب باقرب وقت ثم قامت لساعتها واتت امراة الجندي وحيتها وقالت لها: ما بالك منذ رحل عنك زوجك لازمة الخلوة في بيتك ولا تخرجين للمتنزهات حتى تفرجي غمتك فان من عوائد الغواني الحسان ان يرغبن في معاشرة الشبان لا سيما اذا كانت الامراة جميلة المنظر مثلك وزوجها غائب عنها وزيدي على ذلك فان زوجك قد خان عهدك واعتاض عنك بغيرك فانا اهديكِ الى من بروق لديكِ لان عندي شاباً جميل الصورة ذا حسب ونسب وعلى جانب عظيم من الغنى فالراي عندي ان ادعوهُ اليك لتتمتعي بوصاله لانك اذا بقيت على هذه الحالة تذهب ايامك سدًى وتصبحين نادمة متاسفة. فلما سمعت امراة الجندي كلام العجوز علمت مرادها وشعرت بخداعها وحيث انها كانت على جانب عظيم من العقل والفطنة اسرت الامر في قلبها وتظاهرت امام العجوز بالاذعان لقولها واجابتها طائعة لارادتها فقالت لها العجوز: ان الشاب الذي وعدتك بهِ هو عندي وقد كلف بك كلفاً شديداً لانه سمع بخصالك الحميدة وبما انت عليهِ من البهاء الفائق وقد ارسلني اليك لاكشف لك سريرته والتمس له وصالك فلا تبخلي عليهِ بالوصال لانه اهل له وانشدت شعر

ما ضرها لو انجزت لعبيدها ... يوماً بوعدٍ من جميل وعودها
هيفاء ان عرفت غنيت بعرفها ... عن طيب عبيرها الذكي وعودها

فاجابتها الامراة: حقاً لقد اقتنعت بكلامك فانا خاضعة لامرك فاذهبي الان وارسلي اليّ هذا الشاب لانظره فان اعجبني صاحبته والا فلا وان بذل لي اموال الدنيا باسرها فلما سمعت العجوز هذا الكلام فرحت فرحاً عظيماً وقامت لساعتها واتت حسيباً وقالت له: بشراك يا سيدي قد نلت مبتغاك لانني اوقعت في قلب الامراة حباً وافراً نحوك وقد طلبت مني ان ارسلك

اليها حتى تراك فاذهب حالا وقابلها فلما سمع حسيب هذا الكلام فرح فرحًا عظيمًا فاسرع واتى بيت الجندي وتعرف بزوجتهِ و باح لها بسره فقالت له: انك لقد صرت محبوبًا عندي لما انت عليهِ من الجمال فانا بين يديك ورهينة امرك لان العشق صيرني لك رقيقة وانشدت

لك ناظرٌ خضع المحب لقهره حاز القلوب باسرها في اسرهِ

الحسن صيره عليَّ محكمًا فانا المطيع لنهيهِ ولامره

ولكن حيث اني الى الان لبثت في بيتي محصنة ولم يسمع احد عني خبرًا مشينًا فابتغي منك كتم السر بغاية ما يمكن حتى تكون احوالنا مجهولة من الجميع لانني لا اريد ان يقف احد على سر برتنا وهذا غاية رجائي منك حتى والعجوز ايضًا لا تدعها تعلم ما صار بيننا بل يجب الان ان تذهب اليها وتقابلها وتقول لها: ان امراة الجندي التي اهديتني اليها لم تعجبني قط وانما طلبت مشاهدتها لان الناس وصفوها لي بجمال هي عارية منه ولهذا اعرضت عنها وها الان اودعك ونهار غد اسافر ثم تعطيها جائزة وتودعها وتنصرف عنها و بعد ذلك احضر اليَّ واحضر امتعتك الى هنا ولا تدع احدًا يشعر بمجيئك الى بيتي فقام حسيب واتى مقر العجوز وقال لها انهُ اعرض عن امراة الجندي لانها لم تعجبهُ وانهُ قد هم على السفر الى بلاده فاعطاها جائزة وانصرف من عندها ولما جن الليل اتى بيت الجندي فارحًا متهللاً فاستقبلتهُ الامراة بالبشاشة والترحاب و بعد ان استراح قليلاً حضرت لهُ الطعام لياكل وجلست معهُ على المائدة وكانت قبل وفوده عليها ثانية قد افهمت خادمتها بان تهيء لها فراشًا للرقاد وهما على الطعام وعند ما يذهبان الى الرقاد تذهب الى الباب وتقرعهُ قرعًا قويًا ثم تاتي وتناديها بان اخاك الاكبر اتى وهو واقف يقرع الباب. فاذعنت الخادمة لقول سيدتها و بعد الاكل جلسا يتفاكهان بالحديث ثم نهضا واتيا الخبا وخلعا ثيابهما واستعدا للرقاد فعند ذلك قرع الباب فاسرعت الخادمة وصرخت باسم سيدتها وقالت لها: ان اخاك الاكبر قد اتى وهو واقف يقرع

الباب فلما سمعت الامراة هذا الكلام تظاهرت بالحزن والاندهاش ونظرت الى حسيب وقالت له : لم يعد لي حيلة بذلك فما يكون من حالي وامري اذا راك اخي هنا ثم سكتت هنيهةً وقالت له : لا تخف ولا تجزع لان اخوتي مقيمون في بستان خارج المدينة وكل خمسة اوعشرة ايام ياتي احدهم ليفتقدني و يقضي عندي ليلة واحدة وعند بزوغ الصباح يرجع الى محله لكن عندي محلاً خفياً اي بيت تحت الارض فتعال معي واقم فيه حتى يدخل اخي ولا يراك وبعد ذلك نهتم في امرك فاخذته حينئذٍ بيده وانت به الخزن وانزلته فيه وحبسته هناك ولم يكن عليه حينئذٍ سوى قميص ولباس حيث كان قد خلع ثيابه وتهيا للرقاد فبقي هذا المنكود الحظ تحت الارض كل تلك الليلة عريانًا بلا غطاء ولا فراش نائمًا على الحضيض وعيناه غائصة بالدموع السخينة واما ما كان من امر العجوز فانها كانت متيقنة ان حسيبًا رجع الى بلاده ولم تكن تعلم انه دفن تحت الارض حيًا فقضى ليلته حزينًا باكيًا نائمًا على التراب حتى اصبح الصباح فلما طلعت الشمس انت اليه الامراة واخذت تخاطبه من خارج البيت وتقول له : ايها الشقي التعيس لقد رماك القدر فلا ينفعك الحذر قل لي ما هو سبب مجيئك من بلادك الى هنا وما هو قصدك ورغبتك قص عليّ حقيقة الواقع وان شئت ان تنجو من هذا السجن المريع فاعتصم بالصدق لانه شفيع المذنب وان اعتصمت بالكذب فوالله لاميتنك شرميتة قالت هذا وصارت تتوعده وتتهدده بشر عظيم فخاف حسيب خوفًا شديدًا لانه كان غريبًا واقعًا في شرك لا يستطيع منه خلاصًا ومن ثم راى ان لا نجاة له ما لم يتكلم بالصدق فاخذ حينئذٍ يقص على الامراة حقيقة امره وغايته وما توقع لبعلها مع الامير وان سبب قدومه الى تلك المدينة ليجربها و يقودها الى الفحشاء فتعجبت الامراة من كلامه وحمدت الله تعالى وشكرته لانه حفظ طهارتها من الدنس وانقذها من هذه التجربة ثم نظرت الى حسيب وقالت له : حيث قد صدقت في ما قلت واخبرتني حقيقة الامر فقد نجوت من الهلاك

فالان لا تخف بل اصبر حتى ترى اخر الامر فها انا متوجهة لزيارة المعبد فامكث انت هنا ولا تجزع ثم اعطتهُ قليلاً من الطعام والماء بقدر ما يقيهِ من الموت جوعاً وانصرفت

هذا ما كان من امر حسيب والامراة واما ما كان من امر الامير فانهُ اضحى منتظرًا رجوع حسيب يوماً بعد يوم ففي اخر الامر عيل صبرهُ واصبح في حيرة عظيمة لان حسيباً اخذ فرصة خمسة عشر يوماً حتى يذهب الى مدينة الجنديّ ويعود فمضت هذه الفرصة ومضى عشرون يوماً وثلاثون ولم يعد من سفرهِ ففرغ صبر الامير وضاق صدرهُ وخاف خوفاً شديدًا على رسولهِ لانهُ كان يخشى من ان يقف احد على امره

فبينما كان ذات مرة غائصاً في بحر الافتكار دعا نسيباً اخا حسيب واخبره بما كان من امر اخيهِ واستشاره في ذلك لانهُ كان قد مضى ثلاثون يوماً ولم يعد يقف الامير على خبرهِ وقال لهُ: انني لقد صرت بانشغال فكري نحو اخيك وحزنت حزناً شديدًا ادرك بي درجات الهلاك فقد دعوتك الان لارى ما عندك من الراي في امر اخيك فاطرق نسيب هنيهة ثم قال: لا تحزن يا مولاي لان هذا ليس بامرٍ عسير ولكن لا يثقلن عليك اذا ابديت رايًا فلعلهُ يفوز لديك بالقبول فاجابهُ الامير: تكلم ايها الفتى العاقل ولا تخف لانني اعتمد عليك لما اعهد من فطنتك ودرايتك فقال نسيب: الا تسمح يا مولاي بان اتبع اثار اخي وتمهلني خمسة عشر يوماً حتى اذهب وافتقد احوال حسيب واتجسس احوال امراة الجندي واطلع على سريرتها واعود اليك بعد الخمسة عشر يوماً واقص عليك ما يكون. فاستحسن الامير كلامهُ وسمح لهُ ان يسافر الى مدينة الجندي ليفتقد اخاه ويتجسس احوال الامراة المار ذكرها فتاهب حينئذ للسفر وجمع كل ما يلزمهُ في غربتهِ واعطاه الامير مالاً وافرًا وبعد ذلك سار مسافرًا وباذلاً في السير كل ما في وسعه حتى افضى الى المدينة المقيمة فيها زوجة الجندي فدخلها فارحاً ونزل في منزل الغرباء الذي نزل

فيهِ اخوه من قبله فلما نظره الشبان اصحاب اخيهِ ظنوه حسيبا لقرب المشابهة بينهما فترحبوا بهِ لكنهم علموا اخيرًا انهُ ليس بحسيب بل اخوهُ فابدوا لهُ الاكرام وجلسوا يتفاكهون معهُ بالحديث وحيث انهم كانوا جميعًا من العشاق اخذوا يتحدثون عن العشق واحوالهِ واخبروا نسيبا عن العجوز التي اهدوا اخاه اليها وقالوا لهُ: كل من استصعب امرًا يسّرتهُ لهُ وانهُ اذا قصدها بلغتهُ مراده . فلما سمع نسيب هذا الكلام فرح فرحًا عظيمًا وقام لساعتهِ واخذ يطوف في اسواق المدينة وشوارعها حتى صادف العجوز فحياها بالسلام وطلب اليها ان تستميل اليهِ زوجة الجندي لينال وصالها وانهُ يعطيها كثيرًا من المال اذا ادركت بهِ غايتهُ فاجابتهُ العجوز يا ابني انهُ اتاني من مدة شاب جميل الصورة يشابهك كثيرًا وطلب مني ما طلبتهُ انت فابلغتهُ مراده وارسلتهُ الى الامراة المار ذكرها غير انهُ رجع اليَّ في اليوم التالي وقال لي انها لم تعجبهُ قط فاعرض عنها وعزم على الرجوع الى بلده فباطلا تعبت امامهُ وباطلاً اجتهدت ولكن لا باس اذا سعيت هذه المرة لاجلك فعسى ان تعجبك هذه الامراة ولا تكون مثل ذاك الشاب الغرور

ثم قامت العجوز مسرعة واتت بيت الجندي واخبرت الامراة بان عاشقًا جميل الصورة ذا حسب ونسب وغني وافر يطلب وصالها وصارت تحثها على اجابة طلبها فاجابتها العجوز : ايتها الامراة انك تعلمين اني لا اخالف قط امرك اذ لا يسعني ان ارفض نصيحتك غير انك احضرت لي قبلاً شابًا جميل المنظر فاحببتهُ من اول نظرة لكنهُ اتى الى هنا مرة واحدة وما عدت نظرتهُ فصح فيهِ ما قيل: ان الشبان لا وفاء لهم . وحيث قد احببت ذلك الشاب وقلبي تعلق بهِ وهو لم يرعَ الوفاء بل اعرض عني فلا عدت اريد منذ الان مصاحبة غيره لانهُ لا عطر بعد عروس وفضلا عن ذلك فاني اخشى ان يكون هذا عديم الوفاء مثل ذاك فاجابتها العجوز لا يشق عليك فراق ذاك الشاب لان هذا اجمل منهُ صورة واكرم منهُ اخلاقًا ولا شك انهُ يكون ذا وفاء لان ليس كل الناس سواء بل بينهم تفاوت عظيم في الفضل ورعاية العهود وقد

قال الشاعر

ترى الناس اسواء اذا جلسوا معًا وفي الناس زيف مثل زيف الدرهم

فاجابتها زوجة الجندي . يا امي فليحضر هذا الشاب اليّ مرةً واحدة حتى انظره فان اعجبني نال رضائي ومحبتي والا فاصرفهُ عني عاجلاً . فلما سمعت العجوز هذا الكلام فرحت فرحًا عظيمًا ثم قامت واتت مسرعة الى نسيب وبشرتهُ بنوال مرغوبهِ واوعزت اليهِ بان يذهب الى الامراة . ففرح نسيب فرحًا شديدًا وقام لساعتهِ وذهب الى امراة الجندي فاستقبلتهُ كما استقبلت اخاه وقالت لهُ . حذار من ان تدع احدا يعرف باسرارنا حتى والعجوز ايضًا فلا تبح لها بشيء بل اذهب اليها وقل لها . ان امراة الجندي لم تعجبني فاعرضت عنها وها انا الان مسافر الى بلدي ثم تعطيها جائزة وتنصرف وعندما يدلهم ظلام الليل هلمّ الى هنا واحضر حوائجك ولا تدع احدًا يشعر بمجيئك الى بيتي . فقام نسيب عند ذلك واتى الى العجوز المتقدم ذكرها وقال لها . ان كثيرًا ما وصفوا لي هذه الامراة بالبهاء والجمال ولكني رايتها بخلاف ما وصفوا فاعرضت عنها وها انا الان راحل الى بلدي قال هذا واعطاها جائزة وانصرف عنها

فلما ظل الليل اتى نسيب بحوائجهِ الى بيت الجندي فترحبت بهِ الامراة وعاملتهُ كما عاملت اخاه واوصت الخادمة كما اوصتها سابقًا . فبعد الاكل اتيا الخباء وخلع كل منهما ثيابهُ ولما استعدا للرقاد قرع الباب فحينئذٍ اسرعت الخادمة ونادت سيدتها قائلة بان اخاها يقرع الباب فعند ذلك تظاهرت الامراة بالخوف والرعبة واتت بنسيب الى البيت الذي حبست فيهِ اخاه ووضعتهُ فيهِ واغلقت الباب وانصرفت . فلما نظر حسيب اخاه انطرح على عنقهِ وقبلهُ وجلس كل منهما يقص خبره على الاخر ويذرف الدموع السخينة

واما ما كان من امر الامير فانهُ اصبح في حيرةٍ عظيمة وحزن لا مزيد عليهِ لان المهلة المعينة لرجوع نسيب قد انقضت ولم يرجع فبات الامير ينتظره بفروغ صبر واذ لم يعد اليهِ ازداد قلقهُ وتحيره وقال في نفسهِ . لابد من ان

اذهب بذاتي الى مدينة الجندي لاتجسس احوال زوجته وارى ما صار من امر حسيب ونسيب . فمن ثم دعا الجندي اليه وقال له . ان لزوم الخلوة اضناني وقد استصوبت التفرُّغ عن الاشغال والتنزُّه في المدن والقرى لافرج همي وغمي واريد الان ان اذهب الى مدينتك لانها موصوفة بمتنزهاتها وفيها كل ما يقر الخاطر ويسر الناظر . فاجابهُ الجندي . يامولاي ان امرك احق ان يطاع وتشريفك المدينة مما يكسبها شرفًا وفخرًا و يوليني اعظم فرح ومسرة فاجابهُ الامير قائلاً . اذن تهيأ للرحيل لان غدًا نسافر الى المدينة باكرًا . فتاهب الجندي واستعدت حشم الامير ولما اصبح الصباح اسرجوا الخيول وامتطأ كل جواده وساروا مسافرين الى ان افضوا الى المدينة فنزلوا في بيت الجندي حيث استقبلتهم زوجتهُ بمزيد الترحاب والاكرام ولما قابلت زوجها اخبرتهُ سرًّا ما كان من امر حسيب ونسيب فسالها زوجها . اهما للان في السجن فاجابتهُ . نعم لكن لا تعلم بهما احدًا فقال لها . نعمَ ما فعلتِ

ثم قامت الامراة وهيأَت لهم الطعام و بعد ذلك اتت الى المخزن ودعت حسيبًا واخاه وقالت لهما . ان عندي اليوم وليمة عظيمة دعوت اليها اميرًا من اعظم الامراء وانا محتاجة الى الخادمات فان شئتما ان تتما هذه الوظيفة وتخرجا من السجن فهلما معي فالبسكما ثياب نساء حتى يظنكما الحاضرون نساء لكونكما على بهاء عظيم و بعد ذلك اطلق سبيلكما . فلما سمعا هذا الكلام فرحا فرحًا عظيمًا لانهُ تيسر لهما ان يخرجا من الظلمة الى النور فامتثلا امرها وتبعاها فارحين فالبستهما ثياب نساء واحضرتهما الى المطبخ وصارت تعطيهما الطعام ليقدماه الى المائدة فلما تقدما الى محل المائدة ونظرا الامير سيدهما والجندي و بعض الحشم طار عقلهما من الحيرة والاندهاش ولما راهما الامير تعجب تعجبًا شديدًا فاجلسهما بين يديهِ وسالهما عن احوالهما فاخبراهُ بكل ما توقع لهما وطفقا يمدحان زوجة الجندي لجودة عقلها وعفافها فاخذ الامير العجب من هذا الامر واذ وجد الامراة على خلاف ما توهم خجل منها خجلاً عظيماً فاعتذر

لها وشكرها على صونها وعفافها واكرمها اكراماً جزيلاً واعطاها كل ما كان قد احضره معهُ من الجواهر والحلي وصار منذ ذاك اليوم يزيد في اكرام زوجها ويبالغ في الاحسان اليهِ حتى اصبح على احسن حال واتم منوال

فلما وصل الببغاء الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال لها . ياسيدتي انني اخشى من ان تاخرك عن الذهاب الى حبيبكِ يوقع بينكما الخلاف فتصيرين في خجل عظيم منهُ كما خجل الامير المار ذكره من امراة الجندي لانهُ يحتمل قدوم زوجك ساعد من سفره قبل ان ينال حبيبك مبتغاه منكِ فبالله عليك لاعدتِ تماطلين بل اذهبي في هذه الساعة الى حبيبك الذي كابد مشقة عظيمة لا يعرفها الاّ من كابد الشوق والهيام ولله در من قال

لا يعرف الشوق الاّ من يكابدهُ ولا الصبابة الاّ من يعانيها

فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام كادت تطير من الفرح فقامت مسرعة قاصدة حبيبها غير انها لما فتحت الباب رأَت قد اصبح الصباح وانسخ ظلام الليل فظهر كل شيء علناً كما ظهرت اسرار حسيب وسبيب فتاسفت وتاوهت وعادة الى حجرتها نائحة باكية وقضت ذاك النهار متقلبة على نار الهوى ولم تكن تداويهِ سوى بالرقاد وبقيت على هذه الحالة حتى ظل الظلام واسدل سواد ستاره على الانام فعند ذلك قامت فتطوست وتبرقشت وانت قفص الببغاء فوجدتهُ غائصاً في بحر الافتكار ومطرقاً في الارض حتي خال لها بانهُ قد مات فحينئذٍ تقدمت اليهِ وهتفت صارخة . بماذا تفتكر ايها الببغاء فاجابها قائلاً ياسيدتي ان امرك اعظم ما يهمني كما قلت لك مراراً فكيف لا اتفكر في احوالكِ وانا صديقكِ الوحيد وليس لكِ نصير سواي فان اهملتكِ فمن يفتكر فيكِ وها انى الان غائص في بحر الافتكار لاارى بماذا اداوي وجعك ولكن وااسفي لقد اضناني السهر ومناني التعب ولكثرة افكاري غبت عن الصواب . فسالتهُ قمر السكر وما هذه الافكار التي اشغلت بالك في هذه الليلة فاجابها الببغاء : انني كنت متفكرا في صداقتك مع الامير فهل ياترى

هي ناتجة عن محبة شديدة متبادلة بين الجانبين ام هي من الجانب الواحد فقط فان كانت من الجانبين فهي اعظم حظ وسعادة والا فلا طائل تحتها بل لعمري ستكون عاقبتها وخيمة وهذا امر مقرر كما يظهر من حكاية تلك الببغاء الحكيمة مع السلطان لان المحبة كانت من جهة واحدة اي من جهة السلطان الذي اشفقته البغاء من مرضهِ العضال والا لم يكن لهذه المحبة اس وطيد فلم تكن عاقبتها على ما ترغب السلطان . فسالتهُ قمر السكر وكيف كانت تلك الحكاية

حكاية

قال البيغاء: انهُ كان في مملكة كامرو ببغاء حكيمة عاقلة ماهرة في فن الطب فاتت يوماً ما الى شجرة عالية ووضعت عشها فيها وافرخت وكان عدد افراخها خمسة عشر فرخاً وكان تحت الشجرة وكر فيهِ ثعلب ولهُ افراخ كثيرة

فاقامت الببغاء زماناً طويلاً في هذه الشجرة تربي افراخها غير انها كانت في بعض الاحيان تذهب للاصطياد وتترك الافراخ في عشها فكانت هذه تنحدر من الشجرة وتلعب مع صغار الثعلب فما لبثت الببغاء حتى عرفت بذلك فتكدَّرت لانها كانت تخشى منهُ سوء العاقبة فاخذت من ثم توبخ اولادها وتنصحهم ليرتدعوا عن هذا العمل الذي كان يشق عليها وجلست تخبرهم عن احوال الدنيا واهوالها وما فيها من الكوارث والاخطار سيما لمن يالف غير جنسهِ وانهت مقالتها بقولها لهم: يا قرة العين ان كنتم ترغبون في اللعب فالعبوا مع ابناء جنسكم لان العاقل لا يصاحب غير جنسهِ وقد قيل: كل شيء ينفر من ضدهِ ويميل الى ندهِ وقال الشاعر:

ولا يالف الانسان الا نظيره وكل امرءٍ يصبو الى من يشاكله

ومن صاحب غير ابن جنسهِ كانت عاقبتهُ وخيمة فبالله عليكم ارتدعوا عن غيكم ولا عدتم تعاشروا صغار الثعلب لان هذا لا يليق بكم لاننا من اشرف الخلائق وذاك جنسهُ من اخسها وادناها والفرق بيننا وبين الثعلب كالفرق بين السما والارض فلا اريد منذ اليوم ان تعاشروا افراخه ولا تنظروا اليها . واما

الافراخ فلم يذعنوا لنصيحة امهم ولم يقلعوا عن عادتهم الامر الذي زاد كدر والدتهم وغيظها فاخذت تهددهم بالضرب والقصاص الشديد فلم يتوبوا بل استمروا على ما كانوا عليهِ

فيوماً ما رأتهم امهم يلعبون مع صغار الثعلب فغضبت غضباً شديداً وضربتهم ووبختهم ثم جلست تنصحهم وتقول: اعلموا يا ابني ان بين الخلائق تفاوتاً عظيماً فمنهم من يكون شريفاً فلا يليق بهِ ان يصاحب من كان حقيراً دنياً لان عاقبتهُ تكون شراً وليس للمخلوق ان يصاحب من هو من غير رتبتهِ ولهذا لا يصاحب الانسان طيراً ولا الطائر دابةً فكيف يليق بكم اذاً وانتم من جنس الطيور ان تعاشروا صغار الثعلب التي هي من الجنس الادنى الا تعلمون ان مصاحبتها تلحق بكم العار وتنزع عنكم حلة الشرف والكرامة فاقلعوا عن هذه العادة فتصادفوا حظاً وافراً وان خالفتم وصيتي انزل الله عليكم شر داهية لان من لا يطيع والديهِ يقتلهُ الله ولا شك انهُ يصيبكم اذا نبذتم وصيتي ما اصاب القرد. لما لفتهِ وصية ابيهِ فسالتها الافراخ وما هي حكاية القرد وما اصابهُ

حكاية

قالت الببغاء: زعموا انهُ كان في احدى المدن حصن منيع وكان محافظاً عليهِ احد القواد الباسلين وكان لهذا القائد ولد متولع بلعب الشطرنج وكان في احدى جدران الحصن قرد مسن ولهُ ولد يدعى زيرك وكان هذا متانساً ومتجنساً بجنس البشر فلم يلبث حتى تصاحب مع ابن القائد وكان في غالب الاوقات يلعب معهُ بالشطرنج وفي بعض الاحيان كانا يتخاصمان ويتشاجران لكنهما كانا بعد ذلك يصطلحان ويعودان الى اللعب واما اقارب زيرك فكانت تسوءهم معاشرتهُ لابن القائد لانهم كانوا يخشون من ذلك سوء العاقبة فيوماً ما تقدم احدهم الى ابيهِ واشار اليهِ بان يردعهُ عن مصاحبة ابن القائد ليلا يقع في شركٍ يصادف فيهِ الهلاك . فسر القرد من هذه

النصيحة ودعا ابنهُ زبرك اليهِ واخذ ينصحهُ ويحثهُ على ترك مصاحبتهِ ابن القائد قائلاً لهُ: يا ابنيَّ دع مصاحبة هذا الرجل لانها ربما تكون سبب هلاكك لان من عاشر غير ابن جنسهِ كانت عاقبتهُ البوار ويلزمنا بالاخص ان نجتنب مصاحبة ابن ادم لان شيمته المكر والخداع فحذارِ حذارِ من مصاحبتهِ لانهُ قد صح فيهِ ما قالهُ الشاعر:

يعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ

قال هذا وصار تارةً يتوعدهُ وطورًا يلاطفهُ واما زبرك فلشدة رغبتهِ بلعب الشطرنج لم يذعن لنصيحة ابيهِ بل بقي مصرًّا على غيهِ وجاريًا على عادتهِ

فيومًا ما صنع ابن القائد وليمة فاخرة ودعا اليها سائر اصحابهِ فلما اجتمع المدعوون اخذ ابن القائد يلعب بالشطرنج مع ميمون زبرك وكانت عادتهما ان الغالب يسخر بالمغلوب ويستهزئ بهِ واذ كان زبرك وقتئذٍ غالبًا اخذ يسخر بابن القائد ويضحك عليهِ فخجل المغلوب من اصحابهِ وهاج غضبهُ فاخذ الشطرنج وكان من سن الفيل وضرب فيهِ المسكين زبرك على راسهِ فشجهُ لكن زبرك لم يخف بل لشدة المهِ نسي حقوق المودة القديمة فوثب على الامير وعضهُ في وجههِ وجرحهُ جرحًا بليغًا فصاح ابن الامير بمن كان حاضرًا ليمسكوا زبرك الا انهُ لم يكن الا كلمح البصر حتى فرَّ هاربًا من امام الجماعة وانساب في محل مستحكم في الحصن واما ابن القائد فكان يزداد وجعهُ يومًا بعد يوم فعالجهُ اشهر الاطباء الحاذقين فلم ينجع بهِ الدواء حتى آيسوا من شفائهِ ووقع اهلهُ في حزن عظيم وكدر جسيم وصاروا يبكون وينوحون وفي تلك الاثناء وفد عليهم طبيب حاذق من بلاد اليونان ولما اشرف على مرض ابن القائد وجرحهِ قرر بان ليس لهُ دواء سوى دم القرد الذي جرحهُ فيعمل بهِ مرهم ويدهن بهِ الجرح فيشفى فامر القائد غلمانهُ ان يفتشوا على زبرك ويلقوا القبض عليهِ ويأتوا بهِ الى الطبيب فاتت الغلمان بهِ وذبحوهُ امام الجماعة واخذ الطبيب من دمهِ فصنع مرهمًا وصار يدهن بهِ الجرح مدة بضعة ايام فنال ابن

القائد شفاء تامًا

فلما انهت الببغاء الحكيمة هذه الحكاية نظرت الى اولادها وقالت لهم تاملوا يا بني بما كان من عاقبة ميمون زيرك المنكود الحظ فان معاشرتهٔ لابن القائد كانت سبب هلاكهِ ولا غرو فان هذه عاقبة كل من اقتفى اثره فبالله عليكم دعوا مصاحبة صغار الثعلب لئلاَّ تهلكوا كما هلك ميمون زيرك واما افراخ الببغاء فحيث انها كانت على جانب عظيم من الحماقة والغباوة فلم تذعن لوصية امها بل بقيت على عادتها المار ذكرها فكان بالقضاء والقدر ان يومًا ما ذهب الثعلب للصيد ليصطاد لصغارهِ ما تقتات بهِ واذ لم يجد شيئًا في ذلك النهار تاخر عن الرجوع الى وكره فاتى حال غيبتهِ وحش ضارٍ فمرَّ تحت الشجرة المار ذكرها ووافق بصغار الثعلب وافترسها فرجع الثعلب الى وكره وتفقد افراخهُ فلم يجدها فتاكد انها هلكت فصار حينئذٍ يبكي و ينوح حتى اجتمع عليهِ جماعة من الثعالب وشاركوه بحزنهِ ونحيبهِ لكنهُ علم اخيرًا ان افراخ الببغاء كانت سببًا لهلاك صغارهِ لان تغريدها جلب الوحوش الى الشجرة واذ لم يمكنها التوصل الى الشجرة لعلوها فقد افترست افراخه فعند ذلك تحركت حفائظة على افراخ الببغاء وصار اذ ذاك ينتهز فرصة تمكنهُ من الانتقام منها واذ لم يجد حيلةً لذلك عيل صبرهُ وذهب فيهِ الحزن كل مذهب الا انهُ كان لهُ صديق صدوق وهو القنفذ فاتاه واخذ يبكي امامهُ و يشرح لهُ مصيبتهُ وقال لهُ. يا اخي ان افراخ الببغاء قد دب في قلبهم الحسد فاثكلتني اولادي وانزلت على راسي اعظم بلية ولم ازل اترقب فرصة للانتقام غير اني لم اجد حيلة لاهلاكها فاجابهُ القنفذ : يا اخي ان حيل الثعلب ومراوغته مشهورة فكيف لم تجد حيلةً لاهلاك عدوك فاجابهُ الثعلب : يا اخي ان فقد اولادي سبب لي حزنًا شديدًا اعمى بصيرتي وشتت عقلي ولم يعد يخطر ببالي حيلة لاهلاك عدوي فلهذا جئت اليك مستجيرًا بحكمتك فقال لهُ القنفذ : قد عنَّ لي الان راي سديد ووجدت حيلةً لطيفة وهي ان تذهب وتظهر لبعض الصيادين وتتظاهر بالضعف

والعجز وانك مجروح في رجلك فتتعارج امامهُ فانهُ اذا نظرك الصياد على هذه
الحالة فلا ريب ان يطمع بصيدك فيتبعك واما انت فلا تهرب من امامهِ
بل سر قدامهُ سيرًا خفيفًا حتى تصل الى الشجرة التي فيها فراخ البيغاء فعند ذلك
اسرع راكضًا حتى تغيب عن نظره فمتى ايس منك فانهُ يلبث واقفًا تحت
الشجرة ملتفتًا يمنةً وشمالاً فيرى فراخ البيغاء فيصطادها فاستصوب الثعلب
هذا الراي واستحسن هذه الحيلة وقام لساعتهِ وفعل كما اشار عليهِ القنفذ وبالحقيقة
ان هذه الحيلة كانت طبق المرغوب لانهُ لما نظر الصياد الثعلب على الحالة
المتقدم ذكرها صار يتبع اثاره حتى بلغ الشجرة المتقدم ذكرها فعند ذلك اسرع
الثعلب راكضًا وتوارى عن نظره فلما وصل الصياد الى الشجرة بهت واقفًا ونظر
فراى فراخ البيغاء فعند ذلك اعرض عن الثعلب وطمع في اصطياد البيغاء
وافراخها وفي الحال اخرج شبكتهُ والقاها على الشجرة فوقعت البيغاء وافراخها
فيها فاعتراها جميعًا الخوف والرعبة واما البيغاء فحيث كانت حكيمة عاقلة ارعوت
واعتصمت بالحيلة وقالت لافراخها: انني كنت دائمًا اخاف من ان يصيبكم
مصاب لمخالفتكم وصاياي وها الان قد سمح الله بذلك واوقعكم في بلية عظيمة
لكن لا تخافوا ولا تجزعوا لان على المخلوق ان يحذر من المصائب قبل ان
تدركهُ واما اذا ادركتهُ فعليهِ ان يشدد عزمهُ ويصبر على الشدة والبلوى لانهُ
قيل: العزائم منازل الابطال والصبر داب الرجال ثم بعد ذلك يسعى ويحتال
في نجاة نفسهِ فالان يابني تشجعوا ولا تخافوا فانا لله واليهِ راجعون وتظاهروا
بالموت حتى اذا راكم الصياد بلا روح يطرحكم خارج الشبكة فحينئذٍ فروا
هاربين واجتمعوا مع بعضكم في محل واحد وانا اكون فديةً عنكم. فاطاع
الافراخ والدتهم وتظاهروا بالموت حتى خال للصياد انهم ماتوا فعند ذلك
تبدل فرحه حزنًا وقال: عجبًا هل كل هذه الطيور مائتة وليس فيها حيٌّ قال
هذا وتفرس فيها فرأى الام وحدها حية وما سواها ميت فطرح حينئذٍ
الافراخ من الشبكة وابقى فيها امهم فعند ذلك فتحت الافراخ اجناحها في

الهواء وطارت فلما راى الصياد منها هذا الاحتيال اشتد كدره وغيظه فقال يا للعجب ان الذي له قيمة عظيمة ويساوي مبلغاً وافراً قد احتال عليّ وفرّ هارباً وبقيت هذه الببغاء الحقيرة الدنية التي لا تساوي درهماً واحداً فاي نفع واية فائدة منها فالاحسن ان اقتلها لان لا فائدة لها. قال هذا ورفع يده ليضربها في الارض فحينئذٍ صرخت الببغاء لخوفها من الموت وهتفت قائلة : ايها الرجل لا تتلف رزقك بالباطل فلما سمع الصياد هذا الكلام جمدت يده ولم يضرّ بها

فعند ذلك صارت الببغاء تفكر في حالتها وتقول في نفسها : قضى الله ان اقع في يد هذا الصياد وقد يسر له بذلك كنزاً ثميناً غير اني اذا لم اخبره بحالي فانه يبيعني بابخس الاثمان الى فقير اعيش عنده في حصن الفاقة والهوان ولا يعود يتيسر لي ان ارجع الى وطني بل ابقى بعيدة عن اهلي حزينة معذبة في سجن مريع فعليّ اذاً ان اعلمه بحالي واخبره بما في باطني من الجواهر الكريمة حتى يطمع في ان يبيعني باعلى ثمن حتى لا يقدر ان يشتريني سوى السلطان ويكون الصياد قد جنى مني نفعاً عظيماً وحزت انا نعمةً وافرة وسعادة لا توصف فاقوم تحت ظل الملك راتعة بالعز والنعم واترجى اذ ذاك اخراجي من السجن ورجوعي الى مسقط راسي وان لم يتيسر لي ذلك فانا راضية بخدمة الملك لانني اكون مكرمة ومحبوبة وقد قيل : خدمة الملوك نصف السلوك وبالحقيقة ان خدمة السلطان هي عين الشرف والسعادة في الدنيا وفي الاخرة لان النظر الى وجه السلطان هو عند الله عبادة ولا سيما اذا اقترنت الخدمة بخلوص النية والصدق لان من كان على هذه الصفة فهو اجدر بالرحمة والسعادة في الدارين ففكرت في هذا واستصوبت هذا الراي ثم نظرت الى الصياد وقالت له : اعلم ايها الرجل انني وقعت في يدك بقضاء الله تعالى وانا على كل حال راضية به فلا تحزن انت اذاً من فرار تلك الافراخ لان الله تعالى قسم لها النجاة ولم يجعلها من نصيبك وهو المنعم على عباده والقاسم بينهم

معيشتهم لانهُ قد قال: نحن قسمنا لهم معيشتهم . ثم اعلم ان هذه الطيور لا قيمة لها لانها جاهلة لا تعرف شيئًا بل انك قد وجدت فيَّ كنزًا ثمينًا فحذارِ حذارِ من ان تبيعني بثمن بخس لانني اساوي مبلغًا وافرًا حيث انني طبيبة حاذقة اعالج سائر الامراض فلا تبيعني اذًا الا باغلى ثمن لأن قيمتي عظيمة جدًّا ولاني مقتنى الملوك والسلاطين . فلما سمع الصياد هذا الكلام تعجب واندهش فاعجبتهُ فصاحة الببغاء وبلاغتها وتاكد حكمتها وفطنتها فاتى بها الى المدينة واخذ يطوف في الاسواق ويدلل عليها مناديًا بما هي عليهِ من العقل والفطانة فتقاطرت الناس اليهِ وصار كل منهم يدفع ثمنًا والاخر يزيد عليهِ وكان كلما تقدم احد الى قفصها وسمع كلامها العجيبة فصاحتها فزاد في ثمنها فمضى على هذا المنوال ايام ليست بقليلة ولم يشترها احد

هذا وكان ملك تلك المدينة قد اعتراه مرض عضال اعيى الاساة حتى آيس الجميع من شفائهِ فاصبح الملك لهذا السبب في غاية الحزن والكدر غير انهُ بلغهُ اخيرًا خبر الببغاء فارسل احد اعوانهِ يشتريها لهُ املًا بانها تشفيهِ من مرضهِ فذهب هذا واشترى الببغاء بمالٍ وافر واتى بها الى بلاط الملك فلما مثلت الببغاء بين يديهِ سجدت وكفرت ودعت لهُ بطول البقاء ونظرت الى جسدهِ وشرعت تعالج مرضهُ بالادوية الفعالة حتى صار السلطان يتقدم الى الشفاء رويدًا رويدًا فلهذا السبب احبها حبًا مفرطًا وامر بان يصنع لها قفص من ذهب مرصع بالحجارة الكريمة فقامت الببغاء فيهِ مكرمة من سائر الخدم وعائشة بارغد عيش غير انها كانت دائمًا تتذكر وطنها واولادها وتتشوق لمشاهدتهم حتى كان يخال لها بان القفص الذهبي سجن مريع

فيومًا ما زاد شوقها الى اولادها حتى عيل صبرها ولم يعد في وسعها احتمال الشوق فقالت في نفسها: لا شك في ان الملك يحبني حبًا شديدًا لانني اشفيتهُ من مرضهِ وانقذتهُ من الموت فيروم من ثم ارضاء خاطري ومهما طلبت منهُ انالهُ الا انهُ ربما يصعب عليهِ ان ياذن لي بالرجوع الى وطني لانهُ يشق

عليه فراقي واما انا وان يكن قد لحقني من خدمتهِ شرف عظيم فلا بدلي من مفارقتهِ لان اولادي ووطني احب شيء عندي ولهذا قيل : حب الوطن من الايمان . وحيث الان قد اشتاقت نفسي الى وطني والى مشاهدة اولادي فيجب من ثم ان اترك هذه الديار وارجع اليهم غير ان الواجب عليّ ان استاذن الملك بذلك قالت هذا ودعت الاطباء الذين كانوا يساعدونها في معالجة الملك وامرتهم ان يركبوا دواء وصفتهُ لهم فلما فعلوا اتت الى الملك والاطباء بمعيتها وقالت لهُ : يامولاي قد صنعت لك الان علاجًا وها هو فليضع منهُ على اقدامك فتسيل دماء الاعصاب والعروق وتسري بحسب عوائدها فتنال شفاء تامًا وفي الحال فعل الاطباء كما اشارت الببغاء فشفي الملك شفاء تامًا وشكر الله تعالى على انعامهِ والببغاء على فطنتها وحذاقتها

فعند ذلك تهللت الببغاء فرحًا وسرورًا وهنأت الملك على شفائهِ وقالت اطال الله بقاءك ايها الملك العظيم واجزل ثوابك ان الله قد منَّ عليّ بنعمة عظيمة وهي تشرفي بخدمتك وتقبيلي مواطىء اقدامك فحزت بذلك فخرًا افتاخر بهِ انا وابناء جنسي الى يوم القيامة . فعند ذلك امر السلطان بان يفتح باب القفص لتخرج منهُ الببغاء فتفرج غمها ولم يفطن قط بانها تطير من القفص فلما فتحوهُ طارت الببغاء واستقرت في العلا ونظرت الى الملك وقالت وقاك الله يا مولاي من كل شر وغائلة فها قد حزت الان تمام الشفاء ولم يبقَ في جسدك اثر مرض وحيث قد نلت منك انعامًا وافرة فاني الان استودعك الله تعالى واستاذنك لاذهب الى وطني . فلما تيقن الملك بان الببغاء قد عزمت على الرحيل طار عقلهُ وحزن حزنًا شديدًا فالتفت اليها وقال : الم تتذكري ايها الببغاء ما قيل : انما الاحسان بالتمام فمن اقدم على معروف لا يحسب لهُ اجر مالم يتممهُ فحقًا انك قد احسنتِ الينا ولكن فلماذا لا تكملين هذا الاحسان الست تعلمين ايضًا ان على كل مخلوق ان يجتنب الحاق الضرر بصاحبهِ ولو اضر نفسه بذلك بل ولو اهلكها ايضًا فاذا غبت عن نظري دقيقة واحدة

فانهُ يلحقني من ذلك ضرر جسيم واعود الى الفراش وربما لا اشفى هذه المرة من العلة ثم انهُ لا يزال في جسدي اثار من المرض فعليك ان تعالجيها حتى تزول لكيلا تزداد يوماً بعد يوم فاجابتهُ البغاء : ايها الملك اعلم انهُ لم يبقَ في جسدك اثر مرض لكن هذه التاثيرات الظاهرة كالضعف وامثالهِ فلا تلبث ان تزول بعد مدة وجيزة ولا يلزم لها معالجة . ومن ثم لم تعد في احتياج اليَّ فاسمح لي اذاً بان ارجع الى مسقط راسي لارى عيالي واولادي لانني باشتياق عظيم لمشاهدتهم فكيف يسعك ان تمنعني عنهم وقد قال الله تعالى لاَ تفرق بين صغير وامهِ . فقال لها السلطان قد علمت الان انك قد نفرت منا ومللت الاقامة معنا وتريدين مبارحتنا على اي وجه كان فان كان يشق عليك الاقامة في هذا القفص فاختاري بستاناً من بساتين المدينة حتى تقيمي فيهِ فاجابتهُ البغاء : الست تعلم يامولاي انهُ خير للمخلوق ان يقيم في سجن مريع مع اهلهِ واصحابهِ من ان يقيم في روضة غناء بعيداً عنهم . فلما سمع الملك هذا الكلام تنفس الصعداء وقال لها بحيث لابد من ان تفارقينا فاقلهُ تعالي حتى اودعك فاجابتهُ البغاء ضاحكةً : ايها الملك انني لست بجاهلة بهذا المقدار حتى تخدعني وتوقعني في الشرك فتحقيق انني منكودة الحظ لان الصياد لم يعرف قيمتي ولا الملك ايضاً عرفها الا انني حكيمة عاقلة عارفة بجميع العلوم والمعارف و باستخراج الحجارة الكريمة وغيرها والحاصل اني اعلمك شيئاً واحداً وهو انهُ توجد عشبة كذا اذا عصرها الانسان ونقط من عصيرها نقطةً واحدة في عينهِ فمهما صنع بعد ذلك لا يراهُ انس ولا جن وانما لم تظهر معارفي وحذاقتي كما يجب لانني لم اشأ اظهار كل ما في باطني . فالان اذنت ايها الملك اولم تاذن رضيت اولم ترضَ فاني لاريب راحلة الى وطني لاشاهد اولادي وعيالي لان فراقهم مزق فوادي وفتت اكبادي ولم يعد في طاقتي احتمال لوعة الهجر والفراق لاني مافتئت متذكرة حبهم لي وما قضيت معهم من الرغد والهناء وانشدت

رعى الله اياماً تقضت بقربكم هي العمر بل من بعض ساعتها العمرُ

فلما سمع الملك هذا الكلام لم يبقَ له حيلة في امساكها بل اضطر الى اجابة طلبها فسمح لها بالسفر وشكرها على معروفها . فعند ذلك ودعته البغاء وشكرته على ما اولاها من النعم وطارت في الجو ذاهبةً الى وطنها وبقي الملك ناظرًا اليها الى ان غابت عن نظره فحينئذٍ بكى بكاء شديدًا وتحسر وتاسف وغنى لو مات ولم يتعرف بها شعر

ان الشدائد عند الموت هينة والموت عند مرام الناس محتقرُ

فلما وصل البغاء العاقل الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال لها : فالان ياسيدتي حكيت لك هذه الحكاية لتكون لك مثالاً تتعلمين منه امور العشق واحواله وماهية الحب وقيمته لانك في الحالة التي انتِ فيها لا تامني الخطا ومزلة القدم لان الهوى قد غشي بصرك فجعلك عرضةً للخطاء والعثور وقد تكلمت باسهاب ليتضح لك جليًا ان المحبة اذا لم تكن متبادلة بين العاشق والمعشوق فليس صاحبها على شيء وقد علمت من حكاية هذا الملك ان صداقته مع البغاء لم تدم لان المحبة كانت من جهتهِ فقط فاذًا لا فائدة من مصاحبتك للامير اذا لم تصادفي منه حبًا اوفر من حبك له لان من الواجب ان يكون حب العاشق اوفر من حب المعشوق لاسيا اذا كان المعشوق مثلك لا نظير له في البهاء والجمال وحيث قد تقرر لك ذلك فلم يعد الان مانع من ذهابك الى حبيبك فقومي لساعتك وتوجهي اليهِ

فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام فرحت فرحًا عظيمًا وقامت قاصدة الذهاب الى حبيبها غير انها لما فتحت الباب رات الصباح قد انفجر ولاح فرجعت متحسرة واتت حجرتها وقضت ذاك النهار بالبكاء والنواح منتظرة وفود المساء فلما ظل الظلام تعطرت وتزينت بافخر الملابس والحلي واتت قفص البغاء وقالت : ايها المحب المخلص انظر لحالي فقد ضاق صدري وعيل صبري وقتلني الهوى فنحلت وصرت اشبه بالخيال وقد صح فيَّ ما قاله الشاعر

روحٌ تردد في مثل الخلال اذا اطارت الريح عنه الثوب لم يبنِ

كفى بجسمي نحولاً انني رجلٌ لولا مخاطبتي اياك لم ترني

فبالله عليك انظر اليَّ بعين التحنن وداوِ وجعي لانك انت طيب العشاق

فاجابها الببغاء : لماذا تماطلين الى الان عن الذهاب الى حبيبك فحقًا انك تارةً عاشقة وتارة جاهلة فهل من حقوق العشق ان تبلي معشوقك بهذا الهجر الطويل وتعرضي عن وصالهِ فناشدتك الله اذهبي اليهِ عاجلاً لان هجرك قد طال فاسقمهُ ووعدتهِ بالوصال ولم تبالي بانجاز ما وعدت بهِ فحقًا ان هذا يعد من الخيانة وقد صح لحبيبك ان يقول لك ما قالهُ الشاعر

ايا سادةً ملوا وملت اليهم وخانوا ولي قلب مقيم على العهدِ

اذا لم يكن لي عندكم يا احبتي محلٌ ولا قدرٌ فان لكم عندي

ترى يسمح الدهر الخؤون بقربكم واحظى بكم يا جيرة العلم الفردِ

ثم اني اخاف من ان يعود زوجك باقرب وقت فيحول بينك وبين مرامك ولا يعد يمكنك حينئذٍ ان تجزي ما وعدت بهِ الامير لانك وقتئذٍ ترجعين الى اصلك لان من المقرر ان كل شيء يرجع لاصلهِ فهل ما سمعت حكاية الابنة المصنوعة من الخشب وكيف انها رجعت لاصلها حيث لم يوخذ وقتئذٍ من يفصل الخصومة بين عشاقها فسالتهُ قمر السكر وكيف كان ذلك

حكاية

قال الببغاء : لقد اخبر الراوون بانهُ قد اتفق يومًا ما على السفر والسياحة نجار وصائغ وخياط وزاهد فبعد ان تاهبوا للسفر واستحضروا ما يلزمهم في الطريق ساروا مسافرين في بلاد الناس الى ان قطعوا مسافة طويلة وبينما كانوا مسافرين يومًا من الايام انقضى النهار وخيم الظلام واذ لم يجدوا وقتئذٍ مأوى يبيتون فيهِ اضطروا اذ ذاك ان يبيتوا في احد الكهوف وخشية من وثبة الوحوش عليهم اتفقوا بان يناموا ويبقى واحد منهم ساهراً مدة معينة ثم يخلفهُ الاخر وهكذا يتناوبون السهر والرقاد حتى طلوع الشمس فابتداوا من ثم بالنجار وقالوا لهُ : اسهر ونحن ننام فسهر النجار ونام الباقون ولكنهُ حيث كان قد

اضناه التعب والمشقة غلب عليهِ النوم الا انهُ لم ينم بل اراد مدافعة النعاس بعمل شيء يسليهِ فقطع شجرة كبيرة من ذاك الجوار واخذ يشتغل فيها بكل همة ورغبة فصنع من خشبها تمثال ابنة جميلة المنظر فلما انجزها انتهت نوبتهُ واتت نوبة الصائغ فنام النجار وقام الصائغ يسهر واذ راى ما صنعهُ النجار العجيبة ذلك جدًّا واستحسنهُ واراد ان يدفع النعاس عنهُ كما دفعهُ صاحبهُ فاخذ آلات الصياغة وصنع لها حلقًا وخواتم وكل ما يلزم لزينة النساء من الحلي فاتى بها غاية الاتقان وزين بها تمثال الابنة و بعد ذلك انتهت نوبتهُ واتت نوبة الخياط . فنام الصائغ وقام الخياط ساهرًا واذ راى ما صنعهُ صاحباه استحسنهُ وحملتهُ الغيرة على ان يحذو حذوها فعند ذلك اخذ آلات الخياطة وخاط لها خلعة ثمينة متقنة غاية الاتقان فوشحها بها وجلس امامها يتفرس فيها فاذا هي جميلة الصورة لا تعرف من ذات الروح الحية و بعد ذلك انتهت نوبتهُ واتت نوبة الزاهد فرقد الخياط وقام الزاهد ولما فتح عينيهِ نظر فراى هذه الصورة الجميلة كانها نورٌ في خلوة مظلمة فتقدم اليها وتفرس فيها فاذا هي تمثال على منوال بديع لكنهُ بلا روح فعند ذلك رفع نظرهُ الى العلا وهتف متضرعًا يامن خلقت آدم من العدم وجبلتهُ من طين الارض تمثالا جامدًا ثم نفخت فيهِ روحًا وحيوةً واثمرت الشجرة اليابسة انظر لحالي ولا تفعني خجلاً امام اصحابي الذين صنعوا هذا التمثال البديع فارجو كرمك الذي عم سائر الخلائق ان تنفخ روحًا في هذا الصنم الجامد ليصير ذا حيوة فيحمدك بلسانهِ ويشكرك بقلبهِ لاني لا احسن صناعة اماثل بها اصحابي اذ اني ما تعودت منذ نعومة اظفاري سوى على عبادتك وهي حسبي وكفى

فسمع الله دعاء الزاهد وقبل تضرعهُ لانهُ كان بارًّا ونفخ في التمثال نسمة حيوة فصار ذا روح حية كالحيوانات الناطقة .

فلما اصبح الصباح قام السياح فراوا ابنة جميلة المنظر بديعة الحسن والجمال فاخذ كل منهم يدعيها لنفسهِ حتى وقع بينهم الخصام فقام النجار وقال : ان

هذه الابنة هي لي لاني انا الذي ابدعتها وصورتها من الخشب فاي حق لكم فيها . فاعترضهُ الصائغ وقال : حقيق انك قد نحتها من الخشب غير اني قد صرفت عليها من الذهب والحجارة الكريمة جانبًا ثمينًا زادها حسنًا ورونقًا فليس لك اذًا ان تنازعني فيها لانها ملكي . فحينئذٍ انتصب الخياط وقال : فليكف المنازع ولتسكن الزعازع لانَّ ليس لكما حق بهذه الابنة بل هي ملكي لانني خطت لها ملابس ثمينة ووشحتها بهذه الخلعة النفيسة وكنت سببًا لنفخ الروح فيها . فعند ذلك انتصب الزاهد كالافعوان وقال لهم : مهلاً مهلاً لقد كذبتم ورب الكعبة لان دعواكم باطلة ولا حق لكم بهذه الابنة لان منكم من لهُ الخشب وقد انتسخ بقوة الله تعالى ومنكم من لهُ الحلي والجواهر فتعطى لهُ ومنكم من لهُ الخلعة فترد اليهِ واما الابنة فهي لي لاني استمددت لها روحًا من محيي الاموات وموزع الارواح فانَّى لكم ان تدعوها .

واما هذه الاقوال فلم تقنعهم بل ازداد بينهم الخصام حتى افضى بهم الى ان يذهبوا الى القاضي ليفصل بينهم الخصومة ولما كانوا سائرين في الطريق صادفوا عابدًا ملتفًا بكسائهِ فاتفقوا حينئذٍ على تحكيمهِ عليهم ليفصل بينهم فدعوهُ اليهم وقصوا عليهِ الخبر وحكموهُ عليهم ليفصل بينهم هذه الدعوى فلما راى العابد الابنة وما هي عليهِ من الجمال ابتلى بعشقها والتفت الى السياح غاضبًا وقال لهم : هل لا تخافوا من الله ولا تستحوا من الناس لان منكم من يقول ان هذه الابنة هي لي لانني نحتها من خشب الشجرة ومنكم من يدعيها لانهُ البسها كذا وكذا ومنكم الخ فهل يصدق هذا الكلام عند ذوي البصائر فارتدعوا عن غوايتكم ولا تعتصموا بالكذب لان هذه الابنة هي جاريتي وقد وشحتها بهذه الملابس الفاخرة لكنني منذ ايام تخاصمت معها فابقت من بيتي وقمت اجد في طلبها وها الان قد وجدتها فسبحان الذي سخركم لتاتوني بجاريتي فجزاكم الله خيرًا لانهُ امر برد الابق على مولاه . ومن ثم صار العابد من جملة المدعين فاشتد الخصام بينهُ وبين السياح وذهبوا الى المدينة المجاورة واتوا واليها ليفصل

بينهم الخصومة فلما مثلوا بين يديهِ اخبر وهُ بما توقع لهم فنظر الوالي الى الابنة فاذا هي جميلة الصورة فاعجبهُ بديع جمالها وحسن قدها واعتدالها ووقع في قلبهِ الغرام وتلاعج في لبهِ الهيام فقام من ثمَّ يدعيها ويقول: ايها الاعداء المنافقون حقًا انكم لصوص قاتلون لانكم قتلتم اخي وغصبتم زوجة هذه التي تدعونها فلافعلنَّ بكم ولاصنعن اذ ليس لكم من يدي خلاص لانكم اهرقتم دم اخي فلما سمع المتخاصمون كلام الوالي ابتدروا لتكذيب مدعاه فازداد بينهم الخصام وطلبوا المحاكمة لدى القاضي فقاموا لساعتهم واتوا يتقاضون ولما مثلوا امام القاضي وقرر كل منهم دعواه نظر القاضي الى الابنة فاذا هي حسنة المنظر فعند ذلك نظر الى المدعين وقال لهم: يااحبائي ان دعواكم باطلة وغير مسموعة شرعًا لانها مما يستحيل وجودهُ عقلاً وعادةً فهذه الابنة هي جاريتي نجت من بيتي وربيتها مثل اولادي ووشحتها بهذه الملابس الثمينة ولطمعها بها ابقت من عندي. فالحمد لله الذي اعادها اليَّ بواسطتكم ولكم الشكر على ما ابديتموهُ من ارجاع امتي فلاثيبنكم جزاءً عظيماً فاقنعوا بمجازاتي ولا تطمعوا بما فوقها لان الطمع يذل صاحبهُ ويوبقهُ ولله درمن قال

واقنع ففي بعض القناعة راحةٌ والياس عما فات فهو المطلبُ

واذا طمعت كسيت ثوب مذلةٍ فلقد كسي ثوب المذلة اشعبُ

فلما رأى المتخاصمون ان القاضي صار اكبر مدعٍ آيسوا من استخلاص الابنة وتاسفوا تاسفًا شديدًا فعند ذلك انتصب الزاهد كالثعبان ونظر الى القاضي وقال: يامولاي اعلم انك جالس في هذا المكان لتقضي بين الناس بالحق فكيف يسوغ لك اذًا ان تقول ان هذه الابنة هي جاريتك ونجت عندك ونحن نعلم يقينًا حقيقة امرها ومن اين نجت فباية حجة تستحل ذلك واي جواب نعطيهِ للحق سبحانهُ يوم الحشر والنشر يوم تلتف الساق على الساق ويقال الى ربك يومئذٍ المساق. فلما سمع القاضي كلامهُ نظر اليهِ ساخطًا غاضبًا واخذ يوبخهُ ويقول: ايها الاحمق المجنون حقًا انك على جانب عظيم

من الغباوة والخلاعة لانك متلبس بثوب الزهد وباطنك مملو خبثاً وشراً فكيف تدعي بما يكذبك فيهِ الظاهر وكيف تقول انك نفخت روحاً في صنم منحوت من الخشب . فمن يصدق هذا القول الكاذب فهل سمعتم ياذوي الالباب ان انساناً حول صورة من شيء الى اخر وجعل للخشب روحاً تتحرك وفماً يتكلم اما يغرب هذا على مسامعكم . فارتدع ايها الشرير عن غيك والا فاجعلك عبرةً لمن يعتبر .

واما الزاهد فلم يخف ولم يجزع من توعد القاضي بل اخذ يحملق اليه مطلقاً عنان لسانهِ ضدهُ فاشتد حينئذٍ الخصام وازداد الصراخ والضوضاء حتى اجتمع اليهم كثير من الناس لهول ما صار بين القاضي والمتداعين ولما سمع الزاهد توبيخ القاضي له غضب غضباً شديداً ونظر الى الحاضرين وقال : يامعشر المسلمين ان حكايتنا هذه تشابه حكاية احد اعيان خراسان مع الدرويش هواي . فسالهُ القاضي وما هي حكايتها

حكاية

قال الزاهد : ان رجلاً من اعيان خراسان صنع يوماً ما مادبة ودعا اليها جميع اصحابهِ فجلسوا بعد الطعام يتفاكهون بالحديث وكان من جملة الحاضرين درويش يدعى هواي فنظر اليهِ احد الحاضرين وكان ذا ذوق سليم يسر بالاخبار ويشتاق لمعرفة اثار الادهار وقال له لاشك في انك عالم باخبار من سلف من الامم فقص علينا من ذلك ما يسر الخواطر وينزه الافكار . فامتثل الدرويش امرهُ واخذ يقص عليهم من الحكايات اعجبها ومن النكت اغربها حتى افعم الجلاس فرحاً وحبوراً وبينا كان يتكلم تحرك احد الحاضرين وفيما كان يتمكن من الجلوس بدرت منهُ ريح فاسمع صرير التخت فضحك الحاضرون فعند ذلك سكت الدرويش هواي فنسب الحاضرون الاثم اليهِ بدليل قطع الحديث واخذوا يضحكون عليهِ فخجل الدرويش من ذلك وقال لهم : ياكرام العشائر لقد جئتم شيئاً جاوزتم بهِ الحد جداً ونسبتم اليَّ ما لم

يصدر مني بل من سواي والدليل على ذلك ان الذي حصل نتج من اختلاط الريح مع الطعام في البطن فانا لم اذق للان طعاماً فلماذا ظننتم ذلك مني وقد قرئ ان بعض الظن اثم . فعند ذلك اقر بعضهم ببرآة الدرويش واتهمة اخرون فقام حينئذٍ غاضباً وقال : ان صاحب الحق لا يدع حقة فاطلب منكم فصل هذه الدعوى لدى القاضي

فعند ذلك عرف القاضي المختصم لديهِ الزاهد واصحابة ما يكون من مآل هذه الحكاية فاعترض الزاهد واخذ بوبخة فاشتد بينهما الخصام وطلبا المبارزة ليقتص كلٌّ من خصمهِ .

فعش خالياً فالحب راحتهُ ضنىً　　　واولهُ سقمٌ وآخرهُ قتلُ

واما عقلاء المدينة وحكماؤها لما راوا ما صار بين القاضي والزاهد اجتمعوا للمشورة بهذا الشان فتفاوضوا بذلك ملياً ثم خرجوا الى المتخاصمين وقالوا : ان دعواكم هذه يستصعب فصلها لان فيها اشكالاً عظيماً حيث لم ينور احد دعواه ببرهان غيرانهُ قد عن لنا راي حسن وهو قول الرسول صلعم : ايها المومنون اذا تحيرتم بالامور فاستعينوا باهل القبور . فبناء عليهِ يقتضي ان نذهب الى المقبرة وهناك يجثو الزاهد على ركبتيهِ ويتضرع الى الله تعالى لينصفهُ حقهُ ونحن نجيب على تضرعه بقولنا امين فلعل الله يفصل بينكم ويظهر هذا السر المكنون لانهُ لا يليق بقاضي المسلمين ان يقاتل مومناً بالسيف ولا يجوز لزاهد ورع ان يرفع يدهُ على من اقامهُ المولى منصفاً بين عبادهِ .

فاستصوب المتخاصمون هذا الراي وقاموا لساعتهم واتوا المقبرة فتبعتهم الناس افواجاً فلما وصلوا الى الموضع المعين جثا الزاهد على ركبتيهِ ورفع نظره الى العلا وقال : الهي انت تعلم حالي وتعرف حقيقة امري انظر كيف ان الحاسدين قد غصبوا مني نعمتك التي تكرمت عليَّ بها فارجو من لطفك ان تنصفني وتظهر حقي علانيةً ليعرف الصادق من الكاذب وكان الزاهد يبكي ويكرر هذا التضرع والحاضرون يقولون بصوت واحد آمين

وبينما كان الزاهد يتضرع ويبكي كانت الابنة المدعاة متكئة على شجرة ففي الحال انشقت الشجرة وابتلعت الابنة فرجعت الى اصلها فصح فيها ما قيل ان كل شيء يرجع لاصلهِ . فعند ذلك سكت المتنازعون وظهر الحق عيانًا فعرف صدق الزاهد واصحابهِ في دعواهم كما اتضح جليًا كذب القاضي والوالي والعابد فعادوا مفحمين خجلاً وخزيةً واسودت وجوههم امام الجماعة واما العشاق فقد رجعوا خائبين لكونهم خسروا الابنة المدعاة

فلما انهى الببغاء مقالتهُ هذه نظر الى قمر السكر وقال لها : انني اخشى ياسيدتي من ان زوجك ياتي بغتةً فيحول بينكِ وبين مرامك وتعودين الى ما كنتِ عليهِ قبل سفره كما عادت الابنة المار ذكرها الى اصلها فلذلك اغتنمي هذه الفرصة واذهبي الى عاشقك الامير لتنجزي وعدكِ لهُ . فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام فرحت فرحًا عظيمًا وقامت لساعتها قاصدة حبيبها لكنها لما فتحت الباب رات قد طلع الصباح وبزغت الشمس في الافاق وظهر كل ما في المدينة كما ظهرت احوال المتخاصمين المار ذكرهم فتاسفت ورجعت الى حجرتها حزينة واجلت رغدها الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار تارةً نائمة وتارة متقلبة على نيران الهوى

ولما ظل المساء تزينت وتطوست ولما خيم الظلام بعث صديقها يدعوها اليهِ فاتت قفص الببغاء ونظرت اليهِ بعين الرقة واللطافة فعلم الببغاء من ذلك ما تقاسيهِ قمر السكر من الوجد والهيام بسبب مماطلتها ففكر في حجة قاطعة يدفع بها عن نفسهِ فنظر الى قمر السكر وقال لها : ياقرة العين اعلمي انني مكافاة لما ابديتهِ نحوي من المعروف والجميل مددت لك يد المساعدة واتبتك بالنصائح الثمينة لاني رايت ذلك عليّ فرضًا مفروضًا وبما اني اختبرت امور الخلق اجمع فرايت ما ينفع ويزين وما يضر ويشين فخشيت من ثم عثوركِ في مسالك العشق لانكِ دخيل فيها وهي ضيقة المصادر غير مامونة العواقب والمصائر وبالاخص حيث انكِ لم تسبري قط احوال العشاق كما سبرتها انا

مرارًا عديدة فرايت اذًا الليلة البارحة ان انصحك بذلك لعل نصائحي تنكث بك عن المزلات والغواية وتفضي بك الى الهداية والدراية ولذلك اسهبت الكلام حتى طلع الصباح ولم ادرِ بهِ واما في هذه الليلة فلا يسعني ان اشغلك كليلة امس لانهُ لايليق بنا ان نصرف الزمان بقص الحكايات واستماعها لان الوقت يمر من السحاب وتمضي معهُ الفرصة المناسبة فيجب اذًا الا تماطلي بل اذهبي حالاً الى حبيبك حتى لا يعزو اليك اثم فيسوءني ذلك لانك ولية نعمتي ومساعدة العشاق هي فيَّ خلة لاتفارقني حتى الممات وقد تصفحت صحائف الاخبار ولم ارَ لي مثيلاً في الاعصار السالفة سوى السلطان بهواج لانهُ كان يحن على العشاق ويفرغ جهدهُ في مساعدتهم . فسالتهُ قمر السكر وما هي حكاية هذا السلطان قصها عليَّ بالايجاز وبعد ذلك اذهب الى حبيبي • فاجابها الببغاء ان هذا السلطان كان ذا رافة عظيمة نحو العشاق وكان جل دابهِ الانعطاف الى مساعدتهم بما يفوق كل وصف ولكثرة شفقتهِ لم يكن يتكلم قط عن عيوب عبيده بل كان يستر كل عيوبهم وقد قيل : من ستر ستر ورب عاشق كان يرى الوصول الى معشوقهِ محالاً ولم يوصلهُ اليهِ ببذل المال والعطايا حتى قيل ان مرة ماجاد بنفسهِ ليدرك باحد العشاق ماربه . فقالت قمر السكر : اما بذل المال فنصدق لانهُ كان ملكًا عظيمًا واما بذل النفس فبعيد عن التصديق فقص عليَّ اذًا حقيقة هذا الخبر

حكاية

قال الببغاء : قد روى السلف من المورخين انهُ كان في قديم الزمان في مدينة بيلسان في عهد العلماء الاعلام عالمٌ فاضل يدعى ابا المجد وكان حاذقًا في جميع العلوم فصيح اللهجة انيس المحضر فيومًا من الايام ضجر من الاقامة فقام من حجرتهِ قاصدًا التنصف فسار نحو اطراف المدينة حتى افضى الى بستان فيهِ من سائر اصناف الزهور والرياحين والاشجار المثمرة والماء الصافي كالزلال يسير في وسطهِ من اربع جهاتهِ ويسقي كل اشجار البستان ففرح

ابو المجد من هذا المنظر البهج واحدق نظرهُ في البستان فراى فيهِ تختًا من ذهب جالسة عليهِ ابنة جميلة المنظر وذوائبها مدلاة على ردفيها وحولها عدد وافر من الجواري الحسان والقينات المخضبة البنان واقفة بين يدي الابنة المشار اليها بكمال الهيبة والوقار ومكتنفها كاكتناف النجوم الزاهرة للبدر المنير فلما نظر ابو المجد هذه الابنة شغف بها وهام بحبها وتمنى الوصال وانشد

يا ظبية البان ترعى في خمائلهِ ليهنك اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندكِ مبذول لشاربهِ وليس يرويك الا ادمعة الباكي
حكت لحاظك ما في الريم من ملح يوم اللقاء وكان الفضل للحاكي
انت النعيم لقلبي والجحيم لهُ فما امرّكِ في قلبي واحلاكِ

و بينما كان واقفًا حائرًا عرض لهُ رجل فسالهُ ابو المجد عن الابنة فاجابهُ الرجل انها ابنة سلطان المدينة. فعند ذلك حزن ابو المجد حزنًا مفرطًا لانهُ تيقن ان دون بغيتهِ خرط القتاد فاخذ من ثم يفكر في هذا الامر ثم قال في نفسهِ اذا بقيت على هذه الحالة فاني لاشك اموت عن قريب فليس لي حيلة سوى ان اذهب الى السلطان والتمس منهُ ان يزوجني ابنتهُ لانجو من الهلاك فان رقّ لحالي واجاب سوالي فاكون قد صادفت حظًا وافرا والاّ فيغضب عليّ وغاية ما في مكنتهِ من الانتقام ان يامر بقتلي فعلى هذا يكون موتي مشكوكًا فيهِ ولكن ان بقيت على هذه الحالة فموتي موكد فالاجدر بي اذًا ان اتسلح بالشجاعة واخاطر بنفسي لانال ماربي وخير لي ان اموت مجاهدًا من ان اموت متقاعسًا وانشد

كم مخلص وعلى في خوض مهلكة وقتلة قرنت بالذم في الجبنِ

وحيث لابد لكل مخلوق من تجرع كاس المنون فسيان ان كان حتفي آجلاً او عاجلاً. قال هذا وقام لفورهِ وذهب الى بلاط الملوكي وقدم للسلطان عرضًا يلتمس فيهِ ان يزوجهُ ابنتهُ فلما بلغ السلطان عرض ابي المجد واطلع عليهِ اعد ذلك اهانة لذاتهِ وامر بقتلهِ. فتقدم الى السلطان احد وزرائهِ وكان

فهيماً عاقلاً وقال له : لا تعجل يامولاي بقتل هذا الرجل لانه لا يليق بمنصب العدل والاستقامة ان تتهور بمثل هذا العمل المهم بل لا بد من التأني بمثل ذلك لان التأني من شيم العاقل وبه يومن الزلل وقد قال الشاعر

قد يدرك المتاني حسن حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزللُ

وقد يحتمل ايها الملك ان يكون هذا الرجل مختل الشعور فاي حرج اذاً عليه فاسمح لي بان اذهب واخاطبه لاعرف حقيقة امره وادفعه عنا بالمعروف لانه لاشك على جانب من الغباوة والحماقة فاستصوب الملك هذا الراي وامر الوزير ان يفعل كما قال . فعند ذلك انصرف الوزير ودعا اليه ابا المجد وقال له : ايها الرجل هل اعتراك اليوم جنون حتى اقدمت على طلب ابنة الملك فهل ما دريت بان ذلك يهيج غضبه وباس انتقامه هل لاتعلم بان من طلب زواج ابنة الملك يجب ان يكون كفوءاً لها وان ياتي من الذهب بحمل فيل فكيف انت مع دناءة شانك وما انت عليه من الفقر والفاقة تطمع بما ليس لك فيه مطمع وتحرر الى الملك كتابةً مهينة . فاجابه ابو المجد : ياسيدي ان الغرام حملني على ذلك ومع زيادة فقري فلا اصرح بانه لايمكنني احضار المطلوب لانني متكل على الرحمة الربانية فلعلها تيسر لي ما تطلبونه مني ولهذا ارجوك ان تمهلني بضعة ايام فربما تسخر الله لي من ياتيني بالفرج فاجاب الوزير التماسه وتعاهدا على ذلك وانصرف ابو المجد حزيناً لا يدري ما العمل

فذهب الوزير واخبر الملك بما كان من امره مع الرجل وكيف انه اشترط عليه امراً دون نواله مهابر فسر الملك بذلك وشكر فطنته . واما ما كان من ابي المجد فقد ادركه غم جسيم انحل جسمه واضعف قواه ولم يعد يسمع له الاّ نحيب وزفير وكان ينشد

متحجبٌ عن كل مقلة ناظرٍ   هلاّ تحجب ان يراه فوادُ
ما ضرهُ لو كان يسمح ربما   تشكو اليه لهيبها الاكبادُ
بل ليت شعري ما يضر جفونه   لو كان زار مريضها العوادُ

وحيث ان الغريق يتشبث بالحشيش فلم يدع ابو المجد استعمال سائر الوسائط لنوال بغيته ولم يجده ذلك نفعاً . فيوماً ما نظر احد اصحابه فاخذ يقص عليه ما اصابه فقال له صاحبه: لا تحزن يا اخي فان دآءك له دواء اذ ليس عند الله امر عسير فاذهب الى الملك بهواج الشهير واقرع بابه فانه رأوف حليم وجواد كريم فلا شك في انه يرحمك و يحسن اليك لاسيما ان دابه مساعدة العاشق في نوال بغيته فاستصوب ابو المجد هذا الرأي وقام لساعته وشد مسافراً نحو مدينة الملك المشار اليه ومازال سائراً حتى بلغ المدينة فدخلها فرحاً وفي الحال كتب عرضاً للملك اوضح فيه واقعة حاله والتمس المعونة من لدنه و بعد ذلك مثل بين يديه و بعد ان كرر الدعاء بدوام بقائه قدم له العرض فلما اطلع الملك عليه وعلم ما كان من امر ابي المجد بكى شفقة وتحنناً وفي الحال امر بان يعطى لابي المجد فيل من اكبر ما يوجد عنده وان يعطى له ايضاً من الذهب حمل الفيل . فامتثلوا امر الملك وحملوا من الذهب فيلاً ابيض وسلموه لابي المجد و بعد ان ودع ابو المجد الملك وقدم له مزيد الحمد والثناء استلم العطية فارحاً متهللاً وقام راجعاً لمدينة بلسان ولشدة فرحه كابد من السير اشده حتى افطى الى المدينة فذهب حينئذ الى البلاط الملوكي وطلب مقابلة وزير الملك المتقدم ذكره ولما قابله اخبره بقصته اي بانه امتثالاً لامره قد اتى بما طلب منه من المال فاخذه الوزير منه وارسله الى بيت المال واخبر الملك بذلك فتعجب الملك تعجباً شديداً وسال بطانته ان يخبروه عمن اعطى هذا الذهب لابي المجد فنظروا فيه فاذا هو مسكوك باسم الملك بهواج فايقنوا بان ذلك من نواله واخبروا الملك بذلك فدعا الملك حينئذ ابا المجد وقال له انني اكلفك ان تقطع راس من اكرمك بهذا العطاء الوافر وتاتيني به فان اقدمت على هذه البسالة زوجتك ابنتي وواصلتك بالانعام والا فاقتلك شر قتلة . فلما سمع ابو المجد هذا الكلام خاب امله فحزن حزناً شديداً وايس من نوال بغيته غير ان زيادة العشق حملته على ان يرجع الى من صح فيه

قول الشاعر

علم المزن الندى حتى اذا ... ما حكاه علم الباس الاسد

فلهُ الغيث مقرٌّ بالجدى ... ولهُ الليث مقرٌّ بالجلد

فلما وصل ابو المجد الى مدينة الملك بهواج قدم لهُ عرضًا والتمس فيهِ مقابلتهُ ولما أَذن لهُ بذلك تقدم بين يديه والدموع السخينة تهطل من عينيهِ واخذ يقص عليهِ ما جرى لهُ وما كلفهُ بهِ ملك بيلسان وقال: يامولاي انك من وفور احسانك ولزيادة تحننك على العشاق قد انعمت عليَّ بمال وافر واما ملك بيلسان الغاشم الظالم بعد ان اخذهُ مني كلفني ما لا اطيقهُ وما تعيفهُ نفسي وتشمأ زمنهُ اذ قال لي: ان لم تاتني براس الملك بهواج فاقتلك شر قتلة غير اني ايها الملك الراوف لم احضر بين يديك لانفذ امره حاشاي من ان ارتكب اثمًا كذا فظيعًا بل انني فررت هاربًا من جوره وجئت احتمي تحت ظلك السابغ لاخلص من جوره راضيًا ان اموت شهيد الحب والغرام بدلاً من ان اموت قتيل ملك جائر

فلما سمع الملك بهواج كلام ابي المجد تنهد متحسرًا وقال لا تحزن يا ابا المجد ان كان ملك بيلسان قد ابدى معك مكروهًا فانا ابدي لك المعروف والجميل واجود بنفسي لنوال غايتك لان اعطاء المال ليس بسخاء عظيم بل ان السخاء العظيم هو الجود بالنفس لانهُ قيل: الجود بالنفس اقصى غاية الجود لكنني لو كنت اتيقن بان قطع راسي يدرك بك غاية الوطر لما كنت اتاخر عن ذلك غير انني اخشى ان قطع راسي لا يجديك نفعًا فتكون قد خسرتني باطلاً ولا يبقى لك مساعد من بعدي. فالاحسن ان اذهب معك الى ملك بيلسان وسبر حقيقة امره فان تيقنت انهُ يزوجك ابنتهُ بمجرد قطع راسي فلا اتاخر عن ذلك والا فالله عدو الباغي

قال هذا وتاهب للسفر وسار في الطريق مع ابي المجد ولما دخلا مدينة بيلسان ارسل ابو المجد يخبر ملكها بواسطة احد بطانتهِ بانهُ اتى اليهِ بالملك

بهواج فيطلب انجاز ما وعده به . فلما بلغ الملك ذلك امر باحضارهما بين يديهِ فدخلا عليهِ وسجدا امامهُ فنظر اليهما وكان جالسًا على سريره فاذا الملك بهواج وابو المجد بين يديهِ فعند ذلك انحدر عن السرير وانطرح على اقدام الملك بهواج واخذ يتعذر لهُ ويطلب الصفح عما بدا منهُ واوضح لهُ بانهُ هو وابنته رهيني امره وطائعين لمشيئتهِ •

وبعد ان اعتذر ملك بيلسان وتصالح مع الملك بهواج امر بان ياخذوا ابا المجد الى الحمام ليستحم ففعلوا ولما رجعوا بهِ الى البلاط الملوكي البسوهُ الحلل الفاخرة وضموا الى الذهب الذي اتى بهِ اضعافًا جهازًا لابنة الملك وعقدوا الزواج امام الملك بهواج واقاموا زفافًا حافلاً حضرهُ جميع الامراء ورجال الدولة واعيان المملكة . وبعد ذلك اقام الملك بهواج في مدينة بيلسان اياماً قليلة محفوفًا بالاكرام والتبجيل ثم رجع الى مملكتهِ مودعًا ومشيعًا من اكابر رجال الدولة وتسربت الى خزائنهِ الهدايا الفاخرة من ملك بيلسان وعمالهِ وبقيت هذه الحكاية حتى الان يتناقلها الخلف عن السلف وهي من العجائب والمحامد التي تزينت بها صحائف التاريخ

فعند ذلك نظر الببغاء الى قمر السكر وقال لها : انظري يا سيدتي كيف ان ابا المجد نال مآربهُ بهمة هذا الملك العظيم وامعني النظر بذلك فقالت قمر السكر : انني قد صرت غاية في المنة لانك ايها الببغاء لانك جلوت همومي بهذه الحكاية وصرت بغاية العجب والاندهاش من مروءة الملك بهواج وشهامتهِ نعم لقد اشتهر عندنا وعند الجميع سخاء الملوك ببذل الاموال ونفائس العطايا غير انهُ لم يسمع احد بان احدًا منهم جاد بنفسهِ ليدرك بعاشقٍ لا يعرفهُ وهو دون عبيدهِ غاية المنى والوطر فحقًا ان هذا من اعجب الامور غير انني لم ازل مرتابة في ان الملك بهواج اتى بنفسهِ الى ملك بيلسان ام لا بل انقذ ابا المجد بمجرد رضائهِ بقطع راسهِ . فاجابها الببغاء : ان منشأ اعتراضك هذا فطنة عظيمة لان هذه الملاحظة تخطر على بال كل عاقل لكونهِ من المستغرب ان

يتنازل ملك ذو عظمة وشان مثل هذه المنازلة ولكن فلا يعجبك ذلك لان كثيرًا ما كان الملك بهواج يخاطر بنفسهِ ترؤفًا على العاشق وامثا ل ذلك كثيرة في كتب اصحاب القصص وقد قيل عنهُ انهُ قدم مرة ما حيوتهُ العزيزة فداء عن الشيخ الذي هام بحب ابنة سلطان الجن لينقذهُ من الهلاك فقا لت قمر السكر وكيف كان ذلك

حكاية

قا ل الببغاء : زعموا انهُ كان عند الملك بهواج نديم جميل الصورة اسمهُ عازم وكان سيدهُ يحبهُ حبًا شديدًا لفرط عقلهِ وذكائهِ غير انهُ كان مولعًا بلعب القمار فصرف فيهِ اموالاً وافرة كان الملك يتكرم بها عليهِ ومع ذلك لم يكن يفتر حب الملك نحوهُ بل كان تارة يودي عنهُ دينهُ وتارة يتكرم عليهِ بمبا لغ وافرة لسد احتياجاتهِ وبقي على هذا المنوا ل زمنًا طويلاً عائشًا تحت ظل الملك باتم هناء وارغد عيش غير ان ذلك حرك عليهِ حفائظ الوزراء والبطانة فاخذوا من ثم يسعون بهِ ليوغروا صدر الملك عليهِ فينكبهُ واما هو فلم يزل على عادتهِ السابقة لا يذعن لنصيحة احد طامعًا بنعمة الملك وبخلابة الدهر ومواعيدهِ

شعر

الدهر يفترس الرجا ل فلاتكن ممن تطيشهمُ المناصب والرتب
كم نعمةٍ زالت بادنى زلةٍ ولكل شيء في تقلبهِ سبب

وكان الوشاة لا يبرحون من الوشاية بعازم ويقولون للملك انهُ مسرف مبذر ومن كان كذلك فهو اخو الشيطان ومن كان اخا الشيطان فلا يليق بهِ ان يدخل بلاط الملك ولم يفتروا عن السعاية حتى اوغروا صدر الملك عليهِ فقطع عنهُ احسانهُ ولم يعد ينظر اليهِ سوى بعين البغض والاحتقار فاكفأ ت على عازم سماؤهُ وصار نعيمهُ بؤسًا ورفاهتهُ كربًا. فحا لت حالهُ واعولت عيا لهُ وظهر لهُ اذ ذاك غرور الدنيا واباطيلها

شعر

لعمري احاديث النفوس ظنونُ وما عزَّ من شيء فسوف يهونُ

ومن ظن ان الدهر موفٍ بعهدهِ فبشرهُ ان الدهر سوف يخونُ
ولو علم الانسان ما هو كائنٌ لعاش مدى الايام وهو مصونُ
ولكن قضاء الله سترٌ محجبٌ تحار عقولٌ دونهُ وظنونُ

وقد حاقهُ من الحزن والكدر ما اوقعهُ في حيرة عظيمة حتى مل الاقامة في دار الملك فيوماً ما لزيادة ما حاقهُ من الكدر خرج من البلاط الملوكي بدون ان يعلم بهِ احد واخذ عيالهُ واولاده وسار مسافراً الى بلاد الناس مجداً في طلب الرزق صابراً على بليتهِ اذ لم يرَ لدائهِ دواء سوى الصبر لان الصبر عند المصائب من اعظم المواهب ولله در من قال

تنكر لي دهري ولم يدرِ انني صبورٌ وعندي الحادثات تهونُ
فبات يريني الخطب كيف انقضاضهُ وبت اريهِ الصبر كيف يكونُ

وفي اليوم الثاني بينما كان سائراً في الطريق افضى الى مكان وجد فيهِ جماعة يلعبون بالقمار فتحركت فيهِ شهوة الطمع وقال في نفسهِ : اذا لعبت مع هولاء الشبان فافرج غمي وربما اربح ربحاً عظيماً اسد فيهِ حاجتي . قال هذا واخذ يلعب معهم لكنهُ خسر كل ما كان معهُ واستدان عشرة دنانير فخسرها ايضاً وحيث لم يرضَ دائنوهُ بتاجيلهِ رهن عندهم زوجتهُ واخذ حينئذٍ يجد في اكتساب ما يفي دينهُ ليفتكَّ هذا الرهن الثمين . فطاف كثيراً وقرع ابواباً كثيرة ولم يحظَ بفائدة غير انهُ لم يضجر من الطلب بل داوم عليهِ لانهُ بهِ يدرك المنى كما قال الشاعر

اطلب ولا تضجر من مطلب فآفة الطالب ان يضجرا
اما ترى الحبل بتكرارهِ في الصخرة الصماء قد اثرا

ومع ذلك كلهِ لم يحصل على فائدة وحيث كان معتاداً على سخاء الملك بهواج راى ان يعود اليهِ ويشكو لهُ حالهُ متاملاً بانهُ لا يبخل عليهِ لانهُ لم يخب في ناده معادٍ

شعر

مفيدٌ ومتلافٌ اذا ما سالتهُ تهلل واهتز اهتزاز المهندِ

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

فسار مسافرًا قاصدًا الملك بهواج وبينما كان سائرًا في الطريق عطش عطشًا شديدًا فصار ينظر يمنةً وشمالاً لعله يجد منهلا يروي ظماءه من مائه ولم يزل على هذه الحالة حتى انقضى النهار وخيم الظلام فنظر بغتةً فرأى في كهف ما يشبه البئر فسار اليه ولما دنا منه رفع طربوشه وربطه بعمامته ودلاه في البئر يتناول فيه ماء فاستقام الطربوش في البئر برهة ولم ينزل فيه ماء فهتف عازم حينئذٍ : عجبًا هل بلغ هذا الطربوش الى الماء ام لا وللحال اخذ يحدق النظر فيه فرأى في البئر كرسيًا من ذهب مرصعًا بالحجارة الكريمة جالسة عليه ابنة تضيء كالشمس والبئر مضيئة من نورها وامامها شيخ طاعن في السن نحيف المنظر عليه سمة الحزن والكآبة وبجذائه خلقين فيه دهن يغلي على نار موقودة وكان الشيخ ينظر تارةً الى الخلقين وتارة الى الابنة ثم يبكي ويتأوه متحسرًا .
فلما نظر عازم هذا المنظر تحير واندهش وغاب عن الحواس حتى انه لم يعد يتحرك ولم يعد يمكنه ان ينتشل الحبل من البئر فالتفتت الابنة الى فم البئر فرأت رجلاً مدليًا حبلاً معلقًا به وعاء مجوف فظنته فقيرًا يطلب الاحسان فنزعت حينئذ احد سواريها من زندها ووضعته في الوعاء واما عازم فلم يرفع الحبل بل بقي باهتًا متحيرًا ناظرًا الى وجه الابنة فظنت انه لا يرتضي باحد السوارين بل بكليهما فنزعت السوار الاخر من زندها ووضعته في الوعاء . واما عازم فرجع عقله اليه وتشجع فرفع الوعاء فاذا فيه سواران مرصعان بالحجارة الكريمة لا يوجد عند الملك بهواج ما يوازيهما قيمة فاخذهما فرحًا وفي اليوم التالي وصل الى مدينته فذهب الى رئيس الصياغ وعرض عليه السوارين ظانًا انه يشتريهما واما الصائغ فبعد ان امعن النظر فيهما هتف صارخًا : يا عدو الله لقد سرقت هذين السوارين من خزينة الملك بلا ارتياب فكذبه عازم بذلك ووبخه فوقع بينهما الخصام وتقاطرت الناس اليهما وصار كل يتكلم بحسب هواه واما الصائغ فذهب في اخر الامر الى بلاط الملك وقدم له عرضًا اوضح

فيهِ انهُ عثر على سارق سرق من الخزينة الملوكية جواهر كريمة فصدر لهُ امر الملك بان يحضر السارق بين يديهِ فذهب حينئذٍ الصائغ ورجع وبمعيتهِ الرجل المتهم بالسرقة فلما مثل هذا بين يدي الملك عرفهُ الملك انهُ سميرهُ عازم فحينئذٍ نظر الى الصائغ غاضباً وقال لهُ: كيف اتهمت هذا الرجل بالسرقة حالة كونهِ سميرنا ونديمنا عازماً الذي لم نرَهُ من بضعة ايام فلاي سبب افتريت عليهِ وعزوت اليهِ هذا الاثم. وصار يوبخهُ هكذا ثم طرده من عنده فعاد مخذولاً

ثم دعا الملك عازماً وسالهُ عن احوالهِ وعن السوارين اللذين معهُ فاخذ عازم يقص على الملك كل ما كان من امره اولاً واخراً فانذهل الملك من هذا الامر وقال لهُ: ياعازم لقد صدقت كلامك لكونني اعهد فيك الصدق فهل يمكنك اذا ذهبت معك ان تبلغني الى البئر التي رايتها فاجابهُ عازم بالايجاب. فعند ذلك تاهب الملك للسير ولما ظل المساء سار وبمعيتهِ عازم حتى افضيا الى البئر فنظر فيها الملك فراى كل ما اخبره عنهُ عازم فاخذ يمعن النظر في الابنة والشيخ الذي بجانبها وفي اخر الامر سالها من هي فاجابتهُ: انا ابنة سلطان الجن وهذا الشيخ قد عشقني منذ صباه اي من نحو اثنتين وستين عاماً فتراًفت عليهِ وبت انتظره من ذاك الحين حتى الان الا انني لا ابيح لهُ الوصال ما لم يغتسل في هذا الخلقين لانني انا من طائفة الجن وجسمي لطيف واما جسم الانس فهو غليظ كثيف فما دام هذا الرجل على كثافة جسمهِ فلا ابيح لهُ الوصال بل يجب عليهِ ان يغتسل في هذا الدهن لتزول كثافة بدنهِ فيصبح كالذهب الصافي وحينئذٍ يصبح في حالة تليق لمواصلتي. واما هو فانهُ على جانب عظيم من الخوف لانهُ من اثنتين وستين سنة جالس امامي لا يجسر ان يغتسل في هذا الدهن واما انا فلزيادة ترؤفي عليهِ لم يسعني الامر ان اتركهُ بل بقيت انتظره من ذاك الوقت حتى الان فهذه حكايتنا وقصتنا . واما الاغتسال في هذا الخلقين فليس بامر عسير اذا صار بحضوري لان من اغتسل فيهِ لا يذوق قط عذاباً ولا يموت . فسالها الملك بهواج قائلاً: هل ان الذي يغتسل في هذا

الدهن يبقى حيًا او يموت فاجابتهُ الابنة : كلا ايها الفتى فانهُ ليس فقط يبقى حيًا بل لا يذوق قط وجعًا . فعند ذلك نظر الملك بهواج الى الشيخ العاشق وقال لهُ : هل اذا اغتسل احد امامك في هذا الخلقين وخرج منهُ حيًا لا تغتسل انت ايضًا . فاجابهُ : نعم اغتسل ياسيدي واكون الى الابد عبدًا لمن يغتسل امامي . فعند ذلك انحدر الملك الى البئر واثر ان يخاطر بحيوتهِ ليفدي هذا العاشق الجبان فنزع ثيابهُ وغطس في الخلقين و بقي فيهِ قدر ساعة ثم خرج منهُ سالمًا و بالحقيقة زالت الكثافة البشرية من جسمهِ فتعجبت الابنة من شجاعة هذا الملك وغيرتهِ فانحدرت عن عرشها وانطرحت على عنقهِ واخذت تعانقهُ وتدعو لهُ بالعمر والتوفيق واباحت لهُ وصالها وطلبت منهُ الوصال فاجابها الملك بهواج : انني لم اغتسل بهذا الدهن طمعًا بوصالكِ بل رحمة على هذا العاشق ليجسر على الاغتسال فيهِ حتى لا يعدم وصالك فيموت قتيل الهوى والغرام . واما انا فلا استحلك بل تكونين كابنتي في هذه الدنيا والاخرة

فلما سمع الشيخ هذا الكلام وراى ما راى غطس في الخلقين واستمر فيهِ ساعة ثم خرج منهُ وقد زالت عنهُ الكثافة البشرية فانطرح على اقدام الملك بهواج وقبلها وشكرهُ على شجاعتهِ ومروءتهِ و بعد ذلك اتجه الى معشوقتهِ وضمها اليهِ وانشد متهللاً

ايها البدرُ الذي يجلو الدجى   ان روحي في هواك تحترقْ

انا من جملة احرار الهوى   غير اني في هواك تحت رقْ

و بعد ذلك رجع الملك بهواج الى قصره و بمعيتهِ عازم نديمهُ فاثنى عليهِ وامر بافتكاك زوجتهِ و بتادية الدين الذي عليهِ واكرمهُ بمال وافر ورجع الى عادتهِ يعاملهُ باللطف والاحسان . واما عازم فتاب بعد ذلك عن لعب القمار واقلع فازداد حب الملك لهُ وعاش زمانًا طويلاً تحت ظل سيده و بقيت هذه الحكاية حتى الان يتناقلها الخلف عن السلف وهي اعظم شاهد لمروة الملك بهواج وشجاعتهِ ومساعدتهِ للعاشق ببذل مالهِ ونفسهِ

فلما سمعت قمر السكر هذه الحكاية اعترفت بهمة هذا الملك العظيم وشجاعته وتروّفه على العاشق وقالت للببغاء : حقاً ان مروة هذا الملك لعظيمة جداً لاننا لم نسمع قط ان احداً بذل ماله ونفسه لمساعدة العاشق في نوال مرغوبه فقال الببغاء : يا سيدتي انني كثيراً ما اماثل هذا الملك لاني اود ان اوصلك الى حبيبك ولو اقتضى لذلك بذل حيوتي واما الان فاقتصر على ما تكلمت به وسوف يظهر صدق ودادي فقومي لساعتك واذهبي الى حبيبك لانه كفاك مطلاً وانتظاراً فقامت قمر السكر لساعتها فرحة لكنها لما فتحت الباب رات قد اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فرجعت الى حجرتها خائبة واجلت مواصلة الامير الى الليلة التالية فقضت ذاك النهار تارة نائمة وتارة متذكرة حبيبها وتنشد هذه الابيات

جسمي معي غير ان الروح عندكمُ فالجسم في غربةٍ والروح في وطنِ

فليعجب الناس مني ان لي بدناً لا روح فيه ولا روح بلا بدنِ

ولما ظل المساء تطيبت وتبرجت وتوشحت بالملابس الفاخرة ولما خيم الظلام اتت قفص الببغاء واستاذنته في الذهاب الى حبيبها واما الببغاء فلما راى زيادة شوقها وغرامها لزم السكوت واطرق فكررت قمر السكر عليه السوال فلم يجبها قط بكلمة فعند ذلك قالت له : هل تكدرت عليّ ايها الببغاء فبماذا اسأت اليك . فاجابها الببغاء : ما الموجب للكدر يا سيدتي وانت مجبولة على الرق واللطافة ولم يرزق احد ما رزقت من البهاء الفائق فانا لست متكدراً بل غائصاً في بحر الافتكار لارى ما يكون من عاقبة امرك فقالت له قمر السكر : ان كنت تفتكر باحوالي فلماذا لا تساعدني بنوال مرغوبي ولاي سبب احرمتني مشاهدة صديقي واشغلتني زمناً طويلاً فاجابها الببغاء : وهل توجد صداقة اعظم من صداقتي فاني اسهر الليالي برمتها متفكرا باحوالك وعيناي لم تذوقا قط لذة الوسن الا ان صداقتي الان وان تكن عظيمة فلا تدرك لكون الهوى ختم على قلبك وصدق الصديق لا يظهر في الحال غير

انك ستعلمين فيما بعد عظم محبتي لكِ كما ظهرت محبة تلك الببغاء المسكينة لشاه قباد الذي كان قد ظن فيها الخيانة واراد اهلاكها فسالتهُ قمر السكر: وما هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: انهُ كان في نواحي دمشق الشام صياد فقير وكانت حرفتهُ اصطياد طيور الببغاء . فيومًا ما بينما كان ناصبًا شركهُ وقعت فيهِ ببغاء حكيمة عارفة بما قل وجل من العلوم والمعارف وكانت على جانب عظيم من الفطنة والدراية فاخذها الصياد واتى بها السوق ليبيعها . واما الببغاء فمع ما كانت عليهِ من الحزن والاضطراب كانت كلما نظرت احدا تحييهِ با لسلام وتخاطبهُ بكلام يدل على بلاغتها وحذقها ولذلك ازدادت رغبة الناس فيها فكثر الذين كانوا يطلبون شراءها فصار الصياد من ثم يطلب ثمنًا مفرطًا فبلغ خبر الببغاء مسامع ملك دمشق وكان يدعى شاه قباد فرغب فيها رغبة شديدة قبل ان يراها ومن ثم امر احد غلمانهِ ان يشتريها من الصياد باي ثمن اراد فامتثل هذا امر الملك واشترى الببغاء واتى بها البلاط الملوكي فامر الملك بان توضع في قفص جميل وان يعلق القفص امامهُ ولما وجدها على جانب عظيم من الفطنة والدراية رفع مقامها وصار يستشيرها في اموره استنادًا على ما قيل: لا تنظر الى من قال بل انظر الى ما قال وعليهِ لم يكن الملك يفتكر بان هذه الببغاء حيوان جاهل لا يفهم شيئًا بل كان يسمع نصائحها ومشوراتها ويسبرها بمعيار الحكمة والامتحان

فمضت على هذا المنوال ايام وشهور واعوام والببغاء بارغد عيش واتم هناء . فيومًا ما بينما كانت تتفاكه معهُ بالحديث حسب عادتها القديمة قصت عليهِ حكاية مستظرفة فانسر الملك من ذلك وقال لها: هل لا تبتغي ايتها الببغاء مني نعمة فاطلبي ما تريدين ولو كان نصف ملكي فيعطى لكِ . فاجابت الببغاء: ياسيدي ان غاية منيتي ان يحفظك الله زمانًا طويلاً ويقر عينك غير

ان لي حاجةً التمسها منك فارجو اجابة سؤلي وهو ان وطنًا واولادًا تقت لرؤيتهم لانهُ قيل : حب الوطن من الايمان فارجو من كرمك ان تسمح لي بان اذهب الى وطني لارى اولادي مرة واعود اليك سريعًا . فلا يثقلن ذلك عليك لان من زمنٍ مديد تحركت في قلبي محبة الوطن لكنني لم اتجاسر ان اتكلم بذلك امامك . واما الملك فلوفور حبهِ لها اذنها في الذهاب الى وطنها واوصاها بان ترجع اليهِ عن قريب . فعند ذلك فتحت اجنحتها في الهواء وطارت ولما وصلت الى وطنها تلقاها اهلها واولادها بالترحاب وسروا بقدومها وبعد ان سلمت عليهم واوضحت اشواقها لمشاهدتهم اخذت تقص عليهم ما توقع لها وكيف انها وقعت في الشرك وبيعت لشاه قباد الذي غمرها بالفضل والاحسان وصارت تطنب في مدحهِ فسر اهلها بذلك وصاروا يدعون لهذا الملك بطول البقاء ودوام العز والنعم

فاقامت البيغاء بين اهلها مدة غير انها تذكرت اخيرًا وعدها للملك فاخبرت اقاربها بذلك فلم يمانعوها بل اشاروا عليها بان تاخذ معها لولي نعمتها هدية فاخرة تليق بمقامهِ فاجابتهم البيغاء : واية هدية تليق بعظمتهِ واي شيء يوازي ما اولاني من النعم فاجابوها : انهُ لا يليق بكِ ان تذهبي فارغة اليدين لان كل مخلوق لا يعجز عن تقدمة هدية بحسب مرتبتهِ وقد قيل ما لا يدرك كلهُ لا يترك اقلهُ . ومع ذلك فانهُ يوجد في الظلمات بجانب ينبوع ماء الحيوة شجرة عظيمة فمن اكل من ثمرها يحيا الى الابد فاذهبي الى هناك واقطفي من هذه الشجرة ثمرة وخذيها الى مولاكِ فتوليهِ جميلاً لا ينساهُ الى الابد . فاستصوبت البيغاء رايهم واتت الى الظلمات واخذت بمنقارها ثمرة وطارت قاصدة شاه قباد ولما وصلت الى بلاطهِ تقدمت بين يديهِ وبعد ان كفرت وسلمت عليهِ انطرحت على قدميهِ وقدمت لهُ هديتها

وانشدت بلسان الحال قائلة

ان الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمتهُ ... لكان اهدي لك الدنيا وما فيها

و بعد ذلك اخبرتهُ بقوة هذه الثمرة وفاعليتها . فقبلها منها الملك بكل بشاشة وقال لها : لا استطيع الان ان آكل من هذه الثمرة بل يجب عليَّ في مثل هذا الحادث ان اقتدي بسليمان بن داود عليهِ السلام فكما انهُ لم يشرب ماء الحيوة فانا لا آكل هذه الثمرة لان ما فعلهُ سليمان كان خيرًا فسالتهُ البيغاء : هل تقرر يا سيدي ان سليمان لم يشرب من ماء الحيوة .فاجابها الملك نعم : الم تسمعي ما حكي عنهُ . فاجابتهُ :كلا يا سيدي تكرم بالافادة

حكاية

قال شاه قباد : لقد تقرر بان ما من نبيٍّ الاَّ وقد تخير وعليهِ فان الانبياء العظام قد تخيروا جميعهم في هذه الدنيا بين الموت والحيوة غير انهم لرغبتهم في مشاهدة الله تعالى قد اثروا الموت على الحيوة لانهم كانوا يعلمون يقينًا غرور هذه الدنيا واباطيلها وان لا عهد لها ولا وفاء كما قال الشاعر

ولا تركنن الى الدنيا ففيها　　　من الاحزان ما ينفي المسره
الا بعدًا لها من دار قومٍ　　　بها يرضون وهي لهم مضرّه

واما سليمان بن داود فبينما كان ذات مرة جالسًا على تختهِ محفوفًا بصفوف وزرائهِ وجنودهِ اتاهُ امين الوحي جبريل من قبل الحق سبحانهُ وبيدهِ كاس من ماء الحيوة وقال لهُ : يا سليمان ان الله قد اصطفاك من بين الناس واتاك نعمًا جزيلة وها الان قد بعث اليك بماء الحيوة وخيرك بين شربهِ وعدمهِ . واما سليمان فقد اخذ هذا الامر بعين الاهمية فجمع رجال دولتهِ وسائر عقلاء مملكتهِ واستشارهم في هذا الامر واستشار ايضًا سائر انواع الحيوانات والطيور فاشاروا عليهِ جميعهم ان يشرب ماء الحيوة ليحيا الى الابد واما القنفذ فلم يوافق على رايهم بل تقدم بين يدي الملك واستاذنهُ في الكلام فاذنهُ وقال لهُ: تكلم بما عندك لان هذا المجلس هو للمشورة فيستوى فيهِ الرفيع والوضيع

فقال القنفذ : يا سيدي ان كان الله تعالى بعث اليك بهذه الكاس لتشرب منها وتسقي عيالك واولادك وسائر اصحابك فسديد الراي عندي

ان تفعل والا فلا لانهُ لا يمكنك ان تحيا الى الابد بدون ان تصادف اعظم البلايا والاكدار لان الموت يداهمك بالآل والاصحاب فكيف يمكنك ان ترى مدى الدوام حسام الموت طاعنًا اولادك واصحابك فلله درّ من قال

ومن يرجُ طول العمر فليدرع　　صبرًا على فقد احبائـــهِ
ومن يعمر يلقَ في نفسهِ　　ما كان يرجوهُ لاعدائـــهِ

فالموت خير من الحيوة لانهُ خاتمة الاحزان وباب السعادة الابدية . فلما سمع سليمان كلامهُ قال : لله درك من حكيم عاقل قد صدقت فيما نطقت وفقت بنصيحتك هذه على سائر العقلآء والحكمآء وما انا فاعلٌ الاّ حسبما اشرت لان الموت خير لي من الحيوة المملوة اخطارًا واهوالاً لانهُ يولبني الحيوة الابدية في جنات عدن العلوية

فعند ذلك استحلى شاه قباد كلامهُ وقال : اعلمي اذًا ايتها البيغاء ان الاجدر بي ان اقتدي بسليمان الحكيم لانني اذا خلدت في هذا العالم فاعيش مدى الدوام بالاحزان والاكدار فالموت خير من الخلود لاني احظى بهِ عند الله بنعيم قائمٍ ومجدٍ دائمٍ واتمتع في جناتهِ مع الآل والاصحاب . فاجابتهُ البيغاء ياسيدي ان كلامك هذا هو عين الصواب ولكن بقي هنا نظر اخر وهو ان هذه الثمرة فيها نواة اذا غرس في الارض تنبت منهُ شجرة تاتي باثمار كثيرة فمر البستاني ان يغرسها في احسن مكان في البستان فيصير عندنا اثمار كثيرة فياكل منهُ الملك واولاده وسائر اصحابهِ فيحيا معهم الى الابد بالفرح والسرور فقبل الملك مشورتها وامر ان يغرس نواة الثمرة في ارض جيدة وان يعينوا لها حارسًا مخصوصًا فامتثلوا امر الملك ولم تمضِ شهور حتى كبرت الشجرة فازهرت واثمرت

فيومًا ما كان البستاني مارًا في البستان فراى تحت هذه الشجرة ثمرة ساقطة على الارض وكانت قد نضجت فاخذها فرحًا واتى بها الى الملك متهللاً وكان الملك وقتئذٍ جالسًا مع وزرائهِ فتقدم اليهِ البستاني واعطاه

الثمرة واخبرهُ بواقعة الحال فاخذ جميع الحاضرين يشيرون على الملك بان يأكل الثمرة حتى يحيا الى الابد وصاروا يلحون عليهِ بذلك . فاستصوب الملك رايهم واخذ الثمرة بيدهِ ولما اشرف على وضعها في فمهِ اتاه فكر بان لا يعجل بذلك لان الله تعالى يلهم الملوك الى الخير والسلامة فامتنع من ثم عن اكل الثمرة وقال لمن كان حاضراً : انني اخشى من آكل هذه الثمرة عكس المرغوب وقد أُلهمت بان لا اذوقها قبل ان يذوقها غيري . فلم يعارضهُ الوزراء في ذلك خشيةً من امر ياتي ومن ثم استحضروا من السجن شيخًا طاعنًا في السن كان قد حكم عليهِ بالقتل واطعموهُ الثمرة المار ذكرها . واما هذا التعيس المسكين بعد ان اكل الثمرة ببضع دقائق تورم جسمهُ وتغيرت الوانهُ حتى اصبح في حالة النزع فداهمتهُ سكرات الموت وفي الحال قضى نحبهُ

فلما نظر الملك ووزراؤهُ هذا الحادث المرعب خافوا خوفًا شديدًا وارتعدت فرائصهم واما الببغاء فقد اعتراها خوف لا يوصف حتى خال للحاضرين انها اشرفت على الموت . فاطرق الملك برهةً ثم قال : ان هذه الببغاء التي خلناها صديقة نصوحة قد كفرت بنعمتنا ونهجت منهج الخداع واحتالت على قتلنا شر قتلة لانها اتتنا بسم ناقع وسمتهُ درياقًا . فالحمد لله الذي انقذنا من خيانتها واما هي فخبيث قد ظهر خبثها فلتقتل بمشهد من سائر سكان المدينة عبرة لمن يعتبر

قال هذا واخذ يفكر في هذا الامر وقال بنفسهِ : انهُ لحقيق بان خيانة الببغاء قد اتضحت غير انهُ ربما يكون في هذا الامر سر مكنون فان عجلنا الحكم عليها فربما تضحي في اخر الامر بريئة فنكون قد جئنا امرًا مكروهًا وقتلنا غريبًا بدون ذنب فالاولى ان نصبر قليلاً ونفحص هذا الامر مدققًا فان لم تتبرا الببغاء فاننا قادرون في كل آن على قتلها والانتقام منها

قال هذا ودعا الببغاء وقال لها : لقد عهدنا فيك الحب والصلاح ولم نفتر قط عن معاملتك باللطف والاحسان فلماذا اضمرت في قلبك البغض

والعدوان وقصدت اعدامنا نحن الذين قد اتيناك فضلاً جزيلاً فلماذا تعمدت قتلنا والحاق الضرر بالرعية المودعة في يدنا من الله تعالى فكيف تجاسرت ان تقدمي على ارتكاب اثم كذا فظيع يوجبُ اعدامك . فلما سمعت البغاء هذا الكلام ارتعدت فرائصها خوفاً فنظرت الى الملك مرتعبة وقالت اطال الله بقاءك وابعد عنك كوارث الدهر انني والله لقد قطفت هذه الثمرة من شجرة الحيوة وقد اخذني الان غاية العجب كيف انها كانت سبباً للموت لا للخلود فهذا لا يخلو من سر عجيب ولهذا ارجوك ان لا تعجل بقتلي لانك قادر عليه اجلاً كان او عاجلاً وان شئت فلنذهب الى البستان لنفحص مدققاً عن هذا الامر ونقطف ثمرة ثانية ونطعمها لرجل اخر فربما يظهر المكنون وتتضح براءتي . فاستصوب الملك ووزراؤه هذا الكلام وساروا الى البستان فلما وصلوا اليه نظروا يمنةً وشمالاً فراوا ثعباناً كبيراً راقداً تحت الشجرة وهو يضاهي التنين بكبره فلما راى الثعبان هذا الجم الغفير فتح فاهُ واخذ ينفث سماً قاتلاً حتى كاد سمه يصل الى اطراف البستان فلما نظروا ذلك ارتعدت فرائصهم خوفاً . فدعا الملك البستاني فقال ياسيدي انني لم اقطف الثمرة من الشجرة بل وجدتها ساقطة على الارض . فعند ذلك اندرأت الشبهة من قلب الملك لانه تيقن بان الثعبان نفث في الثمرة سماً قاتلاً فامر باحضار شيخ مسنٍّ وقطف ثمرة واطعمه اياها فلم يتم الشيخ مضغها حتى اسود شيبه وتلألأ وجهه كانه شاب بسن الاربع العشرة السنة فعند ذلك تيقن الجميع ان الثمرة الاولى اماتت الشيخ لما كان فيها من سم الثعبان وايقنوا من ثم ببراءة البغاء المسكينة وحيث كانت وقتئذٍ اثمار الشجرة قد نضجت اكل الملك منها واطعم اولادهُ وعياله وسائر وزرائه واهل بطانته فتجدد شبابهم واخذ الملك يمدح البغاء لامانتها واجزل لها العطاء تعويضاً عما لحقها من الاهانة

فاعلمي الان يا قمر السكر انه اذا استترت صداقتي الان فسوف تظهر علناً كما ظهرت صداقة هذه البغاء ومن كون قصر الوقت لايسمح لي باطالة

الحديث في هذا الصدد فقومي الان واذهبي الى حبيبك وتمتعي بوصا له. فقامت قمر السكر فرحة لكنها لما فتحت الباب رات قد طلعت الشمس فتنور وجهها من نورها كما تنور وجه البيغاء الحكيمة وشاه قباد فتنفست الصعداء ورجعت الى حجرتها باكية نائحة منتظرة بفروغ صبر انقضاء ذاك النهار وكانت تنشد

لاتخش سلواني هواك فانني عن رتبة العشاق لا اتزحزحُ
باب المسلي عن جمالك مغلقٌ حكم الغرام بانهُ لا يفتحُ

ولما ظل الظلام تعصبت وتبرقشت واتت قفص البيغاء وانشدت

يالائمي في حب من من اجلهِ قد عزَّ بي وجدي وعزَّ عزآي
هل لانهاك نهاك عن لوم امرءٍ لم يلفِ قط منعما بشقاء
لو تدري فيما عذلتني لعذرتني خفض عليَّ وخلني و بلاءي

آه واسفاه ما اعظم شقاوتي وما انكد حظي فبالله ايها البيغاء ارث لحالي ولا تمنعني عن الذهاب الى حبيبي لان الهوى اضنى جسدي وقد اشرفت على الموت لانني لم اعتد على اهوال العشق لان هذا اول من ابتليت بحبهِ وما هو يت قط غيره

شعر

فما راقني من لاقني بعد بعده ولا شاقني من ساقني لوصالهِ
ولا لاح لي مذ ندَّ ندٌّ لفضلهِ . ولا ذو خلال حاز مثل خلالهِ

وفضلاً عما انا عليهِ من الهوى الذي حرق فوادي فاخشى ان يقف احد على اسراري واعود بعد العناء مفضوحة بين النساء فيشمت بي الناس واصادف شر عاقبة . فقال البيغاء : مهلاً لاتخشي من هذا القبيل شيئًا لانهُ ما من احد يعرف ما انطوى عليهِ امرك سوى عبدك هذا والسر عندي محفوظ في طي الخفايا واما انت فاياك ان تبوحي بسرك لكائن من كان. لان من كتم سره بلغ مراده وقد قال الشاعر

تفرد بحفظ السر وحدك لاتثق الى احد فيهِ ولوكان من كانا
فانك ان اودعت سرك عاقلاً يزل وان اودعتهُ جاهلا خانا

وما عدا كتم السر تذكري ايضاً ما قلته لك سابقاً ومتى قابلت حبيبك ابدي له الملاطفة . واما اسرارك فحذار من ان تطلعيه عليها حتى لا تعودين نادمة كما ندم ابن الوزير لما اودع زوجته اسراره . فسألته قمر السكر وما هي حكاية ابن الوزير

حكاية

قال الببغاء : انه كان في احدى مدن العراق تاجر ذو غنىً وافر اسمه حسام وكانت عادته ان يسافر الى بلاد الناس لاستجلاب الامتعة والبضائع فيوماً ما سافر الى الهند واخذ يطوف في المدن الشهيرة ويشتري من العروض كل ما يروق له ولما عزم على الرجوع الى بلاده قال لاصحابه : نعم انني قد اخذت من كل البضائع احسنها الا انني ارغب شيئاً لا يوجد عند احد غيري ويعز مثاله في كل مكان فاخبره اصحابه انه يوجد في المدينة التي كان فيها وقتئذٍ رجل بارع في العلوم الرياضية وفي الفلسفة ومعرفة الكائنات وانه قد ابتدع شيئاً غريباً وهو انه يصنع من الخشب طائراً لا يتميز قط عن الببغاء الطبيعية ويضع فيه آلة تجعله ان يتحرك ويتكلم واشار عليه اصحابه ان يستصنع عنده طائراً على هذه الصورة . فاستحسن حسام رايهم وفي الحال ذهب الى الرجل المشار اليه واعطاه مالاً وافراً حتى يصنع له طائرا على الصورة المار ذكرها فلبى طلبه وشرع في العمل ولم تمض ايام قليلة حتى فرغ منه واتى به غاية الاتقان فاعجبت هذه الببغاء حساماً فاخذها وتاهب للسفر وفي اليوم التالي سار راجعاً الى بلدته فوصل اليها بالسلامة

هذا وكان في تلك المدينة ابن وزير مبتلىً بحب النساء وبينما كان ذات مرة ماراً في الطريق كان بالقضاء والقدر ان راى امراة حسام وفي الحال وقع الهيام في قلب كل منهما وتعاشقا منذ تلك الساعة وصار ابن الوزير في الفرص المناسبة يذهب لمغازلة زوجة حسام ومباغاتها ومضى على هذا المنوال ايام كثيرة وحسام لا يدري بذلك واما ابن الوزير فكان يحسن الى حسام

ويعاملهُ باللطف والاحسان اكراماً لخاطر زوجتهِ وكان في اغلب الاوقات يدعوه الى الصفاء والانشراح

فيوماً ما صنع ابن الوزير وليمة دعا اليها جميع اصحابهِ وكان حسام من جملة المدعوين فجلسوا يتفاكهون بالحديث ويتحدثون عن الكسب والتجارة فنظر احد الاعيان الى حسام وقال لهُ : انك قد سافرت الى بلدان كثيرة وشاهدت عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات فقص علينا ما رايتهُ في سفراتك المشهورة . فاخذ حسام يقص عليهم ما يقر الخاطر ويبهج السامع وبعد ذلك شرع يخبرهم عن الببغاء الناطقة وحسن مسامرتها وعن فصاحتها فتعجب الحاضرون من ذلك واخذتهم الحيرة والاندهاش . ولما تفرق المجلس ارسل ابن الوزير ينهي الى معشوقتهِ زوجة حسام بان ترسل لهُ الببغاء الهندية في قفصها . فامتثلت الاميرة امره وارسلت لهُ الببغاء مع رسوله وفي الحال استحضر ابن الوزير صانعاً ماهراً في صناعة النحت وامره بان يصنع لهُ من الخشب طائراً على هيئة الببغاء الهندية فامتثل الصانع امره وصنع كما امره بهِ . وبعد ذلك ابقى ابن الوزير الببغاء الناطقة عنده وبعث الاخرى الى معشوقتهِ في قفص تلك وانهى اليها بان مراده بهذه الحيلة ان يستخلصها من زوجها لتكون حليلة لهُ واوصاها بان تكتم هذا السر على كائن من كان ثم وضع الببغاء الناطقة في قفص ثمين وكان في غالب الاوقات يتحدث معها فيطربهُ حديثها وتدهشهُ فصاحتها فتيقن حينئذٍ ان كلام حسام ومدحه لهذه الببغاء لم يكن فيه مبالغة

وكان لابن الوزير زوجة بديعة المنظر حميدة الخصال فاطلعها على سره واخبرها عن مرامه واوصاها بان لا تبوح به لاحد واما هي فبحسب طبع النساء لم تكتم سر زوجها وقد قيل : كل سر جاوز الاثنين شاع بل اطلعت عليه رجلاً يدعى ابا العباد وكانت قد عشقتهُ من زمن طويل ولم يكن احد عارفاً باحوالها ولم تقل على عشق هذا الرجل الا لنشوز بعلها عليها لانهُ كان قد جفاها وكما ان زوجها كان يتعدى على غيره كانت هي تاتي المنكر جزاء لهُ

فيوماً ما صنع ابن الوزير وليمة ودعا اليها حساماً وسائر اصحابهِ ولما جلسوا يتفاكهون بالحديث عرضوا بذكر الببغاء الناطقة فشرع حينئذٍ حسام يطنب في مدحها فعارضهُ ابن الوزير وكذبهُ ووبخهُ فغضب حسام لذلك وحلف يميناً مغلظاً على صدق ما قالهُ فكذبهُ ايضاً ابن الوزير وقال لهُ: اذا كان ما تقولهُ صحيحاً فاني اعطيك سائر ما املك حتى واني اطلق زوجتي لتصير حليلة لك وان كان قولك كاذباً فعليك ان تطلق زوجتك لتكون حليلة لي فارتضى حسام بذلك وقسم كل منهما يميناً مغلظاً بان يقوم بتعهدهِ واشهدا الحاضرين على ذلك ثم تفرق المجلس وذهب كل الى محلهِ

فذهب حسام الى بيتهِ واتى الببغاء ليخبرها عما جرى بينهُ وبين ابن الوزير فوجدها جسماً بلا روح ولا لسان فاخذتهُ الحيرة حتى كاد يطير عقلهُ من الاندهاش وشرع يبكي وينوح ويقول: تباً لذاك الرجل الذي صنع هذه الببغاء لانهُ جعلها ان تتكلم لوقت معين فانقضت مدتها وعادت جماداً وصار يبكي ويتاسف على ما هو عتيد ان يخسرهُ فضلاً عن العار الذي سيلحقهُ

وبينما كان على هذه الحالة دخلت عليهِ والدتهُ واذ وجدتهُ في هذه الحالة سالتهُ عن سبب حزنهِ وبكائهِ فقص عليها السبب مفصلاً فرقت لهُ واخذت تفكر في حيلة لانقاذه من هذه الحالة الشقية . وبعد ان تضرعت الى الله قالت لهُ: اعلم يا ابني انهُ يوجد في هذه المدينة زاهد بارا سمهُ ابو العباد فهو تسلية كل محزون لان تضرعهُ يشفي من سائر العلل وبدعائهِ قد تباركت نفسي ونال كل ذي غاية وطرهُ فالراي عندي ان نذهب اليهِ ونخبرهُ باحوالنا ونترجاهُ ليتضرع لاجلنا فربما ياتينا تضرعهُ رحمة من الله فتعود هذه الببغاء تتكلم . فاستحسن حسام كلام والدتهِ وذهب بمعيتها الى ابي العباد ومعهما الببغاء المنحوتة من الخشب فلما وصلا اليهِ قبلا يديهِ واخبراهُ بما حصل لهما . واما ابو العباد فكان عارفاً حقيقة امر هذه الببغاء لانهُ اطلع على اسرار ابن الوزير من زوجتهِ التي عشقتهُ ولذلك التفت الى حسام وقال لهُ :

اطمأن بالاً ولا تخف لا نك بواسطة تدبيري ستفوز على خصمك وتوقعهُ في الحفرة التي حفرها لك ولكني اشترط عليك ان تعطيني زوجتهُ فاجابهُ حسام بالايجاب فحينئذٍ اخذ ابو العباد الببغاء وابقاها عندهُ ورجع حسام الى بيتهِ

وبعد ان توارى حسام عن نظر ابي العباد ارسل هذا رسولاً الى زوجة ابن الوزير وكتب اليها واقع الحال الذي جرى وارسل لهُ الببغاء لتضعها في بيت زوجها وترسل لهُ الببغاء التي عندها وانهى اليها انها بواسطة هذه الحيلة تخلص من جور زوجها وتكون من نصيبهِ فلما وصل الكتاب الى زوجة الوزير فعلت كما اشار ابو العباد وارسلت لهُ الببغاء الناطقة ووضعت مكانها الببغاء الجامدة ولما رجع الى ابي العباد رسوله حاملاً هذه البشرى السعيدة كاد يطير من فرحهِ وفي اليوم التالي دعا حساماً واراهُ الببغاء وقال لهُ: ها هوذا عادت الببغاء تتكلم بواسطة دعائي وتضرعي الى الله فخذها الان واسرع الى مخاصمة ابن الوزير ولكن تذكر ما تعهدت بهِ. فاخذ حسام الببغاء وقام يطلب فصل الدعوى بينهُ وبين ابن الوزير فتحاكم معهُ عند افاضل الفقهاء فحكموا على ابن الوزير بان يعطي املاكهُ وزوجتهُ وكل مايملك الى حسام اتماماً للشرط الذي اشترطهُ على نفسهِ واستناداً على ما قيل ثلاث هزلهن جد وجدهن هزل واما حسام فلم ياخذ من الاموال والاملاك شيئاً بل تركها لابن الوزير واخذ زوجته فقط ووهبها لابي العباد الذي تزوجها بعد انقضاء عدتها فوقع ابن الوزير بالحفرة التي حفرها لحسام واضحى سخرية عند اهلهِ واصحابهِ شعر

ومن يحتفر بئراً ليوقع غيرهُ سيوقع يوماً بالذي هو حافرُ

قضى الله ان البغي يصرع اهلهُ وان على الباغي تدور الدوائرُ

فالان يا قمر السكر انهُ ينتج من هذه الحكاية فائدة عظيمة لان ابن الوزير باظهار سرهِ لزوجتهِ حلت عليهِ النكبة فتيقظي اذاً واياك ان تظهري سرك لاحد فتعودي خاسرة. ومن كون كلامي قد اثر فيك فاذهبي الى حبيبك لاني

ما عدت اخشى عليك الزلل في هذا الامر . فقامت قمر السكر لفورها فارحة قاصدة حبيبها غير انها لما فتحت الباب رات قد اشرقت الشمس على الجبال الشاهقة واضاءت العالم باسره وظهر كل ما في المدينة كما ظهرت اسرار ابن الوزير فاجلت مغازلة حبيبها الى الليلة التالية وقضت ذلك النهار متقلبة على نار الهوى والغرام وقد ابلى الهوى جسدها فصارت اشبه بالخيال

ولما ظل المساء تزينت وتعطرت واتت قفص الببغاء وشكت اليهِ حالها . ولزيادة ما كانت عليهِ من الغضب والحزن ظنها الببغاء انها غابت عن الصواب . فتنفست الصعداء وقالت : آه ان قلبي قد احترق بنار الوجد والجوى واصبحت ملهوفة لا اجد عونًا على الشدائد وقد قربني الشوق الى القبر لان الهوى اضناني وصرت في حالة يرثى لها فانقذني ايها الببغاء من الهلاك لانه قد ضاق صدري وعيل صبري ولم يعد في وسعي ان احتمل الهوى دقيقة واحدة وما وصلت الى هذه الحالة الا من مماطلتك لانني كنت اظنك خليلاً شفوقًا فخاب املي فيك لانك لم تنظر اليَّ بعين المحبة والغيرة فتاكدت ان ليس في الدنيا صديق ودود ولا يجزي احد عن اخيهِ شيئًا ولله در من قال

مضى الخير طرًّا ليس في الناس منصفُ   وكل ودادٍ فهو منهم تكلفُ
وكلٌّ اذا عاهدتهُ فهو ناقضٌ   لعهدك او واعدتهُ فهو مخلفُ
وابناء هذا الدهر كالدهر لم يثق   بهِ وبهم الا جهول ومسرفُ

فاجابها الببغاء : يا سيدتي امثلي ينسب اليهِ المكر والخداع و يعزى اليهِ البغض ونكران الجميل فانك لا شك قد تكلمتِ بهذا الكلام بدون روية لان من فاه بمثلهِ كان لا ريب غائبًا عن الصواب . واما مماطلتي للان فهي لاني استصوبت التاني اذ ان من تصرف بدونهِ كان خاليًا من الرشاد لان بهِ يؤمن الزلل في مثل هذه الحوادث المشكلة وقد اوصانا بهِ الرسول صلعم ولذلك قالوا من ترك المشورة فهو نصف رجل وقال اسد الله الغالب علي ابن ابي طالب كرم الله وجهة : لا صواب مع ترك المشورة وقال غيره : ادهى ما يكون من

الرجال لا غنى له عن المشورة وقال الشاعر

ان اللبيب اذا تفرق رايهُ فتق الامور مناظرًا ومشاورا
واخو التكبر يستبدُّ برايهِ وتراهُ يعتسف الامورَ مخاطرا

ولا يستغني عن المشورة الا من اقامهُ الله حاكمًا على عبادهِ لان حكمتهُ تعالى تظللهُ وتغنيهِ عن الاستشارة وقد قيل: أرباب الدول ملهمون وعليهِ فان الله تعالى يلهم الحاكم العادل الى الخير والصواب ويعطيهِ الفطنة والذكاء ولذلك كان الحكام يفضون بسهولة ما يعرض لهم من المشاكل

ثم تذكري ان زوجك قال لك قبل سفره: استشيري الببغاء في كل عملٍ تقبلين عليهِ وفي كلامهِ هذا حكمة حيث انهُ كان يخشى منكِ الزلل اذا تهافت في الامور لان للان لم تحنكك الايام ولم تهذبك الحوادث وانما اوصاكِ بان تستشريني لما يعهدهُ فيَّ من الحكمة والغيرة والحب والوفاء فلذلك لا تندمي على استشارتي وعلى اظهار سرك لي لانهُ يبقى الى الابد مكتومًا وقد قيل: صدور الاحرار قبور الاسرار. وسوف تظهر لك فائدة مشورتي كما ظهرت فائدة مشورة هوشمند الوزير واولاده لما كلفهُ الملك بهواج دعوة البحر الى زفاف ابنهِ فسالتهُ قمر السكر وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: قد حكيت لك حكايتين عن الملك بهواج والان اقص عليكِ الحكاية الثالثة عن هذا الملك الرؤوف ومنها يتضح لكِ كيف ان الاستقامة في الخدمة تكسب صاحبها رضى الله تعالى ورضى سيدهِ وكيف ان الامور الضيقة المصادر التي تطرأُ على الخدم تظهر لاسيادهم استقامتهم في السلوك وفطنتهم في العمل وحذاقتهم في الاجراء

وقد روى المخبرون انهُ كان لهذا الملك ولد جميل الصورة وكان عاقلاً لبيبًا فطنًا نجيبًا ومنذ نعومة اظفارهِ انكب على اقتباس العلوم والمعارف فحصل منها قسمًا عظيمًا ولم يكن يفضل عليها شيئًا من مطامع الدنيا لانهُ كان يعلم يقينًا

ان قيمتها جزيلة اذانها افضل منةٍ يمن الله بها على من يحبهُ وقد قال الشاعر

العلم زينٌ وتشريفٌ لصاحبهِ فاطلب هديت فنون العلم والادبا

كم سيد بطلٍ اباوءهُ نجبٌ كانوا الرؤوس فاضحى بعدهم ذنبا

ومقرف خامل الاجداد ذي ادبٍ نال المعالي بالاداب والرتبا

فلهذه المناقب والمزايا كان قد اكتسب حباً فائقاً من ابيهِ ومن سائر رجال الدولة . فلما بلغ من العمر اشدهُ قصد ابوه ان يزوجهُ فخطب لهُ ابنة جميلة المنظر ثم اقام لهُ زفافاً حافلاً وامر هوشمند رئيس وزرائهِ ان يدعو الى زفاف ابنهِ سائر الحكام ورجال الدولة واكابر الرعايا من اقاصي المملكة فلبى الوزير امرهُ ولما حضر المدعوون كافة اخبر الملك بذلك وقدم لهُ لائحة بما اتوا بهِ من نفائس العطايا فسر الملك منهُ وابدى لهُ علامة الاستئناس ثم فكر برهة وقال في نفسهِ : يجب ان امتحن وزيري هذا واكلفهُ امراً محالاً لاعرف بذلك طويتهُ واسبر غور عقلهِ وحذاقتهِ قال هذا ونظر الى الوزير وشكره على وفور اهتمامهِ ودرايتهِ وقال لهُ : بقي عليَّ ان اكلفك امراً واحداً فان فعلتهُ فيعطى لك ما تشاء والا فاقطع راسك فاريد منك ان تدعو البحر الى زفاف ابني وتكلفهُ ان يحضر وليمتي ويشاركني في فرحي واعطيتك لذلك فرصة ثلاثة ايام . اما الوزير فلما سمع هذا الكلام خاف خوفاً شديداً وحزن حزناً مفرطاً ولكن ما العمل فذهب الى بيتهِ واختلى في حجرتهِ بخلاف عادتهِ واخذ يفكر في ذلك وفي عاقبة امرهِ . وبينما كان على هذه الحالة دخل عليهِ اولاده الاربعة واذ وجدوه حزيناً سالوه عن سبب حزنهِ فاخبرهم بما توقع لهُ مع الملك وقال لهم ان هذا الملك الخائن الذي نسي ما ابديتهُ معهُ من الخدامات والمعروف وقد حسدني ورام قتلي واذ لم يجد مسوغاً لذلك كلفني امراً محالاً لان من يستطيع ان ينقل البحر من مكانهِ ويحضره الى بلاط الملك ولو سمعت هذا الكلام من غير الملك لكنت اعده مختل الشعور واما هو فلم يقل ذلك عن جهلٍ بل عن غاية ردية ليوجد بذلك سبباً لقتلي

عجباً كيف قد تغيرت افكاره نحوي وكيف قد انتقل في برهة وجيزة من الحلم الى الظلم الم يدر ما قال الشاعر

ان شئت ان تعصي وان كثُرت قادرًا　　فربا الذي لا يستطاع من الامرِ

فيا للعجب كيف قد نسي خدمتي السابقة وقد افنيت عمري في خدمتهِ وخدمتهُ بكل امانة ودراية ولكن فقد حكم الدهر بان ينسى الصديق القديم ويبذل المعروف للصديق الحديث اهذه مجازاتهُ لي وقد اجتنبت كل خيانة ولم اعمل قط الا ما كان يسرهُ فقد صدق فيهِ قول من قال ليس في التقرب من السلطان الا نفس خائفة وجسم مرتعب ودين منثلم وصح فيهِ ما قالهُ الشاعر

ومعاشر السلطان شبه سفينة　　في البحر ترعد دائمًا من خوفهِ

ان ادخلت من مائهِ في جوفها　　ادخلها وماءَها في جوفهِ

فالان جمعتكم يا بني لاعانقكم قبل المات واودعكم واستودعكم الله تعالى فاتقوه واجتنبوا الملك بهواج الجائر لئلا يصيبكم ما اصابني

فلما سمع اولادهُ هذا الكلام قالوا لهُ : يا ابانا الشفوق العزيز لقد وهمت خطاً في ما ظننتهُ لان الملك لم يقصد بهذه الواسطة ان يقتلك لانهُ لو اراد قتلك لما كان يحتال عليك اذ هو قادر عليهِ بدون حيلة ولكن تذكر ما فعلت في الماضي فربما يكون قد ظهر من اعمالك ما حرك حفائظهُ عليك

فاجابهم الوزير : ان كلامكم هذا لا يخلو من الصواب لان الملوك لا يحتاجون الى الحيلة لقتل عبيدهم واما في هذا الزمان فقد تغيرت سياستهم وصاروا لا يقتلون احدًا بدون ان يعزوا اليهِ اثمًا ليواروا عن الرعية قساوتهم البربرية ويماثلون في ذلك ذاك الاسد الذي اراد ان يقتل الشاة فاحتج عليها بانها غبرت بساط تختهِ . فسالهُ اولادهُ : وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الوزير : انهُ كان في مينا احدى الجزائر سفينة كبيرة خالية من الناس لانها لما دنت من الشاطىء قذفتها الارياح على الصخور فانقلبت وغرق كل

من كان فيها ولم يبقَ فيها سوى شاة نجت من الغرق وكانت هذه الشاة تنحدر في النهار الى البر وترعى في الجزيرة. وعند المساء كانت ترجع الى السفينة وتبيت فيها وكان بالقضاء والقدر انهُ كان في تلك الجزيرة اسد ضار. فيوماً ما اصطاد هذا الاسد صيداً عظيماً فاكلهُ هو واعوانهُ ولما شبعوا اخذ يتمشى معجباً بنفسهِ حتى وصل الى شاطىء البحر ولما راى السفينة صعد اليها واخذ يفتش فيها لعلهُ يجد صيداً فوقع نظرهُ على الشاة التي خافت خوفاً شديداً ولكن حيث لم يكن وقتئذٍ جائعاً لم يفترسها بل اعطاها الامان وطيب خاطرها ومنذ ذلك الحين اتخذ السفينة مقرّاً لهُ وكانت الشاة تحضر امامهُ كل يوم بدون استئذان لانها اخذت الدالة عليهِ لما اظهر لها من اللطف والامان

فيوماً ما ذهب الاسد واعوانهُ الى الصيد وبقي من طلوع الشمس حتى غروبها جائلاً في البراري ولم يجد صيداً فاشتد عليهم الجوع ولم يجدوا لذلك حيلة. فاتفق اعوانهُ سرّاً على افتراس الشاة ثم اتوا الاسد واخبروهُ بذلك فاجابهم قائلاً: انني ارضى بان اموت جوعاً ولا ارضى بنقض العهد الذي عاهدتهُ لهذه الشاة لان ذلك مما يشين اصحاب المقامات. فاجابهُ اعوانهُ: ان كلامك حق ومراعاة العهود واجبة غير ان نجاتك من الموت اشد وجوباً ولا جناح عليك اذا فديت حيوتك بموت احد رعاياك. فانقاد الاسد لقولهم وصمم على افتراس الشاة ولكن حيث انها كانت بريئة فلم يشأ قتلها بدون ان يعزي اليها اثماً فاتفق في تلك الساعة ان دخلت عليهِ الشاة ووقفت بين يديهِ فنظر اليها الاسد غاضباً وقال لها: يا قليلة الادب كيف تجاسرين ان تدوسي بساطي الملوكي فقد غبرت الان موطىء قدمي وتفاقمت بذلك رذيلتك فاجابتهُ الشاة: يا سيدي ان في كلامك هذا عجباً لان اين الغبار ونحن في وسط البحر. فلما سمع الثعلب الذي كان واقفاً بجانب الاسد جوابها هذا اخذ يوبخها ويحرك حفائظ الاسد عليها وقال لها ايتها الملعونة ان اعتذارك هذا اقبح من ذنبك لانهُ يماثل اعتذار السائس الخائن لمولاه. فسالهُ الاسد وما

هي حكايتهُ

حكاية

قال الثعلب : ان رجلاً غنيًا كانت لهُ امراة جميلة المنظر وكانت قد هوت السائس الذي كان عند زوجها فاعتادت ان تاتي ليلاً وتجلس على الدرج فياتي السائس و يغازلها. فمرة ما كان هذا الرجل صاعدًا ليلاً على الدرج فتبعهُ السائس الذي كان وقتئذ في الاصطبل ولما دنا منهُ قرصهُ في فخذهِ ظانًا انهُ سيدتهُ المعهودة لكنهُ لما لمسهُ اشتبه بهِ لكثافة بدنهِ ولطافة بدن زوجتهِ ولذلك اخذ يتفرس فيهِ فاذا هو سيدهُ فعند ذلك انطرح على اقدامهِ واخذ يعتذر لهُ قائلًا انهُ قد ظنهُ سيدتهُ فكان اعتذاره هذا اقبح من ذنبهِ فاستوجب من سيده جزاء صارمًا

فاعتذار هذه الشاة ليس باقل قباحة من اعتذار السائس فلا جرم انها تستحق القتل ولا ينافي ذلك ما عاهدتها بهِ لانك لم تعطها الامان الا باشتراط الامانة منها وقد نبذتها . فلما سمع الاسد كلامهُ غضب على الشاة فوثب عليها وفسخها شطرين وافترسها هو واعوانهُ

فعند ذلك نظر هوشمند الوزير الى اولادهِ وقال لهم ان حكايتي تشابه حكاية هذه الشاة لان الملك لما لم يجد سبيلاً لقتلي جعل دعوة البحر وسيلة لذلك .
فاجابهُ اولادهُ : لا خفاك ان الملوك في غالب الاوقات يعفون عن عبيدهم بعد ان يكونوا قد غضبوا عليهم لان طبعهم يميل الى الحلم والرافة اذ انهما يوطدان اركان دولتهم وعلى كل حال ينبغي الحذر من مخالفتهم ولو امروا بما لا يستطاع ولذلك يجب على المامور ان يبذل جهدهُ في طاعة مولاه حتى يتيسر لهُ من ذلك ما يوجب الاعتذار اذا عجز عن انفاذ امرهِ لانهُ يجب على الانسان ان يسعى وان لم يصادف نجاحًا حيث قد قيل عليك السعي وليس عليك النجاح وقال الشاعر

على المرء ان يسعى بما فيهِ نفعهُ   وليس عليهِ ان تتم المطالبُ

فلا يوافقك اذاً ان تخالف امر الملك بهواج وان كانت لا تستطاع طاعتهُ لانك اذا اجتهدت في طاعة امرهِ ولم توفقك التقادير عليهِ فيكون لك حجة للاعتذار فقم بنا اذاً لنذهب الى البحر وهناك نجثوا ساجدين لله ونستمد من رحمتهِ الايد والمعونة فلا ريب في انهُ يأتينا بالفرج لانهُ على شيء قدير

فلما سمع هوشمند كلام اولاده هذا طاب لهُ ووقع لديهِ موقع القبول فقام لساعتهِ وتهيأ للسفر فاخذ اولاده معهُ وسار مسافراً متكلاً على رحمة الله تعالى وعنايتهِ وبعد يومين بلغ شاطيء البحر وفي اليوم الثالث غلب عليهِ النعاس لشدة ما قاساه من العناء والتعب فنام ولما استغرق في لجة النوم راى في الحلم روحاً من الجنة هبطت اليهِ من مقر السعادة وهي تضيء كالشمس وقالت لهُ يا هوشمند الوزير ان الله قد استجاب دعاك واتاك رحمة واسعة وظللك بقوتهِ العلية فاطمئن بالاً ولا تخف لان الملك بهواج لم يكلفك دعوة البحر حتى تحضره بين يديهِ بل قصد بذلك ان تأتيهُ بهدايا البحر النفيسة الموجودة تحت الغمر فهذه اربع هدايا من قبل الله تعالى ارسلها اليك من كرمهِ وجوده وهي حصان وثلاثة صناديق في اولها جواهر كريمة وفي الثاني ملابس فاخرة وفي الثالث ذهب صافي العيار فخذ ذلك الى الملك بهواج وبلغهُ تحيتي واعلم ان هذه الهدايا لا نظير لها في الدنيا كلها ولكرم الملك بهواج وخصالهِ الحميدة قد اتحفتهُ بها وانا البحر الذي اتيت لتدعوه الى زفاف ابن الملك قال هذا وتوارى عنهُ ففي الحال فتح الوزير عينيهِ فوجد الاربع الهدايا بين يديهِ فقام لساعتهِ وجثا على ركبتيهِ وحمد الله تعالى على هذه النعمة الجزيلة ثم قام راجعاً الى العاصمة راكباً جناحي النعامة ولما وصل اليها مثل بين يدي الملك واخبره منفصلاً بما جرى لهُ من اولهِ الى اخره وقدم لهُ الهدايا النفيسة التي اتى بها من قبل البحر وبلغهُ سلامهُ وقص عليهِ ما كان من امره وامر اولاده وعن الحديث الذي دار بينهم . فلما سمع الملك كلامهُ هذا انحظ جداً وتفاقم سروره وكاد يطير من الفرح فشكر الوزير على امانتهِ وشهامتهِ ونشاطهِ في الاقدام على صعاب

الامور فقال له: انني لم اقصد بهذا الامر الا التجربة والامتحان فالله قد ترادف عليك واتاك حظاً وافراً ووطد حبك في قلبي فانت الان اعز اصحابي وعليك اعتمد وبك اثق وقد صارت رتبتك عندي رفيعة وصرت موضوع سري وسروري واما هذه الاربع الهدايا فلك منها واحدة تختارها فاجابه الوزير: يامولاي انني التمس من مراحم عظمتك ان تمهلني حتى استشير اولادي فامهله الملك وامره بان يحضر اولاده بين يديه فحضروا ولما سئلوا عن رايهم بهذا الخصوص قام الولد الاكبر وقال لابيه: ياابتاه ان الذهب عزيز واسمه مطرب وهو مرغوب من كل الامم في كل ابن وآن وبه تشترى الملابس الثمينة والجواهر الفاخرة والخيول العظيمة وقد اجاد الشاعر بمدحه حيث قال

وقائلة ما الجود قلت لها الغنى   وما الدين والدنيا فقلت الدراهم

واما الحصان فما هو الا ذو روح فان مات فقد من اليد ومثله اللباس فانه يبلى والجواهر فانها تضيع واما الذهب فلا يعتق ولا يضيع. ثم قام الولد الثاني وقال: ياابتاه ان الاجدر بك ان تاخذ الجواهر لانك وزير ملك عظيم وما دمت تحت ظل جناحه فلا تحتاج الى الذهب وكل قطعة من هذه الجواهر تساوي الذهب كله لانه لا يوجد مثلها في خزائن الملوك. ثم قام الولد الثالث وقال: ياابتاه ان اخذ الحصان هو الراي السديد لانه الجوهر الفرد وعليه تقاتل الرجال في منازل الابطال فيخوض المنايا ويحرك في قلب صاحبه الشجاعة والحماسة ويحفظ العهود ويكابد المشقة عن صاحبه وينقذه من الاخطار ويفديه بحيوته. وقصارى الكلام انه من الات الجهاد وفوائده جمة لا تحصى ثم قام الولد الرابع وقال: ياابتاه ان الحصان والات الجهاد وجمع المال واقتناء الجواهر مختص بالجنود واصحاب الطمع وبالنساء والشبان الذين يرغبون في الزينة ولا يفرح بذلك الا كل متغفل. واما العاقل فلا يرغب فيها عن الخلع الثمينة الفاخرة فالاجدر بالوزراء القائمين في خدمة الملوك ان يقتنوا الخلع الفاخرة حتى يلبسوها بحضرة مواليهم. فهذا ما يليق بك قبل كل شيء

فلما سمع الملك بهواج هذا الكلام من هولاء الغلمان تيقن من اختلاف آرائهم فطنتهم وحكمتهم وحسنت لديه معارفهم وقال : حقًا ان هولاء الاولاد مع صغر سنهم قد فاقوا جميع العقلاء والحكما بعقلهم وحكمتهم . ولذلك اري ان كلاًّ منهم يستحق ان يعطى لهُ ما رغب فيه من هذه الهدايا . قال هذا وفي الحال امر بان يعطى للولد الاكبر صندوق المال وللثاني صندوق الجواهر وللثالث الحصان وللرابع الخلع الثمينة وقلدهم في بلاطهِ المناصب العالية ورفع منزلة ابيهم وقربهم اليهِ جميعًا وبالحقيقة انهم لم يبلغوا هذه السعادة الا بالعقل والمشورة فلا شك اذًا في ان العقل اغلى ما يتنافس بهِ وقد قيل : العلم نعم السمير والعقل بشير بالخير يشير وقال الشاعر

العقل احسن مهرع فاهرع الى ... ابوابهِ العليا تنل كل العلا

واعلم بان الشيء يرخص كثرةً ... والعقل ان كثرت حواصلهُ غلا

فلما انهى الببغاء كلامهُ نظر الى قمر السكر وقال لها : فالان ياسيدتي قد قصصت عليك هذه الحكاية ليتضح لك عظم المنفعة الناتجة عن المشورة حتى لاتتكلي على من كان مثلي حكيماً فهيماً شيئاً من امورك فكلما حدث لك امر لاتدعي من ان تستشيريني بهِ لتتوصلي بواسطة نصائحي الى درجة الكمال وتدركي غاية المني ولكِ عليَّ العهد الاكيد بانني لا اتهامل ابدًا في بذل المقتضى ولا ابوح قط بسركِ بل ادفنهُ في ضميري الى الابد ويصح بي ما قالهُ الشاعر

السرُّ عندي في بيت لهُ غلقٌ ... ضاعت مفاتيحهُ والباب مختومُ

فالان ناشدتكِ الله ان لاعدتِ تماطلين بل قومي لساعتكِ واذهبي الى حبيبكِ الذي افنى عمره بانتظاركِ . ففرحت قمر السكر وقامت لساعتها لتذهب الى حبيبها فرات قد اصبح الصباح وشعاع الشمس قد لاح فنوَّر الكون كما تنور وجه هوشمند الوزير فحال ذلك بينها وبين مرامها واوقفت مواصلة خلها الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار متقلبة على نار الهوى ولشدة ما كابدتهُ من الشوق كاد قلبها يملى من الهوى لما استحوز عليهِ من اليأس الذي قطعهُ

تقطيعاً و بقيت كل ذاك النهار تناجي قلبها بهذه الابيات

يا قلبُ مالكَ عن هواكَ عدولُ　　ملولاً ولستَ الى الملولِ تميلُ

هم ودّعوكَ واودعوكَ صبابةً　　كادت لحسرتِها القلوبُ تسيلُ

كملت عليك اليومَ بينة النوَى　　والشاهدان مدامعٌ ونحولُ

ولم تزل على هذه الحالة حتى انقضى النهار وادلهمّ الليل فتزينت بافخر الملابس والحلي واتت قفص الببغاء وقالت له: ايها الحكيم العاقل انني ليلة امس قضيت الليل كله باستماع كلامك و بقيت على هذه الحالة حتى بلج الصباح ولم انل مبتغاي وحيث قد عجزت ودنوت من الهلاك فاريد في هذه الليلة ان اذهب الى حبيبي لاتمتع بوصالهِ فاجابها الببغاء: ياسيدتي حقاً انني لقد ندمت ندماً شديداً لاطالتي الحديث في الليلة البارحة لان ذلك منعك عن نوال مبتغاك وقد رثيتُ لحالك جداً لفوات هذه الفرصة من يدك فلا تبقي هنا دقيقة واحدة لان هذا الوقت ليس للتفكر واستماع الحكايات والا فيقضى عليك ان تؤجلي رغدك للغد وليس هذا بامر يحمد لانهُ قيل: الحزم من حفظ ما في يده ولم يؤجل شغل يومهِ لغده وقال الشاعر

ولا تؤخر شغل اليوم عن كسل　　الى غد ان يوم العاجزين غدُ

فاذهبي في هذه الساعة الى حبيبك واقضي هذه الليلة بمواصلتهِ ولكن قبل ان تقدمي على عمل لك مني وصية يجب ان تحفظيها مادمت حية وهي انهُ يجب عليك ان تتفرسي في حبيبك وتصغي الى كل ما يقولهُ وتحفظيهِ في قلبك حتى اذا غمض عليك بعض معانٍ افسرها لك لان الانسان يعرف من كلامهِ حسبهُ ونسبهُ وفسقهُ وصلاحه وحبهُ و بغضهُ وقد قيل: ان اللسان ترجمان الجنان وحيث انك فهيمة حكيمة فيمكنك ان تعرفي طوية حبيبك من لسانهِ وتعرفي حسبهُ من كلامهِ فان الفيتهِ حميد المزايا فتكوني قد نلتِ مرادك والا فلا يليق بك ان تواخيهِ لان الخسيس لايليق بوصالك اذ انك من اشرف اهل المدينة فعند ذلك قالت لهُ قمر السكر: ان كلامك هذا منضد با لذهب ومزر

بالدر الآن فيه ابهاماً فبين لي كيف ان المرء يعرف من لسانه فاجابها البغاء ياسيدتي ان الحكماء يتخذون لكل كلمة الف معنى لان في بعض الاوقات يكون الكلام مبهماً ويدل ظاهره على معان غامضة وربما في حال واحدة دل على معان كثيرة فيريد القائل معنى ويؤوله السامع بمعنى اخر فالحكيم يفسر الكلام بما يريده المتكلم والجاهل يؤوله بخلاف المقصود فيظن القبيح حسناً والحسن قبيحاً وفي بعض الاحيان يظهر للعاقل من كلام الانسان اما صلاحه واما فجوره كما جرى ذلك لما عجز ملك الروم عن فصل دعوى القروي فاحال ذلك لابنته مهرشاه ففصلت هذه الدعوى بكل سهولة وعرفت طوية المتهمين من مجرد كلامهم بعد ان تلبسوا بالنقاوة والورع . فسالته قمر السكر : وما هي حكاية ملك الروم وابنته مهرشاه .

حكاية

قال البغاء : ان رجلاً قروياً وجد درة ثمينة حينما كان يفلح الارض فاخذها فرحاً متهللاً وذهب الى المدينة ليعرضها على الجوهريين ليقوموها فلم يمكنهم تحديد قيمتها لانها كانت نادرة الوجود فعند ذلك اصبح القروي في حيرة عظيمة ولم يعد يعرف كيف يتصرف بهذه الجوهرة فاتى اليه يوماً ما احد اصحابه وكان حكيماً عاقلاً فاستشاره بهذا الامر فاجابه صاحبه : يااخي ان شئت ان تبيع هذه الجوهرة فاي تاجر يمكنه دفع قيمتها فاذاً لا عدت تعرضها على الجوهريين ولا تخبر احداً عنها حتى لا يشيع هذا الخبر و يشتهر بين الناس لانه ربما يبلغ مسامع السلطان فيأخذها منك رغماً وربما لا يقنع بذلك بل يتهمك بسرقتها من خزينته فيصادرك و يعاقبك اشد العقاب فان شئت ان تقبل نصيحتي وتكون من الفائزين فخذ هذه الجوهرة هدية لسلطان الروم وحيث انه على جانب عظيم من اللطف والكرم فلا ريب انه يمن عليك بانعام وافرة ويكون مسروراً منك و يظللك بحمايته فلما سمع القروي كلام صاحبه هذا وقع لديه موقع الاستحسان وقبل نصيحته فلساعته قام

يتاهب للسفر قاصداً ان يقدم هذه الجوهرة هدية لسلطان الروم فسار مسافراً . وبينما كان يوماً من الايام سائراً في الطريق عرض له ثلاثة سياح فرافقوه وسربهم سروراً عظيماً لانه قد قبل الرفيق ثم الطريق فصار يبدي لهم البشاشة متمسكاً بما قاله الشاعر

اذا رافقت بالاسفار قوماً فكن بهم كذي الرحم الشفوقِ
بشوش الوجه ذا عفوٍ وصفحٍ غضيض الطرف عن عيب الصديق
فان تاخذ بعثرتهم يقلوا وتبقى في الطريق بلا رفيق

ولهذا السبب اطلعهم على سره واخبرهم عن الجوهرة التي معه فاخذوا منذ ذاك الحين يتشاورون مع بعضهم في كيفية اختلاس الجوهرة منه وصاروا ينتهزون فرصة لذلك

وبينما كانوا سائرين في الطريق افضوا الى محل نزهةٍ رائقة وكان القروي قد اضناه التعب فلما جلس ليستريح غلب عليه النعاس فنام فانتظره السياح حتى اشتد عليه النوم وبعد ذلك قام احدهم وكان ذا خفةٍ لا توصف واخرج الجوهرة من جيبه فاخفوها معهم ورقدوا بجانبه ثم بعد حين انتبه من نومه فمد يده الى جيبه وافتقد الجوهرة فلم يجدها فطار عقله وتاكد ان السياح قد سرقوها منه حينما كان نائماً لكنه سكن روعه ولم يتظاهر بالاندهاش وفكر في نفسه قائلاً : ان سالت الان هولاء السياح عن الجوهرة فلا ريب انهم ينكرونها وان خاصمتهم وانا دونهم في القوة فمن المحتمل ان يقتلوني فالاحسن ان اسر الامر في قلبي واتظاهر بالطمانينة فعول على هذا الراي وبقي كعادته يرافقهم ويسامرهم بكل بشاشة الى ان وصلوا الى القسطنطينية مقر تخت سلطان الروم فذهب القروي الى قصر الملك وقدم له عرضاً يلتمس فيه مقابلته فاجيب التماسه فدخل امام الملك واخبره بما توقع له اولاً واخراً فصدق الملك كلامه وامر باحضار السياح بين يديه فاحضروهم ولدى سوالهم عما قرره القروي انكروه فكرر الملك عليهم السوال فانكروا

ايضاً فغضب عليهم وامر بسجنهم وبعد ذلك اختلى في حجرتهِ وغاص في بحر التفكر وقال في نفسهِ : ان عاملت هولاء السياح بصرامة لمجرد دعوى هذا الرجل فربما تظهر فيما بعد براءتهم فاكون حينئذٍ ظالماً وارتكب اثماً فظيعاً وان صرفت النظر من شكوى هذا الرجل فاكون قد تهاملت في انصاف العباد واصير من ثم مجرماً امام الله تعالى . وبينما كان على هذه الحالة دخلت عليهِ ابنتهُ المدعوة مهرشاه وكانت على جانب عظيم من الجمال والحكمة وسالتهُ عن سبب تفكره فاجلسها بين يديهِ ولما كان يعهد فيها من الفطنة اخبرها بما كان واستشارها بذلك فاطرقت مهرشاه برهةً ثم نظرت الى ابيها وقالت ياابتاه حيث ان هذه الدعوى قد شغلت بالك وصرت لاجلها في حيرةٍ عظيمة ولا طاقة لك لفض المشاكل فاحلها لي وانا بحولهِ تعالى وتعطفات انظارك احل هذا المشاكل باللطافة والحيل فاجاب ابوها طلبها واحال لها هذه الدعوى فقامت لفورها ودخلت حجرتها وامرت باحضار السياح امامها ففعلوا ولما مثلوا بين يديها استقبلتهم بكل بشاشة وقالت لهم : ان ابي قد اخطا بايداعكم السجن قبل ان يستقصي حقيقة الدعوى التي اقيمت عليكم وكان قاصداً ايضاً ان يعذبكم عذاباً شديداً لو لم اسرع واقنعهُ ببرارتكم وذلك لانهُ لايتصور بان اناساً مثلكم زاهدين في الدنيا يقدمون على مثل هذه الجريرة لانني اعرف جيداً طباع السياح وعوائدهم وقد عاشرتهم كثيراً فرايت فيهم من المزايا الحميدة ما يسر الخاطر وقد رايت كثيراً من الناس ولم يطب لي سوى مجالسة السياح فلهذا ارغب ان تاتوا اليَّ في كل يوم لانني انحظ جداً بمجالستكم وسوف استخبر منكم عما رايتموهُ في سياحتكم ولذلك ابيح لكم الدخول الى مجلسي متى شئتم واذا عارضكم احد من الخدم فاعاقبهُ عقاباً شديداً ثم اهدتهم بعض التحف وطيبت خاطرهم واصرفتهم فذهبوا من عندها شاكرين

وفي اليوم الثاني اتوا اليها فاستقبلتهم بكل بشاشة فانصرفوا منعمين فرحاً وسروراً ومثل ذلك كان في اليوم الثالث والرابع حتى صاروا ياتون

لزيارتها كل يوم وكان يدور حديثهم على الصنائع والفنون وعلى كل شيء ٠
فاتوا اليها يوماً ما حسب عادتهم فاستقبلتهم بالترحاب واجلستهم بين يديها وقالت لهم : ايها السواح انني احمد الله الذي يسر لي اصحاباً مثلكم ذوي فضل وورع فقد فاح طيب فضلكم في القسطنطينية فعطرها واكتسبت من معاشرتكم فوائد جمة ولكن بقي لي ان اطلب منكم حلّ مشكلٍ واحد استصعبتهُ جدًا وهو انني سمعت يوماً ما حكاية اطربتني جدًا غير ان فيها اشكالاً لم اقدر على تاويلهِ فعرضتهُ على جميع عقلاء القسطنطينية فاعياهم حلهُ فقالوا لها : تكرمي ايتها الملكة وقصي علينا هذه الحكاية فربما يتاتى لنا حل الاشكال الذي فيها

حكاية

قالت مهرشاه ابنة سلطان الروم : زعموا انهُ كان في قديم الزمان في مدينة دمشق الشام تاجر ذو غنى وافر وكان لهُ ابنة جميلة المنظر اسمها دلفروز عمرها اثنتا عشرة سنة وكانت متنزهة عن نظير باوصافها الحميدة وجمالها الفائق ٠ فيوماً ما ضجرت من الاقامة فقصدت التنزه في بساتين المدينة فدعت اليها جواريها الحسان وسارت معهن وكان ذلك في فصل الربيع والاشجار اذ ذاك مكللة بالزهور فلم تزل دلفروز سائرة مع جواريها حتى افضت الى بستان عظيم فيهِ من جميع اصناف الزهور والرياحين فدخلتهُ وجلست تحت شجره ازادرخت وبينما كانت تسرّح نظرها لترى بدائع هذا البستان رأت بغتةً وردة عالية كالسرو وممتازة على جميع الورد وكان لها منظر بهج يدهش الابصار فابتهجت دلفروز من هذا المنظر وامرت جواريها بان يقطفن لها وردةً من هذه الشجرة . فقامت الجواري لتقطفنها فلم يتمكنّ من ذلك فاجهدنَ نفوسهنّ حتى تجرحن وسال دمهن ولم يحصلن على نتيجة لان الشجرة كانت عالية جدًّا وذات اشواك قاسية فازداد تشوق دلفروز لنوال بغيتها

فنهضت واقفة وشجعت جواريها وقالت . ان نفسي قد تاقت الى هذه الوردة فمن يقطفها اعطيهِ كل ما يطلب مني واتعهد لهُ بذلك امام الله تعالى

هذا وكان البستاني وقتئذٍ يتمشى في البستان يسمع كلام دلفروز وفي الحال تقدم اليها وقال لها : عليَّ ياسيدتي ان اجيب طلبك وعليك ان تفي بوعدك فاكدت لهُ ذلك وتعهدت بان تعطيهُ كل مايطلبهُ منها فعند ذلك ركض البستاني مسرعًا وقال انني لا اخشى ابدًا من الشوك وحق كل من ابتلى بالعشق لاقطفن هذه الوردة ولو اماتتني هذه الاشواك وانشد

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

وهل يخشى العاشق من الجروحات اذا حاول نوال بغيتهِ وانشد ايضًا

تمنت سليمى ان نموت بحبها واهون شيء عندنا ما تمنتِ

قال هذا وهجم على شجرة الورد وتعلق بالاشواك كالعنكبوت وقطف الوردة المرغوبة واتي بها الى دلفروز وطلب منها انجاز وعدها فقالت لهُ دلفروز: اطلب ما تشتهيهِ وقل ما نفسك تبتغيهِ . فاجابها البستاني لا ارغب مالاً ولا جوهرًا ولست اطمع الا بوصالك لان هذا الذي تمنتهُ نفسي ان اراكِ في هذا البستان ليلة زفافك قبل ان يراكِ زوجك فرضيت دلفروز بما طلبهُ البستاني وتعهدت لهُ باتمام ذلك وحلفت لهُ يمينًا مغلظة

ثم انصرفت دلفروز من البستان وبعد مدة طويلة اتى شاب جميل الصورة ذو حسب ونسب وغنى وافر وخطبها و بعد بضعة ايام زفت اليهِ بحفلة عظيمة ومن عادة الاسلام ليلة دخول العريس على عرسهِ ان يصلي وياكل ويغسل يديهِ ثم يدخل الخباء ويخلع ثيابهُ ففي تلك الليلة صنع العريس حسب هذه العادة لكن دلفروز لم تتبعهُ الى الخباء وبقيت متفكرة فتفقدها زوجها فوجدها طارقة حيث تذكرت ماوعدت بهِ البستاني فاخبرت زوجها بذلك واستباحت منهُ انجاز وعدها فلما سمع زوجها كلامها لم يستغرب هذا الامر ولم يخطر ببالهِ الغش فقال لها : اذهبي الى البستاني وافي بوعدك ولا

تاتي منكرًا وارجعي عاجلاً ففي الحال خرجت دلفروز من بيتها وعليها من الجواهر الثمينة والملابس الفاخرة ما يكلّ عنهُ الوصف وسارت وحدها قاصدة البستاني الذي المترط عليها ان تاتي اليهِ وحدها فضلت عن الطريق وعرض لها بغتة ذئب جائع فوثب عليها كي يفترسها فلما نظرتهُ دلفروز وراث ما هو عليهِ من المنظر المرعب خافت خوفًا شديدًا حتى كادت تموت فانطرحت على اقدامهِ وطلبت منهُ الامان وقالت لهُ: انني قد عاهدت فلانًا البستاني ان آتيهُ في هذه الليلة فدعني اذًا يا ابن الكرام ان اَفي بعهدي وبعد ذلك فافعل بي ما تشاءُ . فاوقع الله الرحمة في قلب الذئب فتركها ولم يدنُ منها فشكرتهُ دلفروز وحمدت ربها وسارت ماشية في الطريق وبعد نصف ساعة عرض لها لص سارق فلما نظرها وراى ما عليها من الملابس الثمينة طار من فرحهِ وقال: ان نصيبي قد حضر بين يدي فدنا من دلفروز وهمَّ على اغتصاب الحلي والجواهر التي كانت عليها فلما راتهُ خافت خوفًا شديدًا لكنها ارعوت قليلاً وقالت لهُ: مهلاً يا صاحِ حتى اقص عليك خبري وعند ذلك اخذت تخبرهُ عن نسبها وعما جرى بينها وبين بعلها وعن عهدها القاصدة ايفاءهُ وعن رحمة الذئب لها . فلما سمع اللص حكايتها رق لها وقال في نفسهِ: ان كان الذئب قد عفا عن هذه الامراة وتركها تفي بوعدها وهو من غير جنسها فانا احق منهُ بالمروة والانسانية لاني من جنسها . قال هذا وتركها ولم ياخذ منها شيئًا وانصرف في سبيلهِ . فبقيت دلفروز سائرة في طريقها حتى وصلت الى البستان بعد ان عانت تعبًا شديدًا فتقدمت الى البستاني وقصت عليها ما اصابها من الخوف والمشقة واخبرتهُ عما جرى لها مع الذئب واللص . فلما سمع البستاني كلامها تعجب من هذا الوفاء كل العجب وحزن مما اصابها واخذ يبكي ويعتذر لها قائلاً بكل خجل: سقيًا لك يا سيدتي على ما ابديتهِ من حفظ العهود لان هذه الامانة نادرة بين الناس وقد افعمت حزنًا وكدرًا مما قاسيتهِ من الخوف والتعب فارجوك صرف النظر عما سببتهُ لكِ من المشقة فوالله لم

اقصد باشتراطي عليك الحضور لهذا البستان امراً مكروهاً بل فعلت ذلك هازلاً فحاشاي ان ادنو منك او ان امس جسدك الطاهر لان من شيمتي الامانة فلا اتعدى على عرض غيري لاصون عرضي لانني اذا قطفت وردة من بستان غيري فيقلع من بستاني شجرة فاهلاً بك يا سيدتي استريحي قليلاً من التعب و بعدهُ تعودين الى زوجك فعند ذلك جلست دلفروز على مرج بهي المنظر لتسريح نظرها وكانت المياه تسيل امامها والبستاني يقطف لها من جميع انواع الزهور و بعد ان استراحت سارت نحو بيتها والبستاني بمعيتها حتى افضت الى البيت فسلمها الى زوجها فاخبرتهُ بما جرى لها اولاً واخراً فهنأها على نجاتها وقضى معها تلك الليلة بالفرح والسرور

فعند ذلك نظرت مهرشاه الى السياح وقالت لهم : ان وجه الاشكال في هذه الحكاية معرفة من هو اجدر بالثناء من الاربعة المار ذكرهم وهم زوج دلفروز والذئب واللص والبستاني ومن هو الاجدر منهم بان يوصف بالمروة والشهامة فاريد ان اعرف راي كل منكم بهذا الشان

فقام السائح الاول وقال : يا سيدتي لقد خطر ببالي بداءة بدء ان الذئب ربما كان قد شاخ وسقطت اسنانهُ ولهذا لم يفترس الابنة واما الان فاقول ان اعراضهُ عن هذه الفريسة كيف ما كان الامر هو ضرب من الحماقة وكثيراً ما اتصف هذا الجنس بالغباوة فلا يحسب لهُ اذاً اجر بتركهِ هذه الابنة .

فقام السائح الثاني وقال : دعوا ذكر هذا الحيوان لانهُ دون فهم وادراك ولو فرض انهُ لم يقدر على افتراس الابنة بسبب شيخوخته فحماقتهُ مشهورة عند الجميع واما الاشد حماقة وجهلاً فهو ذاك السارق العديم الفطنة الذي تيسرت لهُ الغنيمة فتركها مع ان الوقت كان ليلاً والعالم مستغرق في سبات النوم فلذلك هو اشد حماقة من الجميع

ثم قام الثالث وقال : اصرفوا النظر عن حماقة الذئب والسارق لانهُ يوجد من هو اشد حماقة منهم وهو البستاني الذي قد تفاحش جهلهُ حيث

انهٔ بد يعهٔ حسن من تلقاء نفسها وطلبت منهٔ الوصال فاعرض عنها حالة كونهِ كان في بستان بهي المنظر يضوع المدينة من الروائح العطرة فكيف تركها هذا المجنون الاحمق الذي قد تفاقمت حماقتهُ . وقصارى الكلام ان هولاء السياح اخذوا يذمون تارة الذئب وتارة اللص والبستاني ويقذفونهم بجميع انواع الشتائم وكانوا تارة يذمون زوج دلفروز ويصفونهُ بالحماقة وعدم الغيرة . فلما سمعت مهرشاه احاديثهم وحكمهم وكانت قد كلفتهم ان يقولوا لها من هو الاجدر بالفضل من هولاء الاربعة فاخذوا يذمونهم ويوضحون من هو الاشد حماقة منهم تاكدت انهم هم السارقون الذين سرقوا الجوهرة من القروي واندرأت من قلبها كل شبهة حتى علمت طويتهم كالمشاهد العيان فبعد ذلك اخبرت اباها بما كان من امرهم فامر باحضارهم بين يديهِ واخذ يستنطقهم كثيرًا فلم يقروا بل بقوا مصرين ومتظاهرين بالبرارة فعند ذلك امر بان يقادوا الى السجن وان يغللوهم بالقيود ففعلوا وضبطوا كل ما كان معهم من قليل وكثير فوجدوا الجوهرة المحكى عنها بين امتعتهم فاتوا بها الى الملك فاخذها وجازى القروي جزاء عظيمًا وتاكد صدق ما قررهُ لهُ وامر بصلب السياح على ابواب المدينة عبرة لسائر اللصوص والسارقين

فبعد ان قص الببغاء هذه الحكاية على قمر السكر نظر اليها وقال: يا سيدتي انهُ ينتج من هذه الحكاية فائدة عظيمة يجب اقتباسها لانهُ اتضح جليًا ان اللبيب يعرف بواطن الناس من كلامهم وكما انهُ لا بد لكل انسان من معرفة صديقهِ ولكل عاشق من معرفة معشوقهِ فاوصيكِ اذًا ان تلاحظي كلام الامير حبيبكِ حتى تعرفي حسبه ونسبه وتطلعي على نواياه لتعرفي هل ان صداقتهُ مكينة ومحبتهُ قلبية او لا فان اصغيتِ لكلامهِ وزنتهِ بعيار الحكمة والامتحان علمتِ لا محالة ما انطوى عليهِ سرهُ فان كانت محبتهُ قلبية فسقيًا والا فاعرضي عنهُ . والان قد نصحتك كثيرًا ولم يعد يسعني ان اكلمك بشيء لكون الوقت قد ناهز ان يمر فاذهبي اذًا لنادي حبيبك لكونهِ لم يزل بانتظارك

واقضي هذه الليلة معهٔ بالصفاء والانشراح

فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام كادت تطير من الفرح فقامت لساعتها قاصدة حبيبها لكنها لما فتحت الباب رات قد اصبح الصباح فرجعت خائبة ودخلت حجرتها باكية حيث ان نور الصباح اظهر كل ما في المدينة كما ظهرت سرقة السياح المار ذكرهم فاقتضي اذ ذاك ان تؤجل رغدها الى الغد وقضت ذاك النهار تارة راقدة وتارة باكية وكان يخال لها لشدة حزنها ان الليل والنهار اجيال لا تنقضي

ان الليالي للانام مناهلٌ تطوى وتنشر بينها الاعمارُ

فقصارهن مع الهموم طويلةٌ وطوالهنّ مع السرور قصار

ولم تزل على هذه الحالة حتى ظل المساء فتزينت وتبرقشت ولبست الثياب الثمينة ولما أسدل الظلام ستاره اتت قفص الببغاء وتنهدت وقالت لهٔ: لقد اخذت الدالة عليك كما يتخذها البنون على امهاتهم وقد سببت لك مشقة عظيمة وإعدمتك الراحة وكلفتك امرًا عسيرًا وهوان تسهر الليالي برمتها لترشدني بنصائحك الى سواء السبيل وحيث انني قليلة الدراية قصدتك ايضًا هذه الليلة قبل ان اذهب الى حبيبي لاسمع منك النصائح اللازمة فقد قلت لي في الليلة البارحة ان الانسان يعرف باطنهٔ من مجرد كلامهِ وحيث الان اريد الذهاب الى حبيبي الامير فارغب ان اطلع على سره وسريرتهِ لاعرف اذا كان محبًا مخلصًا او متظاهرًا فقط بالمحبة لكنني اخشى من ان يغمض عليَّ كلامهٔ حيث للان ما عاشرت احدًا من الناس فيصعب عليَّ في بداية دخولي حومة الميدان ان اسبر حقيقة الرجل واذوق حلوه ومره فارجو ان تعلمني ما يجب ان افعلهٔ وما يجب ان احترس عليهِ واحترز منهٔ . فلما سمع الببغاء هذا الكلام فرح فرحًا عظيمًا وقال لها: اعلمي ان لكل انسان ظاهرًا وباطنًا وقد يكون الظاهر خلاف الباطن وبالعكس ولذلك ترين بعض الناس يتظاهرون بالمحبة وتكون العداوة مستترة في قلوبهم ومنهم من يكون دنيئًا

خصال الاجداد ومتى حشد شيئاً من المال يتظاهر بالفطنة والشرف فيخال لمن لا يدري حقائق الامور انهُ ذو حسب ونسب ولذلك قد بذل الحكماء جهدهم ليميزوا الحقير من الشريف وقد اجمعوا على طريقة واحدة وهي آلات الطرب فان المرء يعرف امرهُ من سماعه نغمات الطرب فاصغي اذاً لكلامي واعملي بموجبهِ فتصادفي حظاً وافراً وهو انهُ عند ما تقابلين حبيبك اطلبي ان يحضر لديك من يعزف بآلات الطرب فان ازداد فرحه عند سماعها فيكون شريف النسب لائقاً بحبكِ والا فيكون اصلهُ دنيئاً ومن ثمَّ لا يليق ان تتخذيهِ خلاً ولا يكون اهلاً لوصالك بل يجب عند ذلك ان تعرضي عنهُ وترجعي حالاً الى بيتك وهذه واسطة مختبرة من العلماء الاولين والمتاخرين وبها علم حكماء مدينة اصفهان مزايا الامير الذي كان في المهد وانهُ اهل للصولجان الملوكي وممتاز على سائر الاطفال الذين كانوا معهُ بالعقل والفطنة فبايعوهُ الملك وقدموا لهُ الخضوع والطاعة . فقالت لهُ قمر السكر قص عليَّ هذه الواقعة لانها مطابقة لما نحن في صددهِ وتشبه واقعة حالي فلعلي ارى فيها مثالاً اسير عليهِ

حكاية

قال الببغاء : قد روت ايمة النقل انهُ كان في قديم الزمان في مدينة اصفهان من اعمال فارس ملك بلغ من العمر مائة وعشرين سنة ومات ولم يترك ولداً يخلفهُ على سرير السلطنة سوى حفيد عمره خمسة اشهر فارتبك الوزراء ورجال الدولة بهذا الامر حيث ان ولي العهد كان طفلاً فاجتمع الوزراء ورجال الدولة والعلماء للمفاوضة بهذا الشان ومبايعة ملك يقوم عليهم ويسوس احوالهم فقال بعضهم ان حفيد الملك المتوفى طفل لا يسعنا ان نبايعهُ الان ولا يمكننا ان ننتظرهُ حتى يبلغ لانهُ لا يصل الى سن الرشاد الا بعد مدة طويلة فمن يقوم على الرعايا في بحر هذه المدة فلا حرج ربنا اذاً ان ندعهُ الان ونبايع ملكاً اجنبياً

فقام اخرون واعترضوا على هذا الراي قائلين : اذا بايعنا ملكاً اجنبياً فربما لا يكون اهلاً للقيام باعباء الدولة ويخشى منهُ ظلم الرعية واذا قويت شوكتهُ فلا يلبث ان يحتقر رجال الدولة ويلحق ببلادنا الخراب والدمار وربما نتوصل معهُ الخيانة الى ان يدفعنا الى عدونا ويلحق بنا العار والفضيحة ومع ذلك فالراي الاوفق اتباعه هو ما يقترحه عقلاء المملكة وحكماؤها فلنرى آراءهم بهذا الشان المهم

هذا وكان حاضراً وقتئذٍ اربعمائة من العقلاء والحكماء فبعد ان تذاكروا كثيراً بهذا الامر قر رايهم على رفض كل ملك اجنبي وانهُ يجب امتحان حفيد الملك المتوفى وذلك بان يحضروا عدداً من الاطفال ويضعوهُ بينهم وان يعزف امامهم بآلات الطرب فان طرب الطفل فرحاً عند سماعهِ النغمات فيكون ذا حكمة عظيمة واهلاً للملك والا فلا

فلما سمع الوزراء هذا الكلام طاب لهم فرتبوا مجلساً عظيماً ووضعوا الطفل في مهدهِ وجمعوا معهُ اطفالاً شتى واخذوا يعزفون امامهم بالات الطرب ولما كان الطفل يسمع الانغام كان يطير فرحاً ويرقص طرباً وبهجة ويشير ببعض حركات تدل على الفطنة والفراسة . واما بقية الاطفال فكانوا مبهوتين كاجسام بلا روح فاستمروا على هذه الحالة اياماً كثيرة وكان حفيد الملك لما يسمع انغام الطرب يستيقظ من نومهِ ويتبسم ضاحكاً . فلما نظر الوزراء ورجال الدولة والعقلاء هذه الاشارات من هذا الطفل تيقنوا انهُ سيكون على جانب عظيم من العقل والدراية وانهُ يكون سعيداً يعز صاحبهُ ويذل عدوهُ فتفاقم حينئذٍ سرورهم واجلسوهُ على سرير اجدادهِ ونادوا باسمهِ في سائر اقطار المملكة ودعوا لهُ بطول البقاء

فلما بلغ هذا الغلام سن الرشاد تسلم زمام المملكة فسار مع رعاياهُ سيرة حميدة وكان يعاملهم بالاحسان ويواصلهم بالمعروف فامتدت سطوتهُ في سائر الاقطار وبعد صيتهُ وعمر اطراف المملكة واباد عدوهُ وباتت رعاياهُ

على احسن حال واتم منوال

فلما انهى الببغاء هذه الحكاية نظر الى قمر السكر وقال لها: يا سيدتي انهُ يلزمك ان تكوني ذات معرفة وان تراقبي حبيبك ليظهر لك ما في باطنهِ وحيث ان صوت الطرب هو معيار الحكمة فعليك بهِ. فقالت قمر السكر: هل ان بمجرد سماع آلات الطرب التي أُسهبت المقال عنها يفرح المرء فرحاً عظيماً ومن فرحه يعرف باطنهُ ام كيف الحال. فاجابها الببغاء: يا سيدتي ان نغمات الطرب تجعل في قلب الانسان تاثيراً وتهيج في فوادهِ الفرح فتصيبهُ هزة تعدمهُ التاني فيعرف باطنهُ لان التاني واسطة التمويه في الكلام ومتى انتفى التمويه تبقى الحقيقة على حسب كيانها الطبيعي فحينئذٍ يعرف الخسيس من النفيس والجيد من الردي. ثم ان النغم والالحان تجعل الانسان يبوح باسراره لانهُ يحصل منهُ لسامعها فرح يهيج قريحتهُ ويسلب منهُ الفاكرة ويدور براسهِ كما يدور الخمر بشاربهِ فلا يعود يفتكر بكتم ما يجب كتمهُ بل يبوح باسراره ويكشف الخبايا من زوايا قلبهِ وتاثير الطرب في قلب الانسان عظيم مفاعيلهُ لا توصف لانهُ يحيي ويميت والدليل على ذلك ما اصاب جنيد البغدادي عليهِ رحمة الهادي. فسالتهُ قمر السكر: وكيف كان ذلك

حكاية

قال الببغاء: ان جنيد البغدادي عليهِ رحمة الهادي حضر يوماً ما مجلس العشاق فدارت بينهم الافراح واخذوا يعزفون بالات الطرب فاستولى على جنيد فرح لا يوصف اخرجه عن دائرة الصواب واصبح كالمجنون من زيادة سروره وتاثر معهُ جميع الحاضرين ولعبت الافراح في رؤوسهم فقام احد هولاء العاشقين وصرخ صراخاً عظيماً ناتجاً عن الفرح والغرام فلما سمع جنيد البغدادي صراخهم انتبه لساعتهِ ورجع الى الصواب والتفت نحو الصارخ وامره بالسكوت ثم وضع خرقتهُ على راسهِ مقدار ساعة وبعد ذلك رفعوا الخرقة عن راسهِ فوجدوهُ قد احترق بنار العشق وطار في العلا وغاب عن الانظار

انهُ بديعة حسن من تلقاء نفسها وطلبت منهُ الوصال فاعرض عنها حالة كونهِ كان في بستان بهي المنظر يضوع المدينة من الروائح العطرة فكيف تركها هذا المجنون الاحمق الذي قد تفاقمت حماقتهُ . وقصارى الكلام ان هولاء السياح اخذوا يذمون تارة الذئب وتارة اللص والبستاني ويقذفونهم بجميع انواع الشتائم وكانوا تارة يذمون زوج دلفروز ويصفونهُ بالحماقة وعدم الغيرة . فلما سمعت مهرشاه احاديثهم وحكمهم وكانت قد كلفتهم ان يقولوا لها من هو الاجدر بالفضل من هولاء الاربعة فاخذوا يذمونهم ويوضحون من هو الاشد حماقة منهم تاكدت انهم هم السارقون الذين سرقوا الجوهرة من القروي واندرأَت من قلبها كل شبهة حتى علمت طويتهم كما لشاهد العيان فبعد ذلك اخبرت اباها بما كان من امرهم فامر باحضارهم بين يديهِ واخذ يستنطقهم كثيرًا فلم يقروا بل بقوا مصرين ومتظاهرين بالبرارة فعند ذلك امر بان يقادوا الى السجن وان يغللوهم بالقيود ففعلوا وضبطوا كل ما كان معهم من قليل وكثير فوجدوا الجوهرة المحكى عنها بين امتعتهم فاتوا بها الى الملك فاخذها وجازى القروي جزاء عظيمًا وتاكد صدق ما قرروهُ لهُ وامر بصلب السياح على ابواب المدينة عبرة لسائر اللصوص والسارقين

فبعد ان قص الببغاء هذه الحكاية على قمر السكر نظر اليها وقال: يا سيدتي انهُ ينتج من هذه الحكاية فائدة عظيمة يجب اقتباسها لانهُ اتضح جليًا ان اللبيب يعرف بواطن الناس من كلامهم وكما انهُ لا بد لكل انسان من معرفة صديقهِ ولكل عاشق من معرفة معشوقهِ فاوصيكِ اذًا ان تلاحظي كلام الامير حبيبكِ حتى تعرفي حسبه ونسبه وتطلعي على نواياه لتعرفي هل ان صداقتهُ مكينة ومحبتهُ قلبية اولا فان اصغيتِ لكلامهِ وزنتهِ بعيار الحكمة والامتحان علمتِ لا محالة ما انطوى عليهِ سرهُ فان كانت محبتهُ قلبية فسقيًا والا فاعرضي عنهُ . والان قد نصحتك كثيرًا ولم يعد يسعني ان اكلمك بشيءٍ لكون الوقت قد ناهز ان يمر فاذهبي اذًا لتنادي حبيبك لكونهِ لم يزل بانتظارك

ثقوبات كثيرة ولما كان يصرخ هذا الطير كان يسمع لهُ من كل ثقب صوت مطريب ومن منقاره اتخذ حكماء الهند نتيجة عظيمة اوصلتهم الى اختراع فن العزف بالات الطرب وقد روى المورخون روايات جمة عن ذلك لا يسعنا ايرادها ولا يمكنك ان تحيطي بهِ علماً الا بعد ايام كثيرة وفي ماقلتهُ لكِ الان غناية عنها فلا يوافقك الان ان تقضي هذه الليلة باستماع الاخبار فقومي واذهبي الى حبيبك ولا تدعي هذه الفرصة تمر لانهُ يخشي اياب زوجك فيحول بينك وبين مرامك ويصيبك ما اصاب المرة التي قتل ابنها جميع الفار فندمت على ذلك ندامة شديدة لم تجدها نفعاً . فسالتهُ قمر السكر: وكيف كان ذلك

حكاية

قال البيغاء : انهُ كان في احدى المحلات طيور وحيوانات كثيرة وفيهِ اشجار لا تحصى فاتفق انهُ اتى يوماً ما اسد كاسر الى ذاك المحل وتوطن فيهِ وكان معهُ عدد وافر من الحيوانات الضارية التي كانت خاضعة لهُ فمضت ايام كثيرة على هذا المنوال حتى شاخ الاسد وضعفت قواه ونظره حتى لم يعد يمكنهُ ان يرى بعينهِ شيئاً وكلت اسنانهُ عن المضغ وبلغ منتهى درجة العجز فانهُ كان ينام بعد الاكل ولما كان يستحوز عليهِ النعاس كانت شفتاه ترتخيان وتسقطان على الارض وينفتح شدقاه وكانت حينئذٍ الفار تخرج من اوجارها وتاتي بكل سرعة وتخطف اللحم من بين اسنانهِ وتغتذي بها فكان الاسد يتعذب من ذلك عذاباً اليماً لانها كانت تعدمهُ الراحة وتحرمهُ لذة الوسن اذ انهُ كان يستيقظ في كل برهة فيرى الفار محدقة بهِ واخذة في تعذيبهِ ولا يتمكن من قتل واحدة منها حيث انها لما كانت تشعر بيقظتهِ كانت تفر هاربة ولما كان ينام كانت تثب عليهِ بكل جسارة . فيوماً ما دخل عليهِ وزير الذئب فشكى لهُ الاسد من اذية الفار فاجابهُ الذئب : ياسيدي ان حالتك هذه تشابه حالة خليفة بغداد . فسالهُ الاسد : وما هي حكايتهُ

حكاية

قال الذئب : انه كان في مدينة بغداد احد الخلفاء العباسيين الذين اشتهروا بالبسالة والاقتدار فجلس يوماً ما على سدته ودعا رجلاً من اهل بغداد كان حكيماً عارفاً بكل العلوم والفنون ولزيادة بره وفضله كان كلامه كالقول المنزل لانه لم يكن يتكلم الا بكلام روحاني بالهام رباني وكان وقتئذٍ فصل فحامت الذباب بكثرة حتى انزعج الخليفة وعجز عن طرده عن وجهه ويديه فعند ذلك نظر الى العالم المار ذكره وقال له : ايها الاستاذ الخبير لاي سبب خلق الله هذه الاوهام التي ليس منها الا الاذى فلا غرو ان الله خلقها لسبب لان بحر حكمته لا قرار له . فاطرق العالم برهة ثم نظر الى الخليفة وقال : يا امير المومنين اعلم ان الله تعالى لم يخلق شيئاً بدون سبب وانما خلق هذه الذباب الحقيرة ليظهر عجز الجبابرة ذوي القوة والبسالة الذين يحاربون الجنود الغفيرة ويفتحون الفتوحات فسلط الله عليهم هذه الاوهام الدنيئة لكي يعرفوا سلطته واقتداره لانه راى ان لابد لكل ذي قوة ان يعتز بقوته وهذا ايها الخليفة موضوع تامل عظيم في احوال هذه الدنيا الفانية وما الانسان الا ظل عابر وما الدنيا الا دار لا قرار لها

تامل في الوجود بعين فكر　　ترى الدنيا الدنية كالخيالِ
كذلك من عليها سوف يفنى　　ويبقى وجه ربك ذي الجلالِ

فلما سمع الخليفة كلام هذا العالم الفاضل حسن لديه والحظ حظاً وافراً لانه انتبه وارتدع عن غيه .

فالان ايها الاسد الذي لا تقدر ان تحتمل اذى هذه الاوهام الحقيرة اعلم ان الله تعالى قد سلطها عليك لتعرف قدرته لئلا تغتر بقدرتك وتعتز بسطوتك ولكن يوجد هنا نظر اخر وهو ما قيل : لكل داء دواء فمداواة هذه العلة ليس بامر عسير ويكون بالتدبير والحيلة لان الله تعالى خالق المخلوقات وعين لكل منها عملاً فمنها من يقدر على العمل ومنها ما يعجز عنه ولا بد لكل

مخلوق من مساعد وان كان المساعد في بعض الاحيان اقوى من المساعد لان غبار البيت لا يزال باجنحة الطاووس بل بالمكنسة. وعليهِ فدفع هذا الضرر لا يكون بيدنا بل بيد غيرنا فانهُ يوجد عندك ايها الاسد خادمة نصوحة ملازمة خدمتك من قديم الزمان وهي الهرة المسماة شابك دست فان لاق لديك مرني ان احضرها امامك لتقوم بخدمتك وتمنع عنك الفار . فلما سمع الاسد كلام وزيره استحسنهُ وامر بان تكون هذه الهرة ملازمة خدمتهُ فاحضرها الذئب بين يديهِ واوصاها بان تقوم بخدمتهِ بكل همة ونشاط فتعهدت لهُ بذلك وتقدمت امام الاسد وسجدت بين يديه وقالت: ياسيد الوحوش انني اشكر كرمك حيث قد نظرت الى رفيقتك هذه بعين الرحمة واوليتها نعمة عظيمة اذ قد عينتها لمحافظة راسك الملوكي وذلك فضلاً عما غمرتني بهِ من سابق الاحسان لانني ملازمة خدمتك من زمن طويل واحببتك حبًّا شديدًا ولكن قد ظهر لي من مدة ان حبك لي قد فتر مع انني في ما مضى كنت مجتنبة الخيانة ومقيمة في خدمتك حق القيام وانا من انسبائك وقرابتنا قديمة جدًّا . فاجابها الاسد: انني منذ ما خلقت لم اسمع قط بهذه القرابة فان كنت تعرفين مبداها فاخبريني بها . فقالت الهرة : اعلم ياسيدي ان حضرة سيدنا نوح عليهِ السلام لما دخل السفينة بامر الله تعالى ادخل معهُ فيها من كل اجناس الطيور والوحوش والحيوانات ذكرًا وانثى و بعد ان مكثت اياماً كثيرة في السفينة صارت الفئران تخرج عليها ليلاً ونهارًا وتوذيها وهي لم تتمكن من ردعها فشكت امرها الى نوح فرق لها والهم بان يمسك انف الاسد الذي كان في السفينة و يعصره فلما فعل ذلك خرج من كل ثقب من انف الاسد هرة واحدة وغارت حينئذٍ على الفئران واستاصلت شافتها واراحت جميع الحيوانات من شرها فمن ثم يكون الاسد جدنا فاقتفاء باثار هذه السنانير وايفاء لواجبات الامانة قد تعهدت بان انقذك من شر الفئران واذا بدا مني تهاون في الخدمة فافعل بي ما تشاء

ومنذ تلك الساعة قامت الهرة مواظبة على خدمة الاسد ولما كانت الفيران تخرج من اوجارها كانت تثب عليها وتهزمها لكنها لم تقتل منها فارة واحدة بل كانت تمنعها عن اذية الاسد . فمضت ايام كثيرة على هذا المنوال وارتاح الاسد من اذية الفار ونجا من شرها فاحب الهرة حباً شديداً ورفع منزلتها فيوماً ما احضرت بين يديهِ ابنها الاكبر وقالت لهُ : ياسيدي ان عبدك هذا هو ابني البكر وهو بكل شيء خبير ومتصف بالامانة والنشاط وهو جدير بان يخدمك طول حياته لانهُ يدري ما غمرت بهِ امهُ من المعروف والاحسان وحيث قد جدَّ عليَّ بعض اشغال توجبني ان استقيل من الخدمة فالتمس منك ان ترخص لي بالذهاب لقضاء اشغالي وينوب عني في خدمتك ابني هذا وبعد مدة وجيزة اعود الى خدمتك . فاذنها الاسد بذلك وحيث كان قد عن لها في ذلك النهار غرض في احدى الجهات تركت الاسد واقامت ابنها مقامها واوصتهُ بان يفعل ما كانت تفعلهُ وبالا يتهاون في خدمتهِ وسافرت

فقام ابنها في تلك الليلة محافظاً على الاسد لكنهُ اذ كان في نضارة شبوبيتهِ غلب عليهِ الجهل والقساوة فلم يحذُ حذوَ والدتهِ بل انهُ لما كان الفار يخرج من اوجارهِ كان يثب عليهِ بكل سرعة ويفترسهُ او يقتلهُ وحيث كان الفار معتاداً على الهرة التي لم تكن تؤذيهِ لم يكن في بادىء الامر يخاف من هذه السنور بل كان يدنو منهُ بكل طمانينة ولم يكن السنور يشفق عليهِ فقتل بجورهِ كل الفار الذي كان في ذلك المحل حتى لم يبقَ منهُ فارة واحدة وكان يفتخر بعملهِ هذا ويظنهُ خيراً . ثم بعد ذلك رجعت امهُ من غيبتها فاخذ يخبرها مفصلاً عما كان يفعلهُ حال غيابها ويقول لها معتزاً بنفسهِ بانهُ قتل جانباً عظيماً من الفار فاغتمت امهُ من ذلك وباتت تترقب خروج الفار من اوجارهِ فلم ترَ فارة واحدة فغضبت غضباً شديداً واخذت توبخ ابنها وتقول لهُ : كم نصحتك ايها الاحمق بان تروض طباعك وكم اوصيتك بان لا تؤذي الفار وان لا تقتل منهُ فارة واحدة فكيف تجاسرت ونبذت وصيتي والحقت بي الضرر لانني لم انل

هذه النعمة في شيخوختي الا بتكبد مشقة عظيمة وما فعلتهٔ بمجاقتك سيزيل قدري لانني لم انل خطوة امام الاسد الذي ليس من جنسي الا بسبب الفار الذي لم اكن اؤذيهِ شفقة عليهِ بل غيرة على نفسي ومصلحتي وحيث قد افنيت ما كان موجباً لتقلدي خدمة الاسد فلا غروَ ان يصرف عني هذه الوظيفة

فمضت ايام والاسد لا يعلم ان الفار استوءصل من ذلك المكان غير انهُ بعد مدة طويلة قد لحظ انهُ لم يبقَ للفار اثر فعند ذلك دعا الذئب وزيرهُ وقال لهُ: انهُ لم يبقَ للفار اثر في هذا المكان ولذلك صرنا في غنيءٍ عن هذه الهرة التي استاجرناها لتحفظنا من اذيتهِ ومن ثم لا ارى وجوباً لابقائها في هذه الخدمة لان المناصب والوظائف لا تولى الا عند الاقتضاء فالاجدر بنا ان نعزلها عن هذه الوظيفة لانهُ لا يليق بعظمتي الملوكية ان اقرب مني هذه الهرة الدنيئة التي هي من جنس السفهاء الذين يسفكون الدماء وكيف اجاوب الحق سبحانهُ يوم الحشر العظيم عن ذلك فاصرفها اذًا من هنا وقل لها بان تطلب رزقها في مكان اخر فامتثل الذئب امر الاسد وصرف الهرة عن وظيفتها فحزنت حزناً شديداً وعادت كما كانت الى حالة الذل والهوان وكانت دائماً تقذف ابنها بالشتائم لما بدا من جهلهِ وقساوتهِ وندمت اشد الندامة على غيبتها وتوكيلها ابنها عنها ولكن لا ينفع الندم اذا زلت القدم

فعند ذلك نظر الببغاء الى قمر السكر وقال لها: اعلمي ياسيدتي انني قصصت عليك هذه الحكاية حتى تنتبهي ولا تقبلي على عمل يوجب الندامة كما هو جار منك الان لانك من مدة طويلة تستعدين للذهاب الى حبيبكِ وللان لم تذهبي فهذا فعل يوجب الندامة ومتى فات وقت الصفاء فلا تجدي الندامة نفعاً الم تسمعي ما قيل شعر

أَلم تعلما ان الندامة نفعها قليلٌ اذا ما الشيء ولى وادبرا

فقومي الان واذهبي الى حبيبك واقضي هذه الليلة بالصفاء معهُ فعند ذلك قامت قمر السكر فرحةً قاصدة حبيبها لكنها لما فتحت الباب رات ان قد اصبح

الصباح واشرقت الشمس على البطاح فانارت الدنيا وكشفت كل الغوامض فحينئذٍ رجعت قمر السكر الى حجرتها كئيبة حزينة نادمة على ما فرط منها وقضت ذاك النهار بالبكاء والنحيب لان ذكر حبيبها كان يحرك شوقها اليه و يسكرها من خمرة العشق وكانت توثر الموت على هذه المصيبة لكون حسن حبيبها لم يغب عنها برهةً وجيزة ليغيب عنها الحزن شعر

ا اخشى ضلالاً في هواك عن الهدى ولي من سنا هذه المحاسن هادي
فليتك اذ حللت قتلي في الهوى مننت وما حللت طيب رقادي

فبقيت على هذه الحالة حتى وفد المساء فحينئذٍ تزينت بالحلل الفاخرة والحلي الثمينة واتت قفص الببغاء وعلامة الغضب تلوح على وجهها وقالت له بكل حنق: ايها الببغاء الكاذب قد اطلعتك على اسراري واستشرتك في امري طاعةً لامر زوجي وطلبت منك دواء شافياً لدائي فاخذت عهدة ذلك على عاتقك وتعهدت به امام الله لكنك لم تفِ بوعدك بل صرت تسعى بان تحول بيني وبين مرامي فسلكت طريق الغش والخداع وتظاهرت بالمحبة والاستقامة واكننت لي في قلبك البغض والضغينة وقصدت اهلاكي بالم العشق فاشغلتني بسماع حكايات لا فائدة منها وحرمتني النوم والراحة فاف عليك من خائن خادع فالله العظيم العالم بالغيب والعارف ما في باطنك من الشر والبغضاء يجازيك على هذه الخيانة بالسعير جزاء الخائنين الخادعين. فلماذا اكننت الشر لمن واصلتك بالاحسان وكيف نسيت نعمتي وما ابديته معك من الجميل فانني متيقنة بانك تروم اهلاكي وحيث قد نكثت العهود فوالله العظيم القهار الجبار المنتقم من الفجار والاشرار لاقتلنك شر قتلة وكمثل الببغاء المنافقة التي حذوت حذوها موتاً تموت

فعند ذلك خاف الببغاء خوفاً شديداً وبقي متحيراً يرتجف من الرعبة لانه كان يخشى جور هذه الامراة القاسية ولم يكن يدري ما العمل لانه ان تكلم خشي من ازدياد غضبها وان سكت هلك لامحالة ففكر في وجه الحيلة

ليدفع عن نفسهِ ثم نظر الى قمر السكر بعين اللطف والبشاشة وقال لها: ياسيدتي اي ضرر لحقكِ مني حتى غضبتِ عليَّ وقصدت اهلاكي مع انني لم افتر قط عن نصحك ومساعدتك وقد بذلت لذلك الجهد المستطاع وكلفت نفسي ما لا تطيقهُ من العناء والتعب وقد حرم عليَّ النوم لانني قضيت الليالي برمتها ساهرًا متفكرًا في امرك والله يعلم حبي لك وانما اسهبت لك المقال لاعلمك فوائد لا بد من معرفتها حتى تكتسبي الكمال في كل شيء واجتهدت في اخر الامر بكتم سرك حتى لا يطلع احد عليهِ ومع ذلك فالله عليم بذات الصدور فان كان في قلبي شر فليمتني في هذه الساعة فكيف توهمتِ انني سعيت في هلاككِ وكيف يليق بك ان تفوهي بمثل هذا الكلام واما انا فانني اعذرك بذلك لان الهوى قد ختم على قلبك والله الذي يجازي كلاًّ بحسب افعالهِ يجازيني على امانتي ويظهر لك فيما بعد خلوص حبي ووِدادي فقالت قمر السكر: ايها الببغاء ما الفائدة من كلام طائر احمق نظيرك لا يعرف شيئًا ولم يبرز قط الى العالم فكيف اذعن لاقوالك وأسير حسب مشورتك . فاجابها الببغاء : ياسيدتي المتيمة لماذا تتكلمين بمثل هذا الكلام وقد اتضح لك مرارًا ما انا عليهِ من الحكمة والعقل غير انك توهمت انني من جنس الطيور فاكون من ثم مثلهم عديم الادراك ولكن يجب على العاقل ان لا ينظر الى المتكلم بل الى ما تكلم بهِ لانهُ قيل: لا تنظر الى من قال بل انظر الى ما قال فعليهِ لا يجب على الانسان العاقل ان ينظر اذا كان المتكلم حقيرًا او عظيمًا صغيرًا او كبيرًا من جنس البشر او خلافهم بل يجب عليهِ ان ينظر الى كلامهِ ويسبره بمعيار الامتحان لانهُ كثيرًا ما يوجد من الفقراء من يكون اعقل من الغني وكثيرًا ما يوجد من الحيوانات من يكون افهم من الانسان ومن نظر الى المتكلم ولم ينظر الى كلامهِ فلا تكون عاقبتهُ سليمة ومن صرف النظر عمن قال ونظر الى ما قال فذاك هو سعيد الجدير بالفوز والاقبال وبمثابة ابنة ذاك الغني الخرساني التي سمعت نصيحة الثعلب وعملت بموجبها فصرفت النظر عن دناءة شانهِ

واستصوبت كلامه وهذه حكاية مشهورة عند العقلاء . فسألته قمر السكر وكان قد سكن غضبها : وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء : انه كان في قديم الزمان عند احد ملوك خراسان وزير فاضل اسمه برجمالك وكان هذا الوزير من ذوي العقول الفريدة خبيراً باحوال المملكة ومحباً للرعية فرزقه الله ولداً قبيح المنظر شنيع الصورة ومن كان ينظره مرة واحدة كان يجتنب ان يراه مرة ثانية وكما ان يوسف ابن الكريم عليه السلام كان خاتمة الجمال كان هذا الغلام نموذج الشناعة وقبح المنظر وفضلاً عن ذلك فانه كان غليظ الطباع جباراً عنيداً لا يقدر على مصاحبته احد من البشر ولكن حيث انه كان وحيد ابيه كان ابوه يحبه حباً شديداً ولم يكن يشمئز من صورته الكريهة وقد قيل : كل فتاة بابيها معجبة . وعليه فلم يكن ابوه يستحي به امام الناس بل كان يفتخر به حتى ذهب الراوون الى ان ما من اب احب ابنه كما احب هذا الوزير ولده

ولما بلغ هذا الولد سن الرجال اخذ ابوه يهتم في تزويجه وشرع من ثم يبحث له عن ابنة بديعة الجمال حميدة الخصال فوفق الله مسعاه وإتاه مبتغاه فعثر على بكر جميلة المنظر وكانت ابنة احد اعيان المملكة الممتازين بالشرف والوجاهة والثروة والغنى فعقد النكاح واقام زفافاً حافلاً ، واهل ابنه بهذه الابنة الجميلة وبقدر ما كان ابن الوزير قبيح المنظر كانت هذه الابنة جميلة الصورة حاوية من الرقة واللطافة ما يكل عنه الوصف ولما كانت تتزين بالحلي والملابس كان يزداد بهاؤها فتخجل نور البدور ولما كان زوجها يتسربل بالملابس الفاخرة كان يزداد قبح منظره فصح فيهما ما قاله الشاعر

خضبت انامها لخضب شيبه ليرد بالتمويه عصر شبابه
فازداد قبحاً حين زاد جمالها شتان بين خضابها وخضابه

ولم تنقض هذه الابنة مع زوجها الا اياماً قليلة حتى ضجرت من مصاحبته

وكانت في غالب الاوقات تبكي وتنوح على مصيبتها وسوء حظها فضعف جسمها وعيل صبرها ولم يعد لها طاقة هذه الشناعة ففي ليلة ما اذ كانت راقدة بجانب زوجها غلب عليها الحزن والكمد فقامت عند انتصاف الليل وتركته راقداً ووقفت في كشك يطل على الصحراء وجلست هناك مفتكرة ببلواها وعاقبة امرها وكلما كانت تفتكر بقباحة وجه زوجها كانت الدموع تهطل من عينيها

وفي خلال ذلك سمعت صوتاً في الصحراء وكانت تشعر باقترابه منها رويداً رويداً حتى وصل الى تحت الكشك فنظرت الامراة فرات شاباً جميل الصورة وعلامة الشجاعة تلوح على وجهه فشغفت بحبه ونادته بلسان الالم وشكت له امرها وسوء حظها وما تقاسيه من شناعة زوجها وقبح منظره وغلاظة اخلاقه واخذت تكلمه بكلام فصيح لتحرك رافته وترجته بان ينقذها من هذه المصيبة العظيمة . فلما سمع هذا الشاب كلامها رق لها ووعدها بان ينقذها من مصيبتها وكان هذا الشاب اسمه مغني . فعند ذلك تبدل حزنها فرحاً فقامت لساعتها وانت تخدعها واخذت من الذهب والجواهر الثمينة ما كان خفيف الحمل وثميناً جداً وتزينت بالفخر الحلي والملابس وخرجت من بيتها لتوافي هذا الشاب الذي كان ينتظرها تحت الكشك ولما وصلت اليه اخذ يتفرس فيها فاذا هي جميلة المنظر وعليها من الحلي الفاخرة والملابس الثمينة ما يكل عنه الوصف فعند ذلك فرح فرحاً عظيماً واخذها بيدها وسار بها حتى قطع مسافة طويلة فافضى الى نهر عظيم لم يكن له قنطرة ليعبرا عليه فعند ذلك تحيرا في امرهما فقال مغني للامراة : انني تعلمت السباحة من صغري فانزعي عنك ثيابك وكل ما معك من الحلي والجواهر وضعيها في صرة وانا اعبر بها النهر فاضعها على الشاطىء ثم ارجع اليك واعبر بك . فاذعنت له الامراة لسذاجتها واعطته كل ما كان معها واما مغني فاخذ ذلك كله وعبر به النهر سابحاً ولما بلغ الشاطىء الآخر وقف هناك متفكراً ثم قال في نفسه : ان الله يسر لي كنزاً

ثميناً فيجب ان اكتفي بهِ واستغني عن هذه الامراة التي لالزوم لها بل ربما تكون سبب هلاكي والى ابن اهرب بها من وجه ابن الوزير الذي سيتبعها برجالهِ لانهُ لا ريب يحبها حباً شديداً فان اخذتها واخفيتها في قرن الثور فلا بد من ان يجدوها فينتقموا مني فالاوفق ان اقنع بما في يدي وادع هذه الامراة هنا حتى اذا افتقدها زوجها ولم يجدها وبعث رجالاً يحثون عنها ووجدوها في هذا المكان يكتفون بها ولا يلتفتون الى ما فقد منها من الجواهر. قال هذا وعول عليهِ فترك الامراة واخذ الحلي والجواهر وسار مسافراً فلما رات الامراة منهُ هذه الخيانة دعتهُ باسمهِ فلم يجبها بكلمة واحدة ولم يلتفت اليها و بقي سائراً بكل سرعة ليتخلص بما غنمهُ

فبعد ذلك اخذت الامراة تبكي وتنوح و بقيت حائرة عريانة لا تدري ما العمل ولا الى ابن تذهب وندمت على تسليم حوائجها الى هذا الشاب الخائن . و بينما كانت على هذه الحالة نظرت يمنةً وشمالاً فرات على ضفة النهر ثعلباً في فمهِ قطعة لحم اتى ليا كلها على الشاطي و بينما كان ينهش قطعة اللحم راى في الماء سمكة فطمع فيها وترك اللحمة وغاص في النهر حتى ياخذ السمكة فلم يتمكن من ذلك ولما ايس منها رجع الى الشاطىء طالباً قطعة اللحم فلم يجدها فحزن حزناً شديداً وندم على ما فرط منهُ من الطمع وصار ينظر يمنةً وشمالاً لعلهُ يجدها . واما الامراة التي كانت ناظرة لذلك كلهِ فلم تتمالك من الضحك فضحكت وقالت : ان جنس الثعلب يكون غالباً ذا فطنة وخداع واما هذا فانهُ على جانب عظيم من الحماقة لانهُ ترك رزقهُ الذي كان في فمهِ واخذ في طلب المحال ثم نظرت اليهِ وقالت لهُ : الم تسمع ايها الثعلب حكاية تلك الارملة التي كان عندها دجاجة تبيض كل يوم بيضة واحدة فظنت الامراة انها اذا زادت علف الدجاجة فتبيض كل يوم بيضتين فاخذت من ثم تطعمها وتزيد في علفها حتى انشقت حوصلتها وماتت . فقال لها الثعلب : يا سيدتي اسمحي لي ان اسالك عن احوالك لان السوال ليس من سوء

الادب فلماذا انت وحدك في هذا المحل عريانة وما هي قصتك فشرعت الامراة حينئذٍ تقص عليهِ حكايتها وما اصابها من الاول الى الاخر فلما سمع الثعلب حكايتها تبسم ضاحكًا واخذ يستهزئُ بها قائلاً : حيث قد استهزأَتِ بي اولاً فحق لي ان اقول ومحترس من مثلهِ وهو حارس فحقًا ايتها الامراة الحكيمة ان حكايتي وحكايتك تشابهان حكاية الرجلين اللذين التقيا ببعضهما عند السحر . فسالتهُ الامراة وما هي حكايتهما

حكاية

قال الثعلب : ان رجلاً خرج من بيتهِ عند انتصاف الليل وطفق يطوف في الشوارع و بينما كان سائرًا نظر بغتة احد اصحابهِ وقبل ان يتعارفا قال لهُ : من طردك يا صاح من بيتك حتى قمت ليلاً تطوف في شوارع المدينة كالمجنون وصار اذ ذاك يطعن فيهِ ويوبخهُ . فاجابهُ الاخر : يا صاح قد وبختني لتطوافي في الليل لكنك اجدر مني بالتوبيخ لان من وبخ انسانًا على سيئاتهِ يجب ان يكون عاريًا منها . واما انت فقد شرعت بالتطواف قبلي فكيف تلومني وقد صح فيك قول الشاعر

قبيح من الانسان ينسى عيوبهُ ويذكر عيبًا في اخيهِ قد اختفى
فلو كان ذا عقلٍ لما عاب غيرهُ وفيهِ عيوبٌ لو راها بها اكتفى

فحقًا انك على جانب عظيم من الحماقة لانك لهوت عن عيوبك ونظرت الى عيوب غيرك فصدق فيك ما قيل : من اشتغل بعيوب الناس فهو غافل عن عيوب نفسهِ ومن كان كذلك فهو احمق مجنون جدير بان يقطع راسهُ ويطعم لحمهُ للنسور . فلما سمع صاحبهُ هذا الكلام خجل منهُ وتركهُ وانصرف

فعند ذلك استتلى الثعلب كلامهُ قائلاً : ايتها الامراة السعيدة ان حكايتك معي تشابه هذه الحكاية وكما انني تركت قطعة اللحم وطمعت بالسمكة وعدت خائبًا فانتِ ايضًا اعرضت عن زوجك وطمعتِ بغيرهِ وعدت من ثم بصفقة مغبون وما طمعت بهِ ضرب من المحال لان ما اصابك مقدر عليك

منذ الازل وحيث قد خالفت امر الله تعالى وملت الى الحرام فقد اوصلك الى هذه الدرجه من الشقاء تاديباً لك فاندمي على ما فرط منك وتوبي الى الله تعالى وارجعي في هذه الساعة الى زوجك وان كنت تخشين انتقامه فانا اعلمك حيلة تتخلصين بها . فسالته الامراة : وما هي هذه الحيلة . فاجابها الثعلب لا تاسفي الان على ما فاتك اذ قد سبق السيف العذل ولكن ان زوجك واقاربك اذا لم يجدوك فلا ريب انهم يفتشون عليك و يفحصون احوالك ليعلموا سبب فرارك فلكي تنجي من القصاص تظاهري بالجنون عند ما يجدونك فيخافون عليك خوفاً شديداً ويشرعون في مداواتك فتتقدمي حينئذ نحو الصحة رويداً رويداً واذا سلكت على هذا المنوال تبقى احوالك مستترة وتتخلصين من القصاص . فلما سمعت الامراة هذا الكلام حسن لديها فشكرت الثعلب وعملت حسب وصيته ورجعت الى بيتها متظاهرة بالجنون ونجت من كل اذية فدعا زوجها بالاساة الماهرين لمعالجتها فصارت كل يوم تتقدم نحو الصحة حتى رجعت الى حالتها الاولى

فالان يا قمر السكر لو ان هذه الامراة لم تذعن لنصيحة الثعلب لما كانت نجت من الهلاك لان هلاكها كان امراً محتوماً لو يعلم زوجها بحقيقة امرها فينتج من هذه الحكاية ما للنصيحة من النفع والفوائد . ولنصائحي ايضاً فوائد جمة سوف تظهر لك قال هذا وسكت خشية من ضجر قمر السكر من اطالة الحديث واما قمر السكر فتاثرت من قول الثعلب لتلك الامراة (فانت ايضاً اعرضت عن زوجك وطمعت بغيره وعدت من ثم بصفقة مغبون . . . وملت الى الحرام) فهيج هذا الكلام الضغينة في قلب قمر السكر واضرم جذوة غضبها على الببغاء ونظرت اليه بعين الغضب وقالت له : ايها الطائر الخائن الذي دابه المكر والخداع ان كلامك يباين افعالك لان قولك يدل على صفو الوداد وافعالك تؤول الى الحاق الضرر بي وعدم نوال بغيتي فلمَ هذه الخيانة مع ولية نعمتك واذا اكمنت البغض فلماذا تظهر المحبة واذا كنت لا تريد ان اذهب الى حبيبي

فلماذا تظهر انك تبغي ذلك من صميم الفؤاد . فبذلك قد اصبحت آلة لعذابي لان محاولتك قد رمتني في حيرة عظيمة اذ انني لو لم اطلعك على اسراري لما كنت توصلت الى هذه الحالة الشقية وحيث قد تحقق لي بغضك وخيانتك فصرت في غنى عنك ولا عدت اريد منذ اليوم ان اذهب الى حبيبي ولا اسمع نصائحك لانها سبب عذابي فورب الكعبة لاصنعن بك وافعلن . فلما سمع الببغاء هذا الوعيد خاف خوفًا شديدًا ولم يعارض قمر السكر في كلامها خشيةً من ازدياد غضبها فانصرفت قمر السكر من عنده ولزيادة كدرها لم تذهب الى حبيبها في تلك الليلة بل ذهبت الى مخدعها واستلقت على فراشها وقلبها يتمزق من الغضب ولهذا لم تذق لذة الرقاد بل كانت كل ساعة تنهض من فراشها كالمجنونة وتتمشى في حجرتها حتى الصباح وعند ذلك ضعف غضبها وصارت تفكر في مداواة دائها والتخلص من هذه الحالة الشقية وحيث لم يكن لها معين سوى الببغاء ندمت على ما فرط منها بحقه وقالت في نفسها : حقًا ليس لي عون بعد الله الا الببغاء فيجب ان اعفو عنه لانه لا يسعني ان اعاديه اذ ليس لي منجد سواه ويجب ان اذهب اليه عند المساء واعتذر له عما فرط مني بحقه وينبغي من الان فصاعدًا ان اراعيه بالاحسان واعامله بالمعروف لانني ان عاديته واعرضت عن مسامرته فمن يكون لي صديقًا ومسامرًا فيجب من الان ان اتركه على هواهُ وان لا اعاتبه على ما يفعل لانه يظهر ان قلبه لا يخلو من الحب لي بدليل سهره الليالي ليكسبني بعض فوائد اجهلها واذا كان للان لم يدرك بي الوطر فربما يكون ذلك لسبب لا ادركه فلا يسوغ لي اذًا ان اتهمه بالعداوة لانني لم ارَ منه قط ما يدل على ذلك . قالت هذا وصممت على ان تاتي الببغاء مساء وتعتذر له

هذا ما كان من امر قمر السكر واما ما كان من امر الببغاء فانه لما راى سيدته قد غضبت عليه خاف على نفسه وايقن بالهلاك لكنه طمع برحمة الله تعالى وتوكل عليه وطلب منه النجاة وقال في نفسه : ان جنس بني ادم خادع

مكار لا عهد له ولا وفاء فانهُ كثيرًا ما يجور على اصحابهِ ولا سيما اذا كان صديقهُ ضعيفًا ومكائد النساء كثيرة قلما ينجو منها احد لان فطرتهن مجبولة على القساوة وصح فيهن قول القائل

وتوقَّ من شر النساء خيانةً . فجميعهنَّ مكائدٌ لك تنصبُ
لا تامن الانثى زمانك كلهُ ابدًا ولو حلفت يمينًا تكذبُ
تغري بلين حديثها وكلامها واذا سطت فهي الصقيل الاشطب

وبما ان الله تعالى على كل شيء قدير فربما ينزع البغض من قلب هذه الامراة لانهُ قدير على ان يغير قلب الانسان من حالة الى اخرى فلندع اذًا المقادير تجري اذ لا بد من تغير الاحوال . شعر

دع المقادير تجري في اعنتها ولا تبيتنَّ الا خالي البالِ
ما بين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حالٍ الى حالِ

فلننتظر الان ما يكون من قمر السكر التي ما برحت قط اعاملها بالمعروف واسهر الليالي لاجلها وحيث انها عاقلة فلا اخشى منها لانهُ قيل : عدو عاقل خير من صاحب جاهل فلا ريب بان تتذكر ما ابديتهُ معها من المعروف وقلبي مطمأن من نحوها لان قلبها لا يخلو من شعائر الرافة

ولما اتى المساء قامت قمر السكر واتت قفص الببغاء لتصالحهُ وتعتذر لهُ عما فرط منها من سوء المعاملة فحيتهُ بكل بشاشة ووقفت فاستبشر الببغاء وسكن روعه لانهُ تيقن بان قمر السكر رضيت عنهُ فطابت نفسهُ واخذ يفكر في وجه الحيلة ليبقيها عندهُ تلك الليلة فنظر اليها متبسماً وقال لها : ياسيدتي العاقلة الحكيمة لماذا غضبت عليَّ وقذفتني بالشتائم واتهمتني بالمكر والخداع مع انني والله معتصم بالاستقامة واحبك حبًا وافرًا وما اكننت قط شرًا لمن كان يبغضني فكيف افعل ذلك مع التي هي من اعز اصحابي واظهرت لي الايادي البيضاء وعاملتني باللطف والاحسان والله تعالى يعلم قدر حبي لك لانني كنت اسهر الليالي لارشدك الى طريق الاستقامة ولادرك بك مبتغاك

بكل سهولة وحفظت اسرارك في طي الخفايا . افهذا هو جزاءي منك واما انا فلا الومك لغلبة الهوى عليك لانهُ غشي بصرك وختم على قلبك ومع ذلك فاذا كنت تريدين ان انصحك فانا مستعدة لذلك والا فمالي وللنصيحة . قال هذا وسكت ليرى ماذا تجيبهُ قمر السكر

فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام تخجلت جدًّا من الببغاء وقالت لهُ ان خلوص حبك لي هو معلوم عندي وما فرط مني لم يكن عن بغض بل لفرط الهوى الذي جعلني اغيب عن الصواب ولذلك كنت تارة اغضب عليك وتارة اتجسر على نفسي فارجو صرف النظر عما بدا مني ولا تحرمني نصائحك واجتهد حسب عادتك بان تبلغني مرادي ولكن اذا غلب عليَّ الم العشق وقادني الى سوء الظن فيك فيكفي بان تحلف لي يمينًا بانك تجتنب الخيانة حتى يرتاح ضميري من نحوك وليس ذلك لعدم ثقتي بك بل لان الطبع البشري ضعيف جدًّا ومتى غلب عليَّ العشق فلا محالة انهُ يوقع في قلبي الشبهة . فاجابها الببغاء : ياسيدتي ان الانسان الصادق يعرف من كلامهِ وكلامهُ يدل على ما في قلبهِ من المحبة والبغض ومن ثم فلا حاجة لليمين وحيث قد قضيت معك اياما طويلة فلا بد من ان تكوني قد اختبرت احوالي وتاكد لكِ صدق كلامي لان شيمتي الصدق فهو الذي يزيد الاصحاب ويورث صاحبهُ الاهابة ولله در من قال

الصدق يورث قائليهِ مهابةً ... سر نحوهُ نعمَ الطريق طريقهُ
واحفظ بهِ عهد الصحاب فانهُ ... من قل منهُ الصدق قل صديقهُ

فكوني اذًا يا سيدتي بطمانينة فكروان بقيت غير مطمئنة فاحلف لك يمينًا فوالله العظيم القهار الجبار ورسولهِ سيد المرسلين انني ما سعيت قط بما يضرك وما اكمنت لك بغضًا بل ما فترت قط عن مساعدتك وان لم اسعَ في تبليغك مرادك فتكون عاقبتي كعاقبة من نقلد السيد منصور فقالت لهُ قمر السكر : وما هي حكايتهُ

حكاية

قال الببغاء : انهُ كان في قديم الزمان في بلاد السودان تاجر اسمهُ السيد منصور وكان على جانب عظيم من الفطنة والغنى ولزيادة حظهِ كان لهُ زوجة بديعة الجمال حميدة الخصال اسمها صالحة وبالحقيقة ان الاسم كان مطابقاً المسمى حتى انهُ كان يضرب بها المثل في بلدتها بالحسن والجمال والعفة والفضائل

فيوماً من الايام عزم السيد منصور على السفر الى بلاد الناس واخذ اذ ذاك يتأهب ولما جمع كل ما يلزمهُ ودع زوجتهُ وسافر فبقيت صالحة حزينة لفراق زوجها ومضت ايام وشهور وهي تترقب رجوع زوجها بكل شوقٍ وتأسف وكان بالقضاء والقدر انهُ كان في تلك المدينة شاب فاسق اسمهُ فرعي كان يتردد على العواهر ويتوق دائماً الى الفاحشة وكان يدخل بيوت الناس بكل شجاعة رافعاً قناع الحياء فيوماً ما نظر صالحة زوجة السيد منصور ففتن بها وهام بحبها لما كانت عليهِ من الجمال وصار منذ تلك الساعة يحاول التقرب منها وكان عشقهُ يزداد يوماً بعد يوم ولما لم يجد حيلةً للتوصل اليها اخذ يطوف في البراري ولزيادة عشقهِ غاب عن الصواب ونحل جسمهُ وضعفت قواهُ لكنهُ في اخر الامر سمع بخبر عجوز خادعة ماكرة فاتاها فرعي واخبرها عن حالهِ وتشوقهِ الى مواصلة تلك الامراة وطلب منها ان تسعى لهُ في نوال غايتهِ وانهُ يعطيها كل ما تريدهُ وحيث ان العجوز كان دابها مساعدة العشاق تعهدت لهُ بنوال بغيتهِ ففرح فرعي فرحاً عظيماً لانهُ تيقن بلوغ المراد بواسطة هذه العجوز المحتالة فشكرها على ذلك وانصرف

فقامت العجوز لساعتها وذهبت الى بيت السيد منصور فاستقبلتها زوجتهُ صالحة بكل ترحاب حيث قد ظنتها ضيفاً واخذت تحدثها بكل لطافة فاخذت العجوز تبذر الكلام الفاسد وتغري صالحة على العشق وتبين لها ما اصاب فرعي بسبب هيامهِ بها وانهُ اصبح كالخيال من فرط الوجد والغرام وكانت

تصفهُ بجميع الصفات الحميدة حتى تستميل صالحة اليهِ فلما سمعت صالحة كلام العجوز علمت بمكرها وخداعها وانها اتت اليها لتقودها الى الشر والفاحشة وحيث انها كانت معتصمة بالصون والعفاف اشمأزت من هذا الكلام واتقدت في فؤادها جذوة الغضب فنظرت الى العجوز وقالت لها : خزاكِ الله ايتها المكارة الخادعة افٍّ عليكِ من حاذقة محتالة تحارب النقاوة والطهارة كيف تجاسرتِ ياوقاح ان تقبلي عليَّ بمثل هذا الكلام وتسعي في هتك ستري وحرمتي فبرئت انا من يمين الله ان تركتكِ تنهزمين من بيتي سالمة لانكِ جديرة بان تقتلي أو تطرح جثتك للوحوش حتى لا ترحمي لامن عدوك ولا من صديقك لان التي مثلكِ لا تستحق الرحمة بل اللعنة والقصاص جزاءً لخداعك لتكوني بذلك عبرةً لمن يعتبر فلما رات العجوز غضب هذه الامراة وسمعت كلامها خافت خوفاً شديدا . وفي الحال اسرعت هاربة لتنجو من الانتقام واتت فرعي واخبرتهُ عن قساوة هذه الامراة وعما قاستهُ منها من الخوف والرعبة وقالت له : والله العظيم انني في مدة حياتي نظرت من النساء الوفا وربوات ولم اعجز عن خداع واحدة منهنَّ واما هذه الامراة فلم ارَ مثلها وما رايت قط مثل صلابتها وشراسة طباعها لانها وثبت عليَّ اكثر من مرة لتقتلني ولو لم احسن التدبير لهلكت لامحالة لان مكايدها لاتوصف وطبعها ينفر من ادنى كلمة تنافي الطهارة ومن ثم لاعدت تطمع بوصالها الان دون بغيتك خرط القتاد اذ انني جربت اخلاق النساء ولم ارَ مثل هذه الامراة فكانها خالية من الشهوة النفسانية لانها لم تتاثر قط من كلامي الذي من شانهِ ان يقتاد الصخور الى كلام العشق فاتركها اذاً واطلب غيرها اذ ما من شيء اكثر من الغواني الحسان في هذه المدينة . قالت هذا وسكتت

فلما سمع فرعي كلام العجوز التي كان قد القى اتكالهُ عليها اعتراه حزن جسيم كاد يقودهُ الى القبر ولما آيس من نوال المرغوب عزم على ترك دياره والسفر الى بلاد بعيدة لينجو من الهلاك عشقاً وهياماً لانهُ قيل ان دواءَ العشق

ترك الديار والتغرّب الى بلاد الناس لانهُ يعرض لهُ في سفره ما ينسيهِ معشوقهُ وحيث ان فرعي لم يتمكن من الاصطبار عزم على السفر لينسى معشوقتهُ فاخذ من ثمَّ يتاهب للسفر ولما اتمَّ استعداده سار مسافرًا الى ان وصل الى بلدة عظيمة فوجد فيها صومعة يسكنها زاهد عابد قد انقطع لله تعالى وكان هذا الزاهد تقيًّا ورعًا مواظبًا على الصلوة في تلك الصومعة التي كان قد بني فيها معبدًا لله تعالى وكان قانعًا بالفقر وراغبًا عن احتشاد الاموال الزائلة فتقدم فرعي اليهِ وقبل يديهِ وطلب بركتهُ واستمد دعاءهُ وتقيد بخدمتهِ وبقي عندهُ نحو سنة كاملة لايتهامل مطلقًا بخدمتهِ حتى اندهش الزاهد من ذلك وتخجل منهُ تخجلًا عظيمًا لانهُ كان عاجزًا عن مكافاتهِ فدعاه يومًا ما اليهِ وقال لهُ: ايها الفتى النجيب انني قد عجبت من الخدمة التي ابديتها لي في كل هذه السنة وصرت مخجولًا منك لانني فقير الحال لا املك شيئًا اكافئك بهِ وفضلًا عن ذلك لايليق بك ان تخدم رجلًا مثلي هو ادني الخلائق لان خدمتي تلحق بك الذل والعار ولكن حيث ان الله تعالى قد خص كل خليقة بموهبة فكما انهُ احرمني من الذهب والفضة فقد اعطاني مواهب تجلب عند الاقتضاء اعظم المنافع وهي انني اعرف اسمًا شريفًا فجزاء لخدمتك اعلمك اياه وبواسطتهِ تنال بكل سهولة كل ماترغب فيهِ بشرط ان تجتنب المحرمات وتبتعد عن كل معصية فاذا اخليت قلبك من كل دنس نلت كل ماتشآء فتعهد لهُ فرعي بان يفعل حسبما امره بهِ. ومن ثمَّ علمهُ الزاهد الاسم الشريف فحفظهُ فرعي ورجع الى بلده وبعد وصولهِ اتت على ذكره زوجة السيد منصور فهاج قلبهُ واستفاق غرامهُ فلفظ الاسم الشريف الذي تعلمهُ من الزاهد وطلب ان تتغير هيئتهُ ويصير مثل السيد منصور ففي الحال تغيرت صورتهُ وصار مثلهُ حتى انهُ لم ينظره احد الا وقد ظنهُ منصورًا فلما راى ذلك قام ذات مرة عند بلوج الصبح واتى بيت السيد منصور وقرع الباب فادخلوهُ بكل ترحاب وفرحوا فرحًا عظيمًا بقدومهِ ظانين انهُ سيدهم واما صالحة فلما علمت بقدومهِ قامت لملاقاتهِ فسلمت عليهِ

وقبلت يديهِ وهنأتهُ برجوعهِ وسألتهُ عن احوالهِ لكنها لما رأتهُ آتياً وحدهُ ولا شيء معهُ سألتهُ قائلةً : اين الخدم الذين كانوا معك والاشياء التي اتيت بها من بلاد الناس فاجابها فرعي انني اتيت باشياء كثيرة ثمينة ولكن لما وصلنا الى المحل الفلاني عرض لنا لصوص فوثبوا علينا وقتلوا كل من كان معي من الخدم وغنموا كل ما جئت بهِ من نفائس الامتعة ولم انجُ من بين ايديهم الا بالقوة الربانية ففررت هارباً ولطعمهم بما غنموه لم ينهالوا في اثري ليقتلوني و بعونه تعالى نجوت من الهلاك ووصلت الى بيتي بالسلامة. فاجابته صالحة : الحمد لله تعالى الذي انقذك من التهلكة وما غنمهُ منك اللصوص فاني غير ماسوفة عليهِ لانهُ يكفاني سلامتك ووجودك بتمام الصحة والعافية لانك انت عوني وملاذي وتعزيتي وسلواني وانشدت شعراً

لا استعينُ بانصارٍ ولا عددٍ ولا بجاهٍ ولا مالٍ ولا ولدٍ
بل انتَ انتَ الرجا يا خيرَ معتمدي لولاكَ ما خلقت روحي ولا جسدي

ومع ذلك فان المال خلق لقضاء حاجات الانسان ومتى فقد من يد مالكهِ فيرجع اليهِ بطريقة اخرى واما اذا لا سمح الله فقدت الحيوة فلا تعود ترجع اليك قط والله الذي على كل شيء قدير يعوض الخسارة اضعافاً لانهُ هو الكريم المنان ولذلك يجب عليك ان لا تحزن على ذلك لانك وان تكن قد فقدت مالاً وافراً فانك تملك ايضاً مالاً لا يحصى واخذت من ثمَّ تعزيهِ وتسليهِ لانها لم تشتبه بهِ قط.

واما وجود فرعي في الدار فكان كوجود الغريب فيها لا كوجود صاحبها لانهُ لم يكن يعرف محلاتها فنظرت صالحة ذلك. وفي الحال وقعت الشبهة في قلبها وقالت في نفسها : ان هيئتهُ هيئة زوجي وكلامهُ كلامه ولكن بين اوصافهما تفاوت ولقد اشتبهت بهِ من جولانهِ في الدار كالغريب اذ انني لحظت كانهُ لم يدخل قط هذه الدار وكيف كان الامر فيجب ان اصبر بعض ايام ولا اعطيه الدالة لاسبر حقيقة امره فان طلبني حقهُ فادفع عن نفسي بحيلةٍ احتال

بها حتى لا تمس طهارني لئلا أكون مفضوحة ومذمومة بين النسآء . ولما ظل المساء اكل معها وشرب بكل سرور و بعد ذلك ذهب بها الى خبآئهِ وطلب منها ما يطلبهُ الرجل من امرأتهِ فابت صالحة واعتذرت لهُ بعذر النساء وفي اليوم الثاني طلب منها ذلك فاحتجت ايضاً بعذر ودفعتهُ عن نفسها وكذا كان في اليوم الثالث والرابع حتى مضى عشرة ايام على هذا المنوال ولم يعرفها ولكن بعد ذلك لم يعد يمكنها ان تحتج بالعذر المنوَّه عنهُ لان مدتهُ معلومة ولم تجد حيلة لمنع فرعي عنها الا بتظاهرها بالمرض فعند ذلك تمارضت ورقدت في الفراش وتظاهرت بالاضامة وبهذه الحيلة دفعت فرعي عنها غير انها اخيرًا اعتراها مرض حقيقي فاضناها واضعف جسمها فحزن فرعي لذلك حزناً مفرطاً ومن شدة عشقهِ جلس فوق رأسها ولم يكن يفارقها لحظةً واحدة وكان يقضي ليلهُ ونهاره جالساً على فراشها ناظرًا اليها باكيًا نائحًا وكان يتظاهر بالمحبة والحنية الزوجية ولم يكن ذلك منهُ الا من فرط العشق والهيام وما زالا على تلك الحالة حتى وفد يومًا ما السيد منصور زوج صالحة وعند وصولهِ دخل دار حرمهِ فرأى زوجتهُ راقدة في فراشها وفوق رأسها رجل يشابههُ جدًّا فنظر الى زوجتهِ مندهشاً متحيرًا وتحركت في قلبهِ نار الغيرة والغضب فوثب على فرعي الشقي وقبض على لحيتهِ وضربهُ ضربًا شديدًا وقال لهُ : لماذا دخلت ايها الفاسق على حرمي وماذا تصنع هنا فاجابهُ فرعي : اخرج من هنا ايها الملعون فلماذا تدخل بيتي وتنظر الى حرمي المخدرة وقبض على عنق السيد منصور وضربهُ واشتد عند ذلك الخصام بينهما فتضاربا ضربًا شديدًا وكان كلٌّ منهما يقول للاخر اخرج من بيتي . . . . لماذا تدخل على زوجتي فتباعد صوتهما وصراخهما وبقيت صالحة حائرة مندهشة لا تدري ما العمل فاجتمع عليهما جمٌّ غفير وحاولوا منع الضرب والمشاجرة فاعيوا وازداد المتخاصمان غضباً وكان كل منهما يهجم على الاخر حتى يقتلهُ فارسلت الحكومة بعضاً من شرطتها فالقوا القبض عليهما واقتادوهما الى المحاكمة وبعد ان قرر كل منهما

دعواه بقي القاضي متحيرًا مندهشًا وعاجزًا عن فصل هذه الدعوى لتشابه المتداعيين تشابهًا كليًا فبرز من بين الحاضرين رجل عاقل وقال للقاضي: دع هذه الدعوى فانا اتعهد بفصلها بعون الله تعالى فاستحسن القاضي رايهُ ليتخلص من المشقة وارتضى المتخاصمان بتحكيمهِ عليهما فعند ذلك طلب هذا الرجل احضار صالحة بين يديهِ فلما اتت نظر الى المتداعيين وقال لهما ان كلاً منكما يدعي هذه الامراة زوجةً لهُ وتشابهكما بالصورة قد اوقع اشكالاً عظيمًا في معرفة الحقيقة فلا يخلو من ان يكون احدكما منافقًا قد نقلد صورة الاخر بواسطة السحر ولكن حيث ان كل انسان لا ينسى ليلة زفافهِ وما فعلهُ فيها فاريد ان يقر كل منكما ما فعلهُ في تلك الليلة فدعا اولاً السيد منصور واختلى بهِ مع بعض العقلاء وسالهُ عن ذلك فقرر السيد منصور كل ما حدث ليلة زواجهِ وكيفية دخولهِ على زوجتهِ فتقيد اقرارهُ في قرطاس وصرفوهُ ثم دعي فرعي فقرر لهم ايضًا فقيدوا اقراره وصرفوهُ ثم دعوا صالحة واستنطقوها فقررت طبق ما قررهُ السيد منصور بدون زيادة ولا نقصان فتاكد للحاضرين حينئذ صحة دعوى السيد منصور وبطلان دعوى فرعي فحكم من ثم الحكم بالامراة للاول ومنع الثاني من الدعوى بها وبعد ان تيقنوا حيلتهُ ليسلب زوجة غيره عاقبوهُ اشد العقاب فعاد من الخاسرين وهلك من غلبة العشق عليهِ

شعر

فعش خاليًا فالحب راحتهُ عنى ... واولهُ سقمٌ واخرهُ قتلُ

فعند ذلك استتلى الببغاء كلامهُ قائلاً: فالان اعلمي يا قمر السكران كنت لا اجتهد لأُبلغك مرادك فاطلب من الله ان تكون عاقبتي مثل عاقبة هذا الرجل وعاقبني الله بما تعاقب بهِ وتكون حذارِ من المماطلة. فقومي في هذه الساعة واذهبي الى حبيبك اذ قد حان وقت الصفاء والانشراح فلما سمعت قمر السكر كلام الببغاء فرحت فرحًا عظيمًا وقامت لساعتها قاصدةً حبيبها لكنها لما فتحت الباب رات الشمس قد طلعت فانارت العالم واظهرت

كل مستتر في المدينة كما ظهرت حيلة فرعي ومراوغته فرجعت حزينة كئيبة وقضت ذاك النهار متقلبة على نار الهوى منتظرة بفروغ صبر انقضا ذاك النهار ولما وفد المساء تزينت واتت قفص الببغاء وشكت له الشوق والهيام وقالت له: لقد افنيت عمري بالمحال ولم انل مبتغاي لانني لهوت بالحكايات عن السعي في نوال ما ارغب ولم تجدني هذه الحكايات نفعاً بل آلت الى الشقاء والتعاسة فبالله عليك ارثِ لحالي وعدني بانك تجتهد في ان تبلغني مرادي ليرتاح بالي ويطمأن قلبي لان الوعد يسلي فؤاد الولهان الحزين ولو كان مقروناً بالماطلة

شعر

اوعدوني اوعدوني وامطلوا حكم دين الحب دين الحب لي

فنظر اليها الببغاء بعين الرحمة والرافة وقال لها: ياسيدتي قد حرم النوم على عيني لاني اسهر الليالي لانصحك واعلمك ما يجب ان تصنعيه في طريق العشق ولذلك لم افتر دقيقةً واحدة عن التفكر باحوالك واردّد في افكاري ما يجب ان انصحك به وانني والله لحزين مما اصابك ولكن اصغي الى نصيحتي ولا ريب انك ستنالين مرغوبك كما نال ابن ملك بابل ما كان يتمناه بسعي خالص ومخلص فسالته قمر السكر وكيف كان ذلك

حكاية

قال الببغاء: زعموا انه كان في قديم الزمان في مدينة بابل الشهيرة ملك عظيم عادل وكان له ولدان على غاية من النجابة واللطافة اسم الكبير منهما همايون بخت فرخ بخت وكانا يحبان بعضهما حباً شديداً فحلّ القضا المقدر على والدهما الملك بعد ان عاش عمراً طويلاً وبحسب اصول الوراثة خلفه في الملك ابنه الاكبر الذي كان حكيماً عاقلاً عارفاً باحوال المملكة ولم يزل هايون بخت يحب اخاهُ من صميم الفواد ويحسن الرعاية نحوه ويواصله باللطف والمعروف ولكي يظهر فرط حبه له اقامه والياً مستقلاً على مملكة قريبة من مملكة بابل لتسهل له مشاهدته في كل حين فاضحى فرخ بخت ممنوناً من

اخيهِ وكان يعتبرهُ بمنزلة ابيهِ لانهُ كان اخاهُ الاكبر وكان كل منهما يبدي للاخر حسن الالتفات والمجاملة

ولكن لما راى اعداؤهما هذه المحبة بينهما وسهرهما على سياسة المملكة وتشييد اركانها تحركت حفائظهم عليهما وانقدت نار الحسد في افئدتهم ولكنهم لما كانوا يرون زيادة الالفة بينهما كانوا قد آيسوا من القاء الفتنة بينهما لكنهم لم يفتروا ولا قط عن السعاية بينهما مجتهدين في الوشاية لينالوا ما كانوا يتمنونهُ من وقوع العداوة بين هذين الاخين ولم يزالوا ينقلون لهمايون بخت كلاماً مخترعاً ينسبونهُ لاخيهِ ويوشون بهِ اليهِ حتى اوغروا صدره وحركوا حفائظهُ عليهِ فتغيرت محبتهُ نحو اخيهِ وعدل عن معاملتهِ باللطف والمعروف كما كان يفعل سابقاً لانهُ لوشاية المفسدين اشتبه باخيهِ ولم يكن يظهر لهُ الاَّ الاشمئزاز ولا ينظر اليهِ الاَّ بعين العنفوان ولذلك خاف فرخ بخت خوفاً شديداً من اخيهِ واصبح لا يامن من انتقامهِ وكان يزداد خوفهُ يوماً بعد يوم فقام يوماً ما وترك مملكتهُ وفر هارباً ليأمن من غضب اخيهِ وسار سائحاً في البراري والقفار خوفاً من سطوة اخيهِ عليهِ وبينما كان سائحاً في احد الايام عرض لهُ سائح مسن لكنهُ جميل الصورة فلما وقع نظرهُ على فرخ بخت اخذ يضحك ويرقص طرباً ويصرخ صراخاً عظيماً ويشير بعلامات الفرح والابتهاج حتى خال لفرخ بخت انهُ كاد يطير من الفرح وان سكان السماء والارض سمعوا صراخهُ وكان هذا السائح ينشد اشعاراً مطربة ويتهلل فلما نظر فرخ بخت حركات هذا السائح ورقصه وطربه اندهش وتحير وبهت مفتكراً بذلك ثم تقدم اليهِ وحياه بالسلام وقال لهُ: ياصاحب السعادة والعزة ما هو سبب فرحك وطربك وليس في هذا المكان ما يوجب كل هذا الابتهاج اذ ليس فيهِ غيرنا فما الذي اضحكك وحملك على هذا الفرح والصراخ فاية سعادة قد نلتها حتى استحوز عليك هذا الفرح العظيم لانني ارى عليك لوائح فرح لا يوصف ولقد ادهشتني بذلك واضحيت بحيرة عظيمة فبالله عليك

قص عليّ الخبر ولا تكتم عليّ شيئاً لانهُ لا يخلو هذا الامر من سرٍ عجيب . فنظر اليهِ السائح بعين الفرح كانهُ يبشرهُ بسعادة عظيمة وقال لهُ : ياسيدي الميمون انك والله لقد ملكت جوهرة عظيمة ذات قيمة لا تقدر لكنها غير منظورة ولم يملكها احد قبلك حتى ولا اسكندر ذو القرنين ولا يملكها احد بعدك الى نهاية الدوران ولهذا اصبحت في فرحٍ عظيم لانني بكهانتي وفطنتي ومعرفتي بكل الامور حتى بالغوامض ايضاً قد اطلعت على طويتك وعرفت ما في باطنك وما يحدث لك في الزمان المستقبل . ولذلك ابشرك بان مطالعك يكون سعيداً وتنال حظاً وافراً وتقضي حياتك كلها محفوفاً بالسعد والاقبال فهذا الذي ابشرك بهِ وسوف يتضح لك جلياً وهذا جوابي لك فاحفظهُ ولا تنسي حتى تتذكرني يوم سعادتك . فلما سمع فرخ بخت كلامهُ فرح فرحاً عظيماً فتقدم اليهِ بكل وقار وقبل يديهِ وسار ماشياً معهُ في الطريق يتحدثان بما قلّ وجل من احوال الدنيا وما فيها ولم يمشيا الا قليلاً حتى صادفا في طريقهما شاباً جميلاً المنظر طويل القامة على وجههِ علامة الحكمة والفطنة والشجاعة والبسالة فانطرح على اقدام فرخ بخت وقبل الارض بين يديهِ ودعا لهُ بالعز والتوفيق وقال لهُ : الا تقبلني في خدمتك لاني خادم نصوح فتجني من خدمتي حظاً وافراً لان اسمي مبارك قال ولا ريب ان يطابق الاسم المسمى لانني ذو حكمة عظيمة وفطنة ودراية وطالعي سعيد وما صادفت قط بوساً ولا شك ان من كان مثلي يليق بخدمتك الملوكية فاجعلني اذاً لك خادماً فعسى ان تاتيك خدمتي بمنافع جزيلة واما فرخ بخت فظنهُ من خدم ابيهِ القدماء فقبلهُ خادماً وسار معهُ مسافراً حتى افضيا الى نهرٍ عظيم فجلسا على الشاطي ليستريحا لان التعب كان قد اضناهما وكان في حاجة الى الراحة ثم قام مبارك قال واخذ يتمشى على جوانب الشاطي وبقي فرخ بخت وحده ناظراً في الماء يمنةً وشمالاً فراى بغتةً ثعباناً كبيراً وفي فمهِ ضفدعة وهي تصرخ وتحاول التخلص من فمهِ . فلما نظرها فرخ بخت على هذه

الحالة رقّ لها ورثي لحالها لانه كان مجبولاً على الرحمة والرافة فقام لساعته ووثب على الثعبان لينقذ الضفدعة منه فلما راى الثعبان فرخ بخت هاجماً عليه خاف منه ولشدة خوفه ترك الضفدعة من فمه ففرّت هاربةً ونزلت في الماء واما الثعبان فوقف مبهوتاً واخذ ينظر الى فرخ بخت بعين التذلل كانه يشتكي من فقدان رزقه و يقول لسان حاله: انك لحقيق قد صنعت فعلاً مبروراً وانقذت هذه الضفدعة من الهلاك لكنك قد ظلمتني واحرمتني فريستي فارجو ان تنظر اليّ بعين الرحمة لاني جائع ولم اجد ما آكله سوى هذه الضفدعة فعند ذلك رق فرخ بخت لهذا الثعبان ولم يرَ ان يحرمه من الرحمة لانه تيقن انه جائع جوعاً عظيماً وحيث لم يكن معه زاد ليطعمه منه اخذ سكيناً وقطع من لحم جسده قدر جثة الضفدعة ورماها للثعبان ليقتات منها فاخذها الثعبان بكل فرح واتى بها الى بيته واقتسمها مع زوجته التي كانت تتضور جوعاً وقص عليها ما حدث له واخبرها عن كرم فرخ بخت ومروّته وشفقته الوافرة فتعجبت زوجته من ذلك كل التعجب وقالت له عجباً هل يوجد في بني آدم كذا اناس ذوو نخوة ومروّة وهل يتصفون بكرم الاخلاق وحسن مزايا مع ان خيانة ابن آدم مشهورة ومنذ ما خلقت الى الان اسمع ان ابن آدم عديم الوفاء لا عهد له ولا ذمام بل انه متصف بالخيانة ولا يعرف من الامانة الاّ اسمها فاجابها زوجها: نعم ان اكثر بني آدم لا عهد لهم ولكن يوجد بينهم من هو متصف بالمروة والشفقة وفيهم من يرعى الامانة ويحسن الى الخلائق ويجود بنفسه عند الاقتضاء وكفى على ذلك دليلاً ما صار من امر العقاب مع كليم الله موسى عليه السلام فسالته زوجته: وكيف كان ذلك

حكاية

قال الثعبان: ان طائر حمام طار يوماً ما في الجو واتى الى موسى كليم الله وهو يرتعب خوفاً وقال له: الامان يا نبي الله الامان الامان فان ظالماً

عاسفًا قد طغى عليَّ وها هو الان متبع آثاري ويريد اهلاكي فارجوك ان تخلصني من يدهِ وتنقذني من الهلاك. فلما سمع موسى عليهِ السلام كلام هذا الحمام رق لهُ ورحمهُ واخفاه تحت ذيل ثوبهِ وفي الحال اتى وراءَه عقابًا كبيرًا وقال لموسى : يا كليم الله انني الان في حالةٍ يرثى لها لانهُ قد استولى عليَّ الجوع ولا املك مضغة فاذا حميت عني فريستي فتكون قد ظلمتني ظلمًا فاحشًا . فاجابهُ موسى : ايها العقاب : هل ترغب في قتل هذا الحمام ام نفقتك ونفقة عيالك فاذا كنت تريد الاول فلا اسمح لك بهِ لانهُ طلب مني الامان فامنتهُ على نفسهِ وان كنت لا ترغب سوى الرزق لتاتي عيالك بنفقتهم فلا احرمك منهُ لانني كما رحمت الحمام رحمتك ايضًا لكنك مخير في العمل. فاجابهُ العقاب : ياسيدي انني اجد في طلب الرزق فقط واريد قنتي ونفقة عيالي من اي وجهٍ كان فلما سمع موسى هذا الكلام نظر الى اعضائهِ الطاهرة واخذ سكينًا ماضيًا وقطع من لحمهِ مقدار جثة الحمام واراد ان يعطيها للعقاب فعند ذلك نظر هذا اليهِ وقال لهُ : يا نبي الله انني انا ميخائيل والمتقمص بصورة هذا الحمام هو جبريل وقد اتيناك هذا النهار متلبسين لكي نمتحن كرمك وسخاءك ونذيعهُ في سائر الاقطار . قالا هذا وتواريا عنهُ

فهذه الحكاية ايتها الحبيبة تؤيد ما قلتهُ عن كرم ابن آدم واحسانهِ وهي مشهورة عند الخاص والعام فلما سمعت زوجة الثعبان هذا الكلام تعجبت من هذه الرحمة التي اتصف بها موسى الكليم ونظرت الى زوجها وقالت لهُ حيث ان ذاك الشاب الشريف قد اتصف بمروَّة كذا عظيمة ورق لك فيجب عليك انت ايضًا ان تكون ذا مروَّة وشهامة فاذهب الان وتقيد بخدمتهِ فتعيش بكل رغد وهناء . وذلك من اهم الواجبات لتفي ما عاملك بهِ من المعروف لان على كل مخلوق ان يجازي الجميل بالجميل . شعر

اطلق لسانك بالثناء على الذي اولاك حسن رغائبٍ وغرائبِ
واشكرهُ شكر الروض حياه الحيا كيما تقوم لهُ ببعض الواجبِ

هذا وكان كل من الثعبان والضفدعة المار ذكرهما من طائفة من طوائف الجن بينهما عداوة عظيمة وكان كل منهما يسعى في اهلاك الاخر واما بمروة ذاك الامير الباسل اي فرخ بخت وشهامته قد انقلبت تلك العداوة صداقة متينة وتوطدت المحبة والالفة بينهما فاتى الثعبان الى الضفدعة واتفقا بان يذهبا الى فرخ بخت ويتقيدا بخدمته فقر قرارهما على ذلك وتقمصا بصورة الانسان وتسمى الثعبان خالصًا والضفدعة مخلصًا وقاما لساعتهما وسارا الى فرخ بخت ولما وصلا اليه تقدما بين يديه وسلما عليه وترجياه ان يقبلهما في خدمته فظنهما فرخ بخت من خدم ابيه القدماء ولذلك قبلهما في خدمته فقام الاربعة الاشخاص المار ذكرهم وهم فرخ بخت ومبارك فال وخالص ومخلص وعزموا على السفر وساروا حتى افضوا الى الديار المصرية وكان بالقضاء والقدر ان ملك مصر جلس في ذلك النهار للصفا والانشراح وجلس معهُ الوزراء ورجال الدولة واعيان المملكة واحضر جميع ارباب المعارف والصنائع والفنون والملاعب واخذ كل منهم يعمل على شاكلته ففرح الملك من ذلك فرحًا عظيمًا

وكان فرخ بخت واتباعه من جملة المتفرجين وكان جالسًا في احدى زوايا المحل امام وجه الملك متفرجًا ومبتهجًا مما كانوا يفعلونه من الاشياء الغريبة فوقع عليه بغتةً نظر الملك واذ وجدهُ جميل الصورة اخذ يمعن فيه النظر فراى عليه سمة الذكاء والفطنة والشجاعة والبسالة وراى من حركاته ما يدل على شرف اصله فدعاهُ اليه واخذ يلاطفهُ بالكلام وسالهُ عن بلادهِ وعن سبب حضوره الى ذلك المحل فاخذ من ثم فرخ بخت يقص عليه ما جرى لهُ اولا واخرًا ويخبره عن سبب سياحته وقدومه الديار المصرية وذلك بعبارات لطيفة تحرك شعائر الرحمة والتحنن فلما سمع ملك مصر حكايتهُ رق لحاله وحيث كان يلحظ ادبهُ وحركاته وكلامهُ بكل دقة تاكد صدق مقاله وسر منهُ سرورًا عظيمًا واحبهُ حبًا مفرطًا واقامهُ واليًا على بيته وجعلهُ من خاص اصحابه واعوانه وعين لهُ راتبًا وافرًا وكان في غالب الاوقات يدعوه

الملك لمجالستهِ ويفاوضهُ بكل ما يحدث في المملكة وكان كل يوم يظهر حكمة عجيبة ولذلك اعتبرهُ الملك ورفع منزلتهُ وقربهُ اليهِ وكان يبالغ في اعتباره يوماً بعد يوم

فيوماً ما ذهب ملك مصر للتقصف وجلس على شاطىء البحر فوقع خاتمهُ بغتةً من يدهِ وغرق في الماء وكان هذا الخاتم نفيس القيمة جدًّا وعزيزًا عند الملك ولذلك حزن حزناً شديدًا وامر ان يحضروا بين يديهِ غواصين ليخرجوا الخاتم من الماء فامتثلوا امره وفي الحال احضروا ثمانين غواصاً فقضوا كل ذلك النهار وهم يغوصون في الماء ويفتشون على الخاتم فلم يجدوهُ فازداد الملك ومن كان معهُ حزناً وكدرًا ولما ايس الملك من وجود الخاتم رجع الى بلاطهِ ولم يكن احد يتجاسر ان يتكلم معهُ لشدة حزنهِ وكدره وبعد ذلك اتى فرخ بخت اتباعه واخبرهم عن فقد الخاتم النفيس وعن تكدر الملك بسبب ذلك فلما سمع مخلص هذا الخبر قال لهُ: يا سيدي هذا ليس بامرٍ عسير فانا انعهد باخراج الخاتم من الماء فاذهب الى الملك واخبرهُ بذلك واطلب منهُ مهلة وجيزة ولا غروَ انك تنال بذلك مجدًا عظيماً ويزداد حب الملك نحوك وتصير من اعز المقربين اليهِ فلما سمع فرخ بخت كلام مخلص سر سرورًا وافرًا وقام لساعتهِ واتى الى الملك وحكى لهُ بعض عبارات مضحكة فضحك وتسلى لان فرخ بخت كان دائماً يجلو هموم الملك بعباراتهِ اللطيفة فعند ذلك قال لهُ يا سيدي لا تحزن على فقد الخاتم لانني انعهد باخراجهِ من الماء وتقديمهِ لديك ولكن ارجوك ان تعطيني فرصةً لافعل ما عنَّ لي في هذه الساعة ففرح الملك من هذا الكلام وامهلهُ فانصرف حينئذٍ فرخ بخت واتى الى مخلص واخبره بما كان من امر الملك وامره بان يبذل كل الجهد بالتفتيش على الخاتم فذهب فرخ بخت وبمعيتهِ مخلص ليدلهُ على المكان الذي وقع فيهِ الخاتم فلما افضيا الى ذلك المحل خرج مخلص من صورتهِ ودخل في صورة ضفدعة وانحدر الى البحر وغاص في المياه حتى بلغ قعر البحر. وبعد ان فتش

برهةً من الزمان وجد الخاتم فخرج بهِ فرحاً مسروراً واعطاهُ الى سيده فرخ بخت فعند ذلك انسر فرخ بخت وقام لساعتهِ واتى مجلس الملك وقدم لهُ الخاتم فلما راهُ الملك كاد يطير من الفرح والابتهاج لوجدان هذا الخاتم النفيس الذي كان عزيزاً لديهِ فانعم على فرخ بخت بانعامات وافرة لهذه الخدمة ورفع منزلتهُ وبالغ في تكريمهِ وازداد فرط حبهِ نحوهُ وبقوا على هذه الحالة اياماً طويلة عائشين بارغد عيش حتى داهمت الملك مصيبة عظيمة فتتت اكباده تحسراً وهو انهُ كان لهُ ابنة جميلة المنظر بديعة الخصال حسنة الخَلق والخُلق وكان يحبها حباً مفرطاً لا يوصف لما تحلت بهِ من المزايا الحميدة والاخلاق الفريدة ولانها كانت وحيدة ابيها ووريثة عهده وموضوع فرحه وسروره

فكان بالقضاء والقدر انها ذهبت يوماً للتقصف والانشراح فاتت احد البساتين وجلست فيهِ فلدغتها افعى ونفثت في شريانها سماً قاتلاً وفي الحال وقعت الابنة مغشياً عليها لشدة الوجع والالم فلما بلغ هذا الخبر مسامع الملك ابيها طار عقلهُ من الدهشة والكدر وحزن حزناً مفرطاً وود لو مات قبل ان تدركهُ هذه المصيبة فاحضروا الابنة الى البلاط الملوكي وادخلوها حجرتها وكان لم يزل باقياً فيها نسمة حيوة فدعوا حينئذٍ احذق الاطباء فكلت مساعيهم عن معالجة هذه الابنة التي كانت تسير رويداً رويداً نحو الخطر حتى آيس الجميع من شفائها فتفاقم حزن ابيها وكدرهُ واخذ يبكي وينوح ويلطم وجههُ ويخزق ثيابهُ ويندب ابنتهُ العزيزة ويرثيها حتى كاد الجلمود يتفتت من بكائهِ ولذلك اعترى الحزن جميع الرعايا حتى لم يعد يسمع في المدينة الا بكاء ونواح

فبلغ هذا الخبر مسامع خالص وفي الحال دعا اليهِ فرخ بخت وقال لهُ: احضرني بمعيتك امام الملك وانا اداوي هذه الابنة وانعهد بان اشفيها بحولهِ تعالى فلما سمع فرخ بخت كلام خالص انسر جداً واتى بهِ حالاً الى بلاط الملك وقال لهُ: يا سيدي قد اتيتك اليوم وبمعيتي خادمي هذا فان لاق لديك

اسمح لي ان اعالج وجع ابنتك انا ورفيقي هذا فلعل الله ياتيها با لشفاء بواسطتنا فاجابهُ الملك : ادخل انت وهذا الرجل الى دار الحريم وداويا ابنتي وإذا شفيتها خذ العهد الاكيد عليَّ بان ازوجك اياها وتكون ولي عهدي فذهب فرخ بخت للحال فرحًا وبمعيتهِ رفيقهُ خالص ولما نظر الابنة اشار الى خالص بان يمعن النظر فيها ويعالجها فاخذ خالص يحدق نظرهُ فيها حتى عثر على محل اللدغة فاخذ يمص بفمهِ السم ويستخرجه فخرج جميعهُ ولم يبقَ منهُ اثر فارتاحت حينئذ الابنة نوعًا وبعد ذلك اخذ مرهمًا ودهن بهِ الجرح وبعد ساعات شفيت الابنة شفاء تامًا ففرح الملك فرحًا عظيمًا وراى ان يكافيء فرخ بخت بوفاء وعدهِ لهُ ومن ثم بعد ان نالت الابنة تمام الشفاء زوجها ابوها بفرخ بخت واقام لها زفافًا حافلاً دعا اليهِ جميع ارباب الدولة واعيان المملكة فشاركوهُ في فرحه وهنأُوه بما منَّ عليهِ بهِ الاله المنان وبعد ايام دعا الملك فرخ بخت اليهِ وقال لهُ : يا ابني انني قد طعنت في السن وصرت عاجزًا عن سياسة المملكة فلا بد من ثم ان اغتنم وقتًا للراحة في نهاية عمري واتنازل لك عن الملك وابايعك بالسلطنة قال هذا وفي الحال امر باحضار الوزراء ورجال الدولة واستشارهم فيما عزَّ لهُ فاشاروا عليهِ جميعهم بان يفعل ما أُلهم بهِ وان يبايع فرخ بخت بالملك لان بهِ اللياقة والاهلية . فاجلسوا فرخ بخت على سرير السلطنة وبايعوه بالملك ودعوا لهُ بالعز والتوفيق وحيث ان الله تعالى قد قسم لفرخ بخت منذ الازل هذه السعادة فبقضائهِ تعالى وعنايتهِ الالهية قد تخلص من جور اخيهِ ونال اعظم سعادة بدون تعب ومشقة شعر

وإذا العناية لاحظتك عيونها ... نم فالمخاوف كلهن أمانُ

واصطد بها العنقاء فهي حبائل ... واقتد بها الجوزاء فهي عنانُ

واما فرخ بخت فانهُ بعد اتمام المبايعة خر ساجدًا امام الملك وقبل يديهِ واخذ يشكرهُ على ما اولاه من النعم الجزيلة قائلاً : ان لساني عاجز عن شكر افضالك العميمة ايها المولى العظيم ولا اقدر ان اكافيء هذه المنن التي طوقت جيدي

بها الابا لتوسل لعزته تعالى بان يجزل ثوابك في الدنيا والآخرة واني لاشكرنك شكرًا دائمًا على سوابغ انعامك وهذا فرض عليّ لا يكل لساني عن تاديته ما دمت حيًا وليس الموت بنازع من فوادي ولساني مطايا الحمد والثناء لانني ان مت فرفات عظامي تنوب عني بذلك وانشد

فلاشكرنك ماحييت وان امت　　فلتشكرنك اعظمي في قبرها

فعند ذلك اجلسهُ الملك بين يديهِ واخذ يوصيهِ بان يحسن السلوك نحو الرعايا وقال لهُ يا ابني الزم خوف الله ولا تحد عن محجة الاستقامة ليوفقك الله في اعمالك ويهديك طريق الرشد والصواب واياك اياك والحرام لانهُ يدنس قلب الانسان ومحاشاتهُ تعد من فضائل الابطال كما قال الشاعر

ليس الشجاع الذي يحمي فريستهُ　　عند القتال ونار الحرب تشتعل

لكن من كفَّ طرفًا اوثنى قدمًا　　عن الحرام فذاك الفارس البطل

وتذكر ايها العزيز المحبوب بان الدولة ظل زائل والنعمة ضيفٌ راحل فلا تثق بها ولا يغرنك ما تلتهُ من العظمة لئلا يستولي عليك الكبر والعجرفة لانهما آفة لذي العلاء تنزع حبهُ من القلوب وتجعلهُ ممقوتًا كما قيل

ومعتقد ان الرياسة في الكبرِ　　فاصبح ممقوتًا بها وهو لا يدري

يجر ذيول الجد يطلب رفعةً　　الا فاعجبوا من طالب الرفع بالجرِ

والزم العدل والانصاف بين الرعية لتاتيهم بالخير الجزيل وتكتسب حبهم ووداده واياك اياك والظلم لانهُ ليس من شيم الملوك بل من شيم العبيد فهو ينزع عنك حلة الشرف والكمال ويقلع حبك من قلوب الرعايا فالعدل يكسبك رفعةً ومجدًا ويسكب عليك انعام الخالق ويؤيدك في ملكك وسلطانك شعر

عن العدل لا تعدل وكن متيقظًا　　وحكمك بين الناس فليكُ بالقسطِ

وبالرفقِ عاملهم واحسن اليهم　　ولا تبدلن وجهَ الرضى منك بالسخطِ

وحلِّ بدرِّ الحق جيد نظامهم　　وراقب الله الخلق في الحل والربطِ

والان فقد اقمتك بالهام الله تعالى سلطانًا على ارض مصر وقد اودعتك هذه

المملكة واهلها فمن الواجب عليك حفظ الوديعة من كل ضرٍ وغائلة كما هو من مقتضيات الامانة فاسهر على ترقية الرعايا وراحتهم لانّ بذلك تبلغ ذرى المجد والكرامة واخفض لهم الجناح وواصل كبيرهم وصغيرهم بالاحسان واسمع للصغير سماعك للكبير ولا تحابِ وجه احد لان الله ولاك على عباده لتكون بينهم منصفاً عادلاً فاذا سلكت بمقتضى وصاياي فتنال من الله انعاماً وفيرة وتكتسب حب الرعايا و ودادهم و يبقى ذكرك مخلداً في ارض مصر كلهــــا حتى اذا جاءك القضاء المقدر تنال من الله جزاء عظيماً وتخلف لرعاياك ذكراً جميلاً لانهُ لا بد من ان تترك هذه المملكة يوماً ما بقضائهِ لانهُ قد تقدمك من الملوك والسلاطين من امتدت سطوتهم في كل الارض وقد طووا في حضن التراب ولم يبقَ لهم سوى اثار اعمالهم .شعر

اذا كنت في امرٍ فكن فيهِ محسناً فعما قليلٍ انت ماضٍ وتاركه
فكم افنت الايام اصحاب دولةٍ وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

ولما بلغ ارفاق فرخ بخت وهم مبارك فال وخالص ومخلص ما صار من امر سيدهم تفاقم فرحهم وسرورهم فاتوا اليهِ ليهنئوهُ بما حازه من السعادة وحيث ان مبارك فال كان اكبرهم سناً واقدمهم في خدمة فرخ بخت تقدم اولاً وقبل الارض بين يديهِ ودعا لهُ بسوابغ العز والنعم وقال يا مولاي انهُ قد تم كل ما كان مكتوباً ومقدراً منذ الازل وبحول الله تعالى وقدرتهِ الربانية قد بلغت اعلى درجة من السعادة والشرف بهمة ذاك السائح الذي صادفتهُ في الصحراء وانا اقول لك ان الملك يخرج من يدك ما دمت حياً بل تبقى حياتك كلها ربّاً على ارض مصر لان الله احبك منذ الازل وخوّلك نعمة وافرة واما انا فانني ارجوك ان تطلق سبيل هذين الخادمين النصوحين وهما خالص ومخلص وتاذنهما بالانصراف الى وطنهما لينظرا اهلهما واولادهما وخلانهما لانهما بشوقٍ وافرٍ لمشاهدتهم فاطلق سبيلهما ومتى طلبتهما فانهما يحضران بين يديك على جناح السرعة . فاجابهُ فرخ بخت : لماذا تتكلم يا صاح بمثل هذا الكلام

المستغرب لان خالصاً ومخلصاً من اعز اصحابي وقد رافقاني في حال نكبتي ومشقتي فكيف يليق بهما ان يتركاني حال سعادتي وعظمتي وانا لا اطيق لوعة فراقهما لانهما سبب نعمتي ودولتي فلا اسمح لهما ابداً بان يبتعدا عني فلما سمع مبارك قال كلامهُ وفهم اصراره على ابقاء خالص ومخلص عندهُ علم انهُ ان لم يخبره عن اصلهما فلا يدعهما ان يفترقا عنهُ فلهذا نظر اليهِ وقال: يا مولاي لا خفاك انك لما كنت هارباً من وجه اخيك وسائحاً في البراري التقيت في احدى الصحارى بسائح عليهِ سمة الوقار وعلامة الابتهاج فهذا السائح هو جمال الدين الهمداني المرشد الرباني الذي كان لك عوناً وغوثاً من رب العالمين فسقاك كاس السعد والشجاعة وبدعائهِ بلغت ذرى المجد والكرامة وذلك بعناية الاله المتعال الذي اعد لك هذه السعادة منذ الازل. واما انا فقد رافقتك اياماً كثيرة وخدمتك خدمة نصوحة لكنك للان لم تعرف من انا ولا ارى من ثم ان اخفي عليك ذلك فانا صورة طالعك وسعدك ارافقك الى الابد ولا افترق عنك لحظةً واحدة غير انني مذ اليوم لن اعد اظهر لك لان سعدك قد تم ونلت كل ما ترغب فيهِ واما خالص ومخلص فهما يخبرانك عن اصلهما قال هذا وتوارى عنهُ ولم يعد ينظرهُ فتعجب فرخ بخت واخذتهُ الحيرة والاندهاش ساعة من الزمن ثم دعا خالصاً ومخلصاً وسالهما عن اصلهما فاجابهُ خالص: يا نور العالم اننا نحن عبيدك من طائفة الجن وكان بيننا بغض وعداوة من شأنها ان تفني الفريقين لان كلاً منا كان يسعى في اهلاك الاخر غير ان لطفك قد بدل هذه العداوة صداقة متينة ولكي نكافيك على ذلك قد تقمصنا بصورة بني آدم وتقيدنا بخدمتك لندرك بك ذرى العظمة والسعادة وحيث قد اضحيت الان في غنى عنا ومن مدة طويلة لم نشاهد اهلنا فنرجوك ان تسمح لنا بالذهاب اليهم ومتى طلبتنا نحضر بين يديك على جناح السرعة

فلما سمع فرخ بخت هذا الكلام اخذهُ العجب والاندهال وبقي ساعة مبهوتاً مندهشاً لا يعلم ان كان ذلك في اليقظة او اضغاث احلام فبقيا على

ركبتيهِ وصلىّ لله تعالى وشكرهُ على ما اولاهُ من النعم وطلب منهُ الأيد والمعونة في سياسة المملكة ثم شكر خالصاً ومخلصاً على ما ابدياه معهُ من الجميل والمعروف واذنهما بالذهاب الى وطنهما فودعاه والدموع تهطل من عيونهما وسارا نحو الوطن وبقي فرخ بخت مدة حياته كلها متذكراً هذين الخليلين ومتعجباً من خلوصهما وقضى حياته كلها راتعاً بالعز والنعم وساهراً على سعادة الرعية حتى اصبح معبوداً منهم لاوصافهِ الحميدة ومزاياه الفريدة

فالان يا قمر السكر اعلمي ان صداقتي تشابه صداقة خالص ومخلص لاني اسعى بسعادتك كما كانا يسعيان في سعادة فرخ بخت وكما ان هذا الامير قد نال بواسطتهما اعظم سعادة فستنالين انتِ ايضاً بواسطتي اوفر حظٍ واجزل نعمة فقومي الان واذهبي الى حبيبكِ ولا تتأخري ساعةً واحدة ائلا تفوتك الفرصة ففرحت قمر السكر وقامت لساعتها قاصدة حبيبها لكنها لما فتحت الستارات قد طلع الصباح واشرقت الشمس فانارت الدنيا فرجعت حينئذٍ خائبة الى مخدعها وقضت ذاك النهار متعذبة بألم العشق والهيام حتى وفد المسآء فعند ذلك تزينت بافخر الملابس ولما ادلهمَّ الليل اتت قفص الببغآء وقالت لهُ: لقد صرت كالميت من غلبة العشق عليَّ لانها آلت بي الى الهلاك ولا ادري ما العمل فاريد من ثم دوآء لوجعي فاجابها الببغآء ان العشق موهبة عظيمة فلا تحسبيهِ بلية اذ اي ضررٍ اتاك او اتى غيركِ منهُ فهو اعظم نعمة اذا استوفى شروط نظامهِ التي منها مراعاة العاشق والحب المجرد عن الغايات وكتم السر: فقالت لهُ قمر السكر: يا مؤنسي في مشقتي ومعزيتي في محنتي ان قلبي قد انتعش من درر كلامك وحفظت جميع نصائحك والله يعلم امتناني منك وانت تعلم يقيناً محافظتي على اسراري لان العاقل من كتم سرهُ وما افشآء السر الا ضرر جسيم لانهُ اذا اطلع احد على اسرارنا فهل يكون من امرنا غير الخيبة وقطع الرجاء من نوال الوصال فاجابها الببغآ: ياسيدتي لقد اصبت في ما نطقت غير ان كثيراً من الناس

خوفاً من ظهور اسرارهم لا يدخلون في طريق العشق ولهذا يجب على العاشق ان يكون شجاعاً لا يخاف الاهوال لان الجبان الذي يخاف بلايا العشق لا يلج طريقهُ ولذلك قالوا: لا يخشي على التاجر الجبان من الخسارة فاذا كنت تخافين على اسرارك فيتأسس الخوف في قلبك ومن ثم لا تنالين مرادك فيجب والحالة هذه ان تتسلحي بالشجاعة ولا تخافي من ظهور اسرارك لانهُ اذا وقف احد عليها فيمكنك ان تدفعي ذلك بحيلة لطيفة لانهُ قيل: لكل داءٍ دواءٌ والحكمة تجلب الدواء لكل الاوجاع ويستدل على صحة ما قلتهُ من حكاية ظريفة زوجة السيد سيار التي ذبحت طاووس الملك فعلم بها اخوها ووشى بها الى الملك فاراد قتلها غير انها تخلصت بحذاقتها من الموت واهلكت الواشي. فسالتهُ قمر السكر: وكيف كان ذلك

حكاية

قال الببغاء: انهُ كان في مدينة طوس تاجر اسمهُ السيد سيار منحهُ الله اوفر غنى واجزل نعمة ولم يرزقهُ ولداً فحزن لذلك حزناً شديداً وكان كلما صادف احداً من اصحابهِ يطلب منهُ دواءً لوجعهِ

فيوماً ما اتى الى بيتهِ طبيب حاذق من اطباء اليونان فاقراه في بيتهِ واخبره عن واقع حالهِ وطلب منهُ دواءً لعقر زوجتهِ فصنع الطبيب دواءً وقال لهُ: يجب ان يجبل هذا الدواء بمرارة الطاووس ويطعمهُ لزوجتهِ في وقتهِ وفي اليوم التالي ودعهم الطبيب وسافر ولكن لم يكن في تلك المدينة سوى طاووس واحد عند الملك وكان الملك يحبهُ بهذا المقدار حتى انهُ لم يكن يسمح بان يغيب عن نظرهِ ساعة واحدة ولما لم يجد السيد سيار طاووساً في تلك المدينة ونواحيها وكانت زوجتهُ المسماة ظريفة تائقة لاخذ الدواء المحكى عنهُ اتفق معها عقب المفاوضة بينهما على اخذ طاووس الملك باي وجهٍ كان وصارا من ثم يترقبان فرصةً لذلك ففي ذات ليلةٍ اتى الطاووس الى بستان بجانب بيت السيد سيار فلما راتهُ ظريفة انحدرت الى البستان وقبضت على الطاووس واتت بهِ الى بيتها

بدون ان ينظرها احد وفي الحال ذبحتهُ وجبلت الدوآ بمرارتهِ ودفنت جثة الطاووس في الارض وبعد ذلك آكلت الدوآ واتت خباء زوجها فرحةً متهللة . هذا وكان لظريفة شقيق اسمهُ عنترة فلشدة فرحها اخبرتهُ عما فعلت اذ لم تتمالك من نفسها كتم سرها

هذا ما كان من امر هذه الامراة واما ما كان من امر الملك فانهُ امر حشمهُ باحضار الطاووس بين يديهِ فافتقدوهُ فلم يجدوهُ ولما اخبروا الملك بذلك حزن حزنًا شديدًا وامر بان يفتشوا على الطاووس وان يرسلوا لكل جهة مناديًا ينادي عليهِ ووعد بالف دينار من ياتيهِ بخبر عنهُ سوآء كان حيًا او ميتًا . فسمع عنترة اخو ظريفة هذا الخبر المتواتر اذ كان مرةً ما في المدينة فتحركت فيهِ عاطفة الطمع ورغب عن اختهِ بالالف الدينار فقام لساعتهِ وذهب الى بلاط الملك وطلب التشرف بمقابلتهِ ليعرض لديهِ انهُ وقف على خبر الطاووس فلما اخبروا الملك بذلك امر باحضاره حالاً بين يديهِ فدخل عنترة اليهِ واخبره ان اختهُ قتلت الطاووس لتصنع من مرارتهِ دوآء للحبل فلما سمع الملك هذا الكلام استشاط غضبًا على ظريفة زوجة السيد سيار وامر بان تقتل جزآء على فعلها . فلما بلغ الوزرآ هذا الخبر تقدموا الى الملك وقالوا لهُ انهُ لا يليق بعظمتك وعدالتك ان تعجل بقتل النفس التي خلقها الله على صورتهِ واذا قتلت هذه الامراة قبل ان تحقق ذنبها بالفحص المدقق فتكون قد خالفت الشرع الشريف ولا يليق ان تصدق حالاً كلام هذا الرجل لانهُ ربما يكون قد تكلم بذلك لغرضٍ ما فالاجدر بنا اذًا ان تحضرهُ بين ايدينا ونستنطقهُ مدققًا فان كان قولهُ صحيحًا فتجازي الامراة بما تريد والاَّ فتعاقب هذا الرجل حسبما يستوجب جرمهُ . فاستحسن الملك هذا الراي وسكن غضبهُ قليلاً فدعا عنترة وقال لهُ : ايها الفتى قد قررت لي ان اختك ظريفة ذبحت الطاووس فان كان ذلك صحيحًا فاني اعطيك الف دينار كما وعدت بهِ والا فاقتلك شر قتلة عوضًا عن اختك فاجابهُ عنتر : يامولاي ان

اختي نفسها اخبرتني بذلك فان لم تعتقد بكلامي هذا عين رجلين تعتمد عليهما حتى يذهبا معي وانا اخفيهما في محل ما واخاطب اختي بهذه الواقعة واجعلهما يسمعان اقرارها من فمها فعين له الملك معتمدين من ذوي الامانة وامرهما ان يتبعاه الى المحل الذي يشا فاخذهما عنتر وانصرف من عند الملك ووضع كلاًّ منهما في صندوق وحملهما الى اثنين من الحمالين واتى بهما الى بيت اخته وقال لها يا اختي الحبيبة قد عنَّ لي ان اسافر الى بلدة بعيدة فخذي هذين الصندوقين اللذين فيهما اشياء ثمينة واحترسي عليهما غاية الاحتراس حتى اعود من سفري ثم جاس يتكلم معها وينتقل من حديث الى اخر حتى عرضا بذكر الطاووس فقال لها عنتر: يا اختي العزيزة اذا ولدت ولدًا ذكرًا فلا غرو ان جميع اهل المدينة يفرحون بذلك غير انني تعجبت كيف انكِ ذهبت في نصف الليل وكيف امكنك ان تمسكي الطاووس فهل امسكتهِ بيدك ام امسكهُ لك احد وحيث لما قصصتِ عليَّ الخبر كان فكري مشغولاً فاعيدي عليَّ ذكر هذه الواقعة التي ادهشتني فاخذت ظريفة تخبرهُ بما فعلت وكيف انها ذبحت الطاووس واكلت مرارتهُ الا انها عند ذلك ارتابت بسوال اخيها هذا الاسيما لما نظرتهُ مصغيًا اليها بما لامزيد عليهِ وخافت مكيدة اضمرها عليها ولهذا استدركت كلامها قائلةً: وحيث كان الصباح قريبًا استيقظت من نومي متهللة وكنت منذ ايام اشعر بالحبل فهذه الروءيا تدل على انني سالد ولدًا جميل الصورة لانني رايت في المنام طاووس الملك مزينًا ولا شك ان هذا يدل على خير العاقبة كما افاد المعبرون. فقال لها عنتر انك قبلاً قلت لي ان هذا الخبر كان واقعيًا فهل كان في اليقظة او في المنام. فاجابتهُ ظريفة يا اخي انت تعلم انني غير قادرة على ذبح عصفور فكيف يمكنني ان اذبح طاووسًا ولا سيما طاووس الملك فانني لا اذبحهُ ولو كانت مرارتهُ تحييني الى الابد واما انت فلا تشغال افكارك لم تفهم ما حكيتهُ لك وظننت انهُ كان في اليقظة مع انهُ لو سمعك احد تتكلم بهذا الكلام لسخر بك لانهُ ضرب من المحال. فلما

سمع عنترة هذا الكلام طار عقلهُ وارتعدت فرائصهُ من الخوف واما معتمدا الملك فخرجا عند ذلك من الصندوقين وقبضا على عنترة واقتاداه الى مجلس الملك وقررا لهُ كل ما سمعاه من ظريفة واخبراه بانها رات في ا نام الطاووس مذبوحًا وليست هي ا التي ذبحتهُ فعند ذلك تاكد الملك ان ما عزاه عنترة الى اختهِ هو محض افترآ ونميمة وانما فعل ذلك طمعًا بالمال فغضب عليهِ الملك وامر بقتلهِ وانعم على ظريفة بانعامات وافرة

فالان يا قمر السكر انهُ ينتج من هذه الحكاية ان الظرفا ذوي الفطانة يتخلصون من اعظم البلايا بالحيل المستظرفة لان ظريفة لو لم تسلك هذه الحيلة لهلكت لا محالة فانت تعلمين من هذه الحكاية فوائد الاحتيال واعملي بها عند اللزوم لانهُ قيل : طريق العشق كلها آداب ولكن حذار من ان تظهري بعض حركات يستدل منها انك عاشقة بل احرصي على نفسك وسرك لانهُ متى شاع سرك فتكثر عنك الاحاديث فتتقاطر عليك العشاق ولا تعودين حينئذٍ مخيرة في قبول من تريدين و يصيبك عند ذلك ما اصاب ابنة الزاهد التي اعرضت عن الثلاثة الشبان اللذين طلبوها وتخلها منهم زهدت في الدنيا وانقطعت عن العالم . وسالتهُ قمر السكر : وكيف كانت هذه الحكاية

حكاية

قال الببغا : انهُ كان في احدى مدن خراسان زاهد منقطع عن الدنيا وكان لهُ زوجة وولد وابنة اسمها جميلة فيومًا ما عزم على الذهاب الى الحج فجمع زوجتهُ وابنه وقبل ان يودعهما قال لهما : ان ابنتنا والحمد لله قد بلغت درجة الرشد والكمال وصارت اهلاً للزيجة فاذا طلبها حال غيابي شاب يليق بها فزوجاها ولا تنتظراني لانهُ يحتمل ان لا اعود من سفري . قال هذا وودَّع اهل بيتهِ وسار مسافرًا مع القافلة فبينما كان يومًا ما سائرًا في الطريق صادف شابًا يدعى نجيبًا فرافقهُ وبقي سائرًا معهُ مدة طويلة لم ينظر فيها من اطوارهِ وطباعهِ الا كل ما يسر الخاطر فبقي معهُ حتى وصلا الى مكة المكرمة فحج معهُ

وزوجة ابنته

وبعد ان سافر الزاهد الى الحج سافر ابنه الى بلدة قريبة لجلب البضائع فصادف في سفره شاباً جميل الصورة سهل الطباع اسمه ظريف وبعد ان صاحبه مدة زوجه اخته جميلة المار ذكرها

واما زوجة الزاهد التي كانت باقية في البيت فقد عثرت ايضاً على شاب جميل الصورة اسمه نظيف فزوجته ابنتها وتوقف زفاف الابنة لرجوع ابيها من الحج واخيها من سفره ولم تمض بعد ذلك الا ايام قليلة حتى رجعا من سفرها ومع كلٍ منهما الصهر الذي عثر عليه فاجتمع في ذلك اليوم في بيت الزاهد ثلاثة اصهار فعند ذلك تكدر الزاهد واهل بيته ولم يجدوا حيلة يتخلصون بها من هذا المشكل ولما نظر الاصهار بعضهم بعضاً تحيروا من هذا الامر وصار كل منهم يدعي الابنة زوجة له. فقام نجيب وقال: ان هذه الابنة قد زوجني اياها ابوها الذي هو وليها وعلة وجودها فانني اذاً اولى منكم ثم قام ظريف وقال: انا اولى منكما لان اخاها زوجني اياها باذن ابيها الذي وكله بذلك. فاعترضه نظيف وقال: ان كلامكما جزاف لا معنى له ودعواكما باطلة لان اباها قد وكل امها بتزويجها فزالت من ثم سلطته عليها وهي اي امها قد زوجتني اياها ولا شك بان سلطتها اقوى من سلطة الاخ فلا تطمعا بها اذاً لانها زوجتي قسمها لي الحق سبحانه منذ الازل. فعند ذلك اشتد الخصام بينهم وبقي الزاهد واهل بيته في حيرة عظيمة فشاع هذا الخبر في المدينة وتناقلته الناس فحزنت جميلة من ذلك حزناً مفرطاً اوصلها الى درجة الموت فاعتراها مرض عضال من تاثير الحزن وبقيت على هذه الحالة خمسة عشر يوماً وفي ليلة ما اشتدت عليها سكرات الموت فقضت نحبها وانتقلت من دار الفناء فحنطها ابوها وامها بالبكاء والنحيب ودفنوها بالاكرام واما طلابها فقد اعتراهم حزن شديد ولما ظل المساء اتفقوا بان يذهبوا الى قبر الابنة ليزوروها وبينما كانوا سائرين في الطريق قال نجيب لرفيقيه: انني قد

المستغرب لان خالصاً ومخلصاً من اعز اصحابي وقد رافقاني في حال نكبتي ومشقتي فكيف يليق بهما ان يتركاني حال سعادتي وعظمتي وانا لا اطيق لوعة فراقهما لانهما سبب نعمتي ودولتي فلا اسمح لهما ابدًا بان يبتعدا عني فلما سمع مبارك مقالة كلامهٔ وفهم اصراره على ابقاء خالص ومخلص عندهُ علم انهُ ان لم يخبرهُ عن اصلهما فلا يدعهما ان يفترقا عنهُ فلهذا نظر اليهِ وقال: يا مولاي لا خفاك انك لما كنت هاربًا من وجه اخيك وسائحًا في البراري التقيت في احدى الصحارى بسائح عليهِ سمة الوقار وعلامة الابتهاج فهذا السائح هو جمال الدين الهمداني المرشد الرباني الذي كان لك عونًا وغوثًا من رب العالمين فسقاك كاس السعد والشجاعة وبدعائهِ بلغت ذرى المجد والكرامة وذلك بعناية الاله المتعال الذي اعد لك هذه السعادة منذ الازل . واما انا فقد رافقتك اياماً كثيرة وخدمتك خدمة نصوحة لكنك للان لم تعرف من انا ولا ارى من ثم ان اخفي عليك ذلك فانا صورة طالعك وسعدك ارافقك الى الابد ولا افترق عنك لحظةً واحدة غير انني مذ اليوم لن اعد اظهر لك لان سعدك قد تم ونلت كل ما ترغب فيهِ واما خالص ومخلص فهما يخبرانك عن اصلهما قال هذا وتوارى عنهُ ولم يعد ينظرهُ فتعجب فرخ بخت واخذتهُ الحيرة والاندهاش ساعة من الزمن ثم دعا خالصاً ومخلصاً وسالهما عن اصلهما فاجابهُ خالص: يا نور العالم اننا نحن عبيدك من طائفة الجن وكان بيننا بغض وعداوة من شأنها ان تفني الفريقين لان كلاًّ منا كان يسعى في اهلاك الآخر غير ان لطفك قد بدل هذه العداوة صداقة متينة ولكي نكافيك على ذلك قد تقمصنا بصورة بني آدم وتقيدنا بخدمتك لندرك بك ذرى العظمة والسعادة وحيث قد اضحيت الان في غنى عنا ومن مدة طويلة لم نشاهد اهلنا فنرجوك ان تسمح لنا بالذهاب اليهم ومتى طالبتنا نحضر بين يديك على جناح السرعة

فلما سمع فرخ بخت هذا الكلام اخذهُ العجب والاندهال وبقي ساعةً مبهوتًا مندهشًا لا يعلم ان كان ذلك في اليقظة او اضغاث احلام فبثنا على

نجيب وقال : انا اولى منكما بهذه الابنة لانهُ لم يفتكر احد بزيارة قبرها سواي فانا الذي اخرجتها من اللحد ولولاي لما نظرتماها ابدًا وقبل حضورنا الى هذا المحل اعترفتما باني اولى منكما بقولكما لي اذا جئت قبرها فتكون اهلاً لها فانتصب حينئذٍ ظريف كالافعوان وقال : انهُ لحقيق انك جئت قبرها وتفقدتها ولكن اية فائدة جنيتها من ذلك لانك وجدتها ميتة وانا الذي عرفت بان لم يزل فيها اثر حيوة وشفيتها بحول الله تعالى وحيث قد كنت سبب حياتها فلا ريب بانني اولى بها منكما ثم قام نظيف وقال : انهُ لحقيق بان نجيبًا افتقد الابنة واخرجها من لحدها وان ظريفًا عرف مرضها ووصف لها الدواء الشافي ولكن من الذي اجرى العمل سواي الست انا الذي علقتها على الشجرة وضربتها ضربًا اليمًا حتى شفيت ولولا ذلك اي نفع كان من اخراجها من اللحد ومن معرفة دائها فكفنا النزاع لانني اولى منكما بهذه الابنة قال هذا واشتد بينهم الخصام حتى افضى بهم الامر الى ان تهيأوا للمبارزة والطعن وعند ذلك اصبحت جميلة بينهم كالحمل بين الذئاب ولما رات ذاتها عاجزة عن ردع هولاء العشاق بكت وناحت وقالت لهم : يامعشر المسلمين انني لما كنت حية ابتليت منكم كما ابتلي ايوب باوجاعهِ لانكم اذقتموني مرّ المزاق وقد اصابني ما لم يصب قط مخلوقًا لان الانسان بوفاتهِ ينجو من بلاياه واما انا فلم اتخلص بوفاتي من شركم بل احييتموني حتى تعذبوني فارجوكم الان ان تردوني الى ابي وامي وبعد ذلك افعلوا بي ما تريدون لانني ارد روءيتهما قبل كل شيء . فحينئذٍ قام نجيب ورفيقاهُ واخذوا الابنة وسلموها الى والديها واخبروهما بما كان من امرها . فلما نظرا ان ابنتهما ردّت الى الحيوة خرّا ساجدين وشكرا الله تعالى على انعامهِ وفرحا فرحًا عظيمًا واما الابنة فنظرت الى والديها وعشاقها وقالت لهم : ان الله تعالى نظر اليّ بعين الرحمة ومن كرمهِ منحني حيوة جديدة فيجب عليّ اذًا شكرًا لهذه النعمة الجزيلة ان انقطع عن الدنيا وانعكف على عبادتهِ تعالى . قالت هذا وفي الحال حلقت شعر

راسها ولبست كسا الزهد وذهبت الى صومعة صغيرة واقامت فيها مواظبة على العبادة فنالت من الله نعماً وافرة وقضت حياتها بالبر والورع

فلما افضى البغا الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال: هل ترغبين انت ياسيدتي ان تقتفي اثار هذه الابنة فاذا كنت ترغبين في الانقطاع عن هذه الدنيا ولذاتها الفانية فهذه محمدة يندب اليها ولكن فلا يطلب منك ذلك بل انما المطلوب الان ان لاتتاخري عن الذهاب الى حبيبك فقومي اذاً واذهبي اليه على جناح السرعة لانه يخشى غضبه من هذه المماطلة ولا يمكنك انت ايضاً ان تطيقي ما تقاسيه من الهجر والفراق لان عاقبتها وخيمة فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام قامت لساعتها فرحة لكنها لما فتحت الباب رات الصباح قد طلع واشرقت الشمس كما اشرق وجه جميلة المار ذكرها فتاخرت الى الليلة التالية ورجعت الى حجرتها حزينة باكية وبقيت على هذه الحالة حتى وفد المسا فتزينت وتبرقشت واتت قفص البغا وقالت له: طوباك ايها البغا لانك خال من العشق ولولا ذلك لكنت عرفت ما في باطني من الحسرة والتأسف اللذين ادركاني درجات الموت . فاجابها البغا: ياسيدتي كيف تقولين انني جاهلة امور العشق وحقيقته فحاشاي ذلك لان الذي لايدري امور العشق فليس في الدنيا على شيء وهو اشبه بالحمار اما سمعت حكاية امام جامع بايزيد قدس الله سره وما توقع له لما كان على المنبر يعظ المواعظ النفيسة . فسالته قمر السكر: وكيف كان ذلك

حكاية

قال البغا: ان امام جامع بايزيد صعد يوماً ما المنبر وخطب في جماعة من المسلمين فسرّتهم فصاحته واعجبتهم بلاغته وفي اثنا خطابه اتى مهرّج ودنا من المنبر وقال له: ايها الخطيب الفصيح المرشد الى السعادة ان كلامك ينير الناس كما ان الثريا تنير المسافرين وقد دنوت منك لارجوك في امرٍ مهمٍ وهو ان حماري فقد مني ولا ادري الى اين ذهب فاذا كنت تعرف من اخذه

فارجوك ان تامرهُ بان يردهُ لي . فاجابهُ الامام ببشاشة . اصبر قليلاً تجدهُ ثم اخذ يتلو على الحاضرين خطاباً نفيساً وفي اثناء الكلام نظر اليهم وقال : يا امة محمد هل منكم من هو خالٍ من العشق فاذا وجد منكم احد كذلك فليقم واقفاً حتى اراه فحينئذٍ قام شيخ طاعن في السن ونظر الى الامام بكل خشوع وقال : ايها الامام الاعظم ان عبدك هذا منذ خلق حتى بلغ درجة الشيخوخة لم يعشق احداً ولا يدري ما هية العشق وحقيقتهُ فارجوك ان تخبرني ما هو فعند ذلك نظر الامام الى المهرج وقال له : ايها الرجل هذا حمارك فخذهُ واذهب بهِ الى المربط

فعند ذلك نظر الببغا الى قمر السكر وقال لها . انهُ ينتج من هذه الحكاية فائدة عظيمة وهي ان الذي يجهل العشق واحوالهُ ليس في الدنيا على شيء لان العشق يهذب الاخلاق ويعلم الصبر الذي هو داب الرجال ويحملهُ على العزائم التي هي منازل الابطال ولا يخلو من هموم العشق الا من قلَّ عقلهُ لان من قلَّ عقلهُ قلَّت همومهُ وقد قال الشاعر

اذا قلَّ عقل المرء قلت همومهُ ومن لم يكن ذا مقلة كيف يرمدُ

هذا وقد ظننتني خالياً من العشق مع ان ذلك وهم منك لانني ادرى بهِ من كل الخلائق ولكن ما لنا ولذلك فخذي مني نصيحة واحدة بها تدركين غاية الوطر وهي يجب ان يكون قلبكِ مضطرماً بنار العشق ولكن حذار من الطمع لان على العاشق ان يتصف بالقناعة واذا استحوذ عليهِ ألم عظيم من هجر حبيبهِ وصعب عليهِ نوال وصالهِ فلا يجمل بهِ ان يكون شديد الحرص على ذلك وان يجد في طلب الدواء بلجاجة وعليهِ فلا تكوني لجوجةً حتى اذا نلتِ وصال حبيبك ولم تعجبك خصالهُ يمكنكِ ان تعرضي عنهُ بسهولة وتسعي بالرجوع الى بيتك فاياكِ اذاً والحرص لان الحريص محروم ولله درُّ من قال

شعر

اياك والحرص ان الحرص متعبة وان فعلت فراعِ القصد في الطلب

قد يرزق المرء لم تتعب رواحلهُ ويحرم المرء ذو الاتعاب والسفرِ

وعليهِ فان الحرص مذموم وعاقبتهُ البوار لان التاجر صدري لم يقع في يد الاسد الآمن طمعهِ الذي كان سبب هلاكهِ . فسالتهُ قمر السكر: وكيف كانت تلك الحكاية

حكاية

قال الببغا: انهُ كان في احدى مدن كجروان تاجر اسمهُ صدري وبعد ان كان على غنىً عظيم حكمت عليهِ التقادير الربانية بالاملاق واضحى في حضن الفقر والفاقة حتى عجز اخيرًا عن اود معاشهِ اليومي وكاد يموت جوعًا هو وعيالهُ فيومًا ما قصد السفر الى بلاد الناس ليجد في طلب الرزق لان في الحركة بركة فسار مسافرًا حتى افضى الى غابٍ شاسع يسكنهُ اسد كاسر من مدة طويلة ولم يكن احد يتجاسر ان يمر في ذلك المحل لان كثيرًا ما فتك الاسد بالمسافرين فاتفق بالقضآء والقدر انهُ كان وقتئذٍ عند الاسد الثور والأيل اللذان كانا من اخص وزرآئهِ وكان الاسد يحبهما حبًا شديدًا وكان دابهما ان يرشدا الاسد الى الحق والرحمة فلما اقبل صدري على الاسد نظر اليهِ هذا ساخطًا فارتجف صدري خوفًا ورعبة لانهُ ايقن بالهلاك ووقف مبهوتًا متحيرًا لا يتجاسر ان يتقدم الى الامام ولا ان يرجع الى الورآء لانهُ ان تقدم قتلهُ الاسد وان رجع هاربًا فيتبعهُ ويقطعهُ اربًا اربًا واما الثور والاسد فلما وقع نظرهما على هذا المسكين ترأفا عليهِ واعتنما بالحيلة لانقاذهِ فتقدما الى الاسد وقالا لهُ: نسال الله ايها الملك العظيم ان يحفظ لنا وجودك الشريف من كوارث الدهر وطوارىء الايام ولا ريب ان الله يستجيب دعانا ويطيل بقاءك لرحمتك العظيمة التي شملت ليس فقط الحيوانات التي من جنسنا بل ابن آدم ايضًا الذي هو عدونا الالد وقد اشتهر ذلك في سائر الاقطار حتى ان هذا الرجل الواقف امامك قد بلغهُ ما انت عليهِ من الرأفة والرحمة نحو البائسين فقصدك بوفور الامل ليستمد منك الاحسان وهو الان واقف

هناك لا يتجاسر ان يدخل عليك خوفاً وهيبةً فان شئت فمرهُ ان يدخل . فلما سمع الاسد هذا الكلام فرح فرحاً شديداً وامر الثور والآيل بان يحضرا صدري بين يديهِ فاحضراهُ فقبل صدري الارض ودعا للاسد بطول البقاء ولم يعد يتكلم بشيء من الخوف والرعبة فرق لهُ الاسد واشار اليهِ بعلامة الانس واجلسهُ بين يديهِ ودعا خدمهُ بان ياتوهُ بالحلي والجواهر والاموال الوافرة التي كان قد سلبها من القوافل والمسافرين فاتوا بها ووضعوها امام صدري فحينئذٍ امرهُ الاسد ان يختار منها ما يشاء وان ياخذ ما يريد . فلما نظر صدري هذا الالتفات زال خوفهُ وكاد يطير من الفرح فاقتادهُ الطمع ان ياخذ من ذلك شيئاً كثيراً لا يقدر على افنائهِ وان عاش دهراً وبعد ذلك لبد عجاجته وسار مسافراً الى وطنهِ فوصل الى بلدتهِ ووفى ما كان عليهِ من الدين من الاموال التي اتى بها من عند الاسد وبقي معهُ شيء كثير لا يحصى فدفنهُ في احدى زوايا البيت وبقي عائشاً مع زوجتهِ بارغد عيش واتم هناء

فمضت على هذه الحالة ايام وشهور واعوام ولم يحدث لهُ ما يقلق بالهُ غير انهُ اخيراً تحركت فيهِ شهوة الطمع ولما تامل بما نالهُ من الحظ الوافر ندم اشد الندامة لكونهِ لم ياخذ كل ما كان عند الاسد من الجواهر والاموال وعزم من ثم على الرجوع الى الاسد لياخذ كل ما كان باقياً عندهُ من الاموال فقام لساعتهِ وسار مسافراً قاصداً المحل المعهود لكنهُ لم يكن يعرف الحيل الواجب الاعتصام بها عند وقوع المحذور ولم يكن يعلم ان عاقبة الطمع وخيمة والحاصل انهُ بعد ان سار اياماً طويلة افضى الى المكان المعهود وتقدم بين يدي الاسد بكل دالة وشجاعة وكان يومئذٍ عند الاسد من ندمائهِ الذئب وابن آوى المجبولين على الشر والقساوة لان داب الاول الخبث والثاني المراوغة وكانا يقودان الاسد الى الشر فلما نظرا هذا التاجر مقبلاً على الاسد تقدما اليهِ ولكي يحركا غضبهُ عليهِ قالا لهُ : ياسلطان السباع لماذا تتغاضى عن المحافظة على حقوقك ولا تحمي اطراف المملكة من وطء العدو لان ابن آدم الخادع

الماكر قد اتى بكل جسارة الى مقر سلطنتك بدون استئذان وهذه اهانة عظيمة فلا تدع من ان تجازيه بما يستحقه لانه لا يليق بك ان تتغاضى عن ذلك ثم انه اذا تركته على هذه الحالة يتجسس احوالنا فلا ريب انه يخوننا و يوبقنا لان شيمته المكر والخداع فاذا تغاضيت عنه فتحملة الدالة على ان ياتي بخيانة عظيمة تفضي بنا الى الهلاك والبوار فيجب اذًا ان نقتله حتى لا يعود الى وطنه فائزًا ويرجع فيما بعد يتجسس احوالنا ولم يزالا يتكلمان بمثل هذا الكلام حتى اوغرا صدر الاسد وحركا حفائظه فقام لساعته ووثب على صدري واراد ان يمزقه تمزيقًا واما صدري فانه لما راى الذئب وابن آوي قد اغريا الاسد على قتله ولم يكن وقتئذٍ الثور والإبل حاضرين حتى يشفعا به خاف خوفًا شديدًا اذ تيقن هلاكه بسبب طمعه ولشدة خوفه هرب من وجه الاسد وصعد على شجرة عالية لينجو من الهلاك ولكن كان ذلك سببًا لازدياد غضب الاسد واخذ يضرب الشجرة برجله ليوقع التاجر عنها وكان لكل ضربة تهتز الارض التي حواليها

وفي اثنا ذلك اتى الثور والإبل المجبولان على الرافة والرحمة اللذين انقذا صدري من الهلاك ولدى وصولهما توارى الذئب وابن آوي لان الاولين كانا اخص منهما عند الاسد فلما نظرا ما اصاب صدري علما ان رغبته في احتشاد الاموال جعلته ان يعود الى الاسد وان الذئب وابن آوي حركا حفائظه عليه وتاكدا حينئذٍ بان لا بد من قتله فتحركت فيهما شعائر الرحمة واخذا من ثم يبذلان الجهد والعناية في انقاذ صدري المنكود الحظ فتقدما الى الاسد وقبلا الارض امامه ولاطفاه بالكلام ثم سجد الثور بين يديه وقال له : ياسلطان السباع ما الذي اهاج غضبك على هذا المسكين الذي لم ياتِ الى هنا الا ليفتقدك ويؤدي الشكر والثنا لعظمتك الملوكية لما انعمت عليه سابقًا من النعم الوفيرة لانه حسن الطوية وخلاص المودة والنية لم ينس جميلك ولم ينكر عميم افضالك وحيث نحن عبيدك ترافت علينا واقمتنا في خدمتك

وخولتنا الرضا والالتفات واستجبت التماسنا مرارًا عديدة فنرجوك ان تعفو عن هذا الرجل البري الذي لم يرتكب اثمًا يوجب قتلهُ بل انما اتى الى هنا ليشكرك على انعامك فكيف تقتل البري وعفوك قد شمل المذنبين وفاقت رحمتك بالاشتهار على الشمس في رابعة النهار فاكتسبت بذلك رضاء الله تعالى وثنا الخلائق فالانسان يستصبح بحمدك والحيوان ينشد شكرك والطير يدعوك بطول البقا لانك واصلتهم بالمعروف وعاملتهم بالاحسان • ثم قام الايل وقال: وليس هؤلا فقط يدعون لك بطول البقاء بل والملائكة ايضًا وما ذلك الا لما انت عليهِ من التحنن وكرم السجايا فاقبل رجاءنا اذًا نحن عبيدك اللذين لم نطلب منك نعمةً الا وقد نلناها واذا عفوت عنهُ فالله يعفو عنك في الدنيا وفي الاخره

فلما سمع الاسد كلام هذين الخادمين النصوحين سكن غضبهُ ورجع عن غيهِ وقال لهما: جزاكما الله خيرًا ايها الخلان الحبيبان لانني لولاكما لكنت ارتكبت اثمًا فظيعًا بقتلي هذا البري فمن ثم اريد منكما ان تعاهداه على نفسهِ وحياتهِ وتعطياه الامان من قبلي اذ ان الله اتاه نعمةً ورحمةً في عينيَّ لانهُ بري واوصياه بان يثابر على الدعا بطول بقائي وتأييد دولتي . قال هذا وانصرف عنهما راجعًا الى مقره

فعند ذلك قام الثور والأيل وانيا التاجر صدري وانزلاهُ من الشجرة وهو بحالة يرثي لها من شدة الخوف فلاطفاه بالكلام وارسلاه الى بيتهِ فانصرف عنهما شاكرًا حامدًا لانهُ لولا شفقتهما لمات شر ميتة

فالان ياقمر السكر قد اتضح لك من هذه الحكاية ان الطمع وخيم العاقبة لان مصائرهُ ذات خطرمين وكثيرًا ما اورد المؤرخين مثل هذه الحكايات ولولا خشية الاطالة لكنت اقص عليك شيئًا كثيرًا من ذلك فحذار اذًا من ان تطمعي بالوصال حتى لاتذل قدمك لان خمر الوصال يسكر الانسان ويكسف عنهُ افادة العقل ومتى نلت وصال حبيبك فلا

تكفي عندهُ زماناً طويلاً بل ساعة واحدة فقط حتى لا يشبع عاشقك من لذة الوصال فيزول شوقهُ . ومن آداب العشق ان لا تتكلمي الا بقدر اللزوم ويكون كلامك دالاً على عقلك وحذاقتك لانهُ قيل : خير الكلام ما قلّ ودلّ ومنهُ ينتج انهُ يجب عليك ان تجتنبي الكلام الفارغ والرياء لان عاقبتهما وخيمة جداً وذلك لئلا يصيبك ما اصاب مهزار زوجة عاصم وزير ملك تبريز التي كانت ترتكب جميع الفواحش وتتظاهر امام زوجها بالصون والعفاف لكنها بعد ان قضت سنين عديدة على هذا المنوال كشف سرها وظهرت طويتها ونالت جزاءَ فعالها . فسالتهُ قمر السكر : وكيف كانت هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاءُ زعموا انهُ كان في قديم الزمان في مدينة تبريز ملك عظيم الشان وكان لهُ وزير سليم القلب والنية اسمهُ عاصم وكان هذا الوزير عاقلاً حكيماً ومستقيماً فهيماً ولهذا السبب اقامهُ الملك وكيلاً مطلقاً على مملكتهِ فاحسن تدبير مهامها وواصل الرعايا بالمعروف والاحسان حتى اصبحوا حسدةً للحاسدين ودهشةً للناظرين

فيوماً ما اتي تلك المدينة وفدٌ من قبل ملك الهند فاستقبلهُ عاصم بكل ترحاب واضافهُ في بيتهِ اذ كان يضيف عندهُ معتمدي الاجانب وكان كل يوم يصنع لهم وليمة فاخرة ويجمع اصحاب المعارف والفنون والملاعب وكان كل منهم يعمل على شاكلتهِ . ففي ذات ليلة صنع وليمةً على الوجه المشروح للوفد المار ذكرهُ ودعا اليها كل من تقدم ذكرهم ومن جملتهم احد ندماء الملك المدعو كلفشان الذي من جملة مزاياه انهُ اذا حضر مجلس اللهو واخذ يضحك يتناثر الورد من فمهِ بامر الله تعالى وهذا من اهم الامور واغربها فلما بلغهُ دعوة الوزير لباها لساعتهِ لكنهُ بينما كان سائراً في الطريق صادف رجلاً قبيح الصورة شنيع المنظر حتى ان من رآهُ مرةً كان يخاف من ان يراه ثانيةً وكان يرقص ويضحك متهللاً ويصفق بيديهِ طرباً فتعجب كلفشان من ذلك وقال بنفسهِ

عجبًا اية سعادة نالها هذا الرجل حتى استحوذ عليهِ هذا الفرح العظيم ولم يكن احد منهما يعرف الاخر فتقدم اليهِ كلفشان ولم يكن احد في الطريق غيرهما وسالهُ عن سبب سرورهِ فاجابهُ قائلاً: كيف لا اكون مسرورًا ولا ارقص فرحًا وطربًا وقد بلغني بهذه الليلة ان الملك اتاهُ وفدٌ من قبل ملك الهند وان الوزير الاكبر قد دعا الى دارهِ اصحاب المعارف والفنون ومن جملتهم كلفشان نديم الملك ولا ريب انهُ يبقى في الوليمة اربعة او خمسة ايام ويستمر بيتهُ خاليًا ليس فيهِ الاَّ زوجتهُ التي بيني و بينها محبة ووداد عظيم من زمنٍ قديم وللآن لم اغتنم قط مثل هذه الفرصة فكيف اذًا لا اكون فرحًا مسرورًا

فلما سمع كلفشان كلام هذا الرجل وعرف غايتهُ طار عقلهُ من الحيرة والدهشة حتى اصبح كالجماد وكاد يموت لشدة حزنهِ غير انهُ حيث كان عاقلاً اسر الامر في نفسهِ وانصرف عن هذا الرجل وتركهُ ريثما بعد عن نظرهِ ودلف اليهِ بحيث لا يراه قاصدًا الرجوع الى بيتهِ ليحمي امراتهُ عن ارتكاب الفحشاء الا وقد وفد عليهِ حشم الوزير والحوا عليهِ بالذهاب اليهِ حالاً فطاعهم خشية من الوزير واتى معهم مجلس الصفا والانشراح فلما نظرهُ الوزير دعاهُ اليهِ وامره ان يضحك حتى يتناثر الورد من فمهِ لكنهُ حيث كان حزينًا كئيبًا فلم يتمكن من فتح فيهِ للضحك فالح عليهِ الوزير وتوعدهُ باشد القصاص ان خالف امره فلم يضحك بل كان يزداد حزنهُ فغضب عليهِ الوزير وطردهُ من امام وجههِ و بعث يخبر الملك بما كان من امره وانهُ اصبح مخجولاً من الوفد لعصاوة كلفشان وتمرده فغضب الملك من ذلك وقال: انما نقيد هذا الرجل بخدمتي لمثل هذا العمل فكيف يتجاسر على مخالفة امر وزيري الذي اعتمد عليهِ فحقًا انهُ رجل خائن يستحق جزآءً صارمًا. قال هذا وانهى الى الوزير بان يطرحهُ في السجن فامتثل الوزير امر الملك وفي الحال ارسل كلفشان الى السجن فغللوهُ بالقيود وتركوهُ وحده باكيًا نائحًا وازداد حزنهُ حيث كان في شر فاصبح في شرين فصار يتفكر في عاقبة امره خائفًا بان يأمر الملك بقتلهِ

فنظر الى العلا وقال : الهي انت تعلم السر والخفا ومن ثم تعرف ما في باطني من الوجع الاليم فان الملك بدلاً من ان يطلبني بين يديه و يسالني عن سبب مخالفتي امر الوزير وضعني في السجن دون ان يفحص عن السبب وربما لا يكتفي بحبسي بل يقتلني ايضاً فارثِ لحالي يا الهي وانقذني من الموت لاني بري٠٠ ثم انهُ جلس في شباك السجن الذي كان يشرف على البحر واخذ يبكي و ينوح و بينما كان على هذه الحالة وقع نظرهُ بغتةً على زورق في البحر وفيهِ رجل فامعن النظر فيهِ وصار يراقب سيره حتى وصل الى قبالة الشباك الذي كان جالساً فيهِ حيث كان حرم الوزير في علو السجن وكان للوزير زوجة اسمها مهعزار وكانت جميلة جداً وقد ابتلت بعشق جلاد الملك الذي كان في الزورق ولما راتهُ قد دنا من حائط القصر تدلت بحبل من الشباك وانحدرت اليهِ فاخذها ووضعها في الزورق واخذ يلاطفها و يغازلها ولم يكن احد ناظراً اليهما سوى كلفشان الذي لما راى ان زوجة الوزير اعرضت عن زوجها وهوت من لا يستحق ان يكون لهُ عبداً اخذه العجب العجاب ولما راى الجلاد يغازلها و يفعل غير ذلك لم يتمالك من ان يضحك فصار حينئذٍ ينثر الورد من فيهِ حتى امتلأ السجن وصار كروضٍ مزهر

هذا وكان السجان مراقباً كلفشان حسب امر الوزير فلما نظرهُ ضاحكاً تعجب منذهشاً وقال في نفسهِ : سبحان الله لا ريب ان هذا الرجل مجنون لانهُ وضع في السجن لكونهِ لم يضحك وقد الحّ عليهِ الوزير وتوعدهُ بالقصاص فلم يفعل فكيف الان يضحك ضحكاً شديداً وهو في محل الهلاك قال هذا وذهب الى الوزير ليعلمهُ بذلك لانهُ كان قد امرهُ بان يخبرهُ عن كل ما يفعلهُ كلفشان فلما عرف الوزير ما كان من امر كلفشان تعجب واندهش و بعث يخبر الملك بذلك فتحير من هذا الامر وقال : لا يخلو هذا من سرٍ عجيب وامر الوزير بان يامر السجان ان يترقب كل ما يفعلهُ كلفشان و يخبرهُ بهِ

و بعد يومين انحدر الوزير عاصم الى بستان الحريم مع زوجتهِ لاجل

التنزه وكان معها عدد من الجواري الحسان وبعد ان تنزها قليلاً اخذ الوزير يلاطف زوجتهُ والجواري واقفة مكتوفة اليدين امامها ثم ذهبت احداهن وقطفت ضميمة (اي باقة) من السنبل والبنفسج والنرجس والريحان وقدمت ذلك للوزير ووضعتهُ بين يديهِ . فلما وقع نظر مهعزار على هذه الزهور استحت منها واسبلت الغطاء على وجهها فعند ذلك نظر اليها الوزير وسألها عن سبب ذلك . فاجابتهُ : الا تعلم يا سيدي اني لا اريد ان ينظر الى جسدي الطاهر شيء ما في الدنيا لانهُ مختص بك فقط وحيث قد نظرتهُ عين النرجس فقد تحجبت عنها . فلما سمع الوزير كلام زوجتهِ فرح فرحاً عظيماً وسر منها جداً اذ تيقن انها على جانب عظيم من الطهارة فاحبها حباً شديداً وشكرها على عفافها

هذا وكان في ذلك المحل قفص فيهِ بلبل فلما سمع هذا الطائر كلام مهعزار ضحك ضحكاً شديداً وكان ذلك بامر الله تعالى ليظهر خبث هذه الامرأة فسمعهُ الوزير وزوجتهُ وكل من كان حاضراً واخذهم العجب العظيم فخجلت مهعزار من ذلك خجلاً عظيماً فقال الوزير في نفسهِ : عجباً لماذا ضحك هذا البلبل واي شيء ينتج من ذلك فلا ريب انهُ لا يخلو من امرٍ عجيب فيجب عليَّ اذاً ان افحص وادقق لانهُ لا شك يوجد في بلادنا من يعرف ذلك بالدليل . فدعا الكهنة والسحرة واخبرهم بذلك فامعنوا النظر في هذا الامر وعجزوا عن تأويلهِ فازداد حينئذٍ تحير الوزير من هذا الامر العجيب وتاق لمعرفة حقيقتهِ

هذا وقد اشتهر ضحك هذا البلبل في سائر النواحي وبلغ مسامع السلطان الذي اخذتهُ الحيرة والاندهاش وطلب من كثيرين حل هذا المشكل فلم يقدروا عليهِ وفي اخر الامر بلغ ذلك مسامع المسجونين فقال كلفشان للسجان بلغ سيدي الملك انهُ لا يستطيع معرفة حقيقة هذا الامر الا انا فليامر باخراجي من السجن واحضاري بين يديهِ لاخبرهُ حقيقة الواقع . فقام السجان لساعتهِ واتى الوزير واخبرهُ بكل ما قالهُ كلفشان فذهب الوزير الى الملك واخبرهُ

بذلك . فلما عرف الملك ما كان من امر نديمه امر حالاً باخراجه من السجن واحضاره بين يديه . فلما مثل كلفشان بين يدي الملك نظر اليه الملك وقال له : يا كلفشان انك من قديم الزمان متقيد في خدمتي ومغمور بنعمتي فكيف خالفت امري ونبذت وصيتي ولم تضحك امام وفد ملك الهند مع انك لما طرحت في السجن اخذت تضحك بدون سبب حتى امتلأ السجن من الورد فاخبرني اولاً عن سبب ذلك ثم اخبرني عن سبب ضحك البلبل فنظر كلفشان الى الملك بكل تذلل وقال : انني لم اضحك في مجلس اللهو لعصاوتي بل لسبب عظيم وهو انني لما كنت آتيا الى الوليمة صادفت في الطريق رجلاً قبيح المنظر يتكلم بكلام وخيم اهاج غضبي وكدري ولشدة ما احاقني من الكدر لم اقدر ان اضحك وكان كلما الح عليّ الوزير يزداد حزني وكدري

وانما ضحكت في السجن حتى امتلأ من الورد المتناثر من فمي لانني نظرت امراً غريباً فلم اتمالك من الضحك ولا يمكنني ان أُخبر عنهُ لانني ان اخبرت عنهُ كان سبباً لهلاكي وان لم اخبر به فانا لا محالة هالك ولهذا صرت في حيرة عظيمة لا اعرف ما يجب ايثاره من هذين الامرين . قال هذا واخذ يعتذر للملك و يترجاه بان يعفيهُ من اخباره بما راى . فقال له الملك : اخبرني يا كلفشان حقيقة الواقع فان تكلمت بالصدق نجوت من الهلاك والا هلكت لا محالة فاطرق كلفشان وقال في نفسه لا يوافقني اذاً الا ان اتكلم بالصدق لانجو من الهلاك ثم نظر الى الملك وقال له : يا سيدي انني لما دعيت الى الوليمة قمت حالاً ولبيت دعوة الوزير لكنني بينما كنت سائراً في الطريق صادفت رجلاً قبيح المنظر وكان يرقص طرباً و يصفق بيديه قائلاً بانهُ يغتنم فرصة غيابي عن بيتي ليذهب ويباغي زوجتي التي ابتلى بعشقها من مدة طويلة . فغيرةً على عرضي قصدت الرجوع الى بيتي الا وقد وفد عليّ اعوان الوزير واقتادوني رغماً الى الوليمة فلا يخفاك الان يا مولاي ما اعظم الحزن الذي اعتراني حينئذٍ ولشدة كدري لم اكن اتمكن من الضحك في مجلس الوزير ولا غرو ان يكون

عذري هذا مقبولاً

واما ضحكي في السجن فهو لانني نظرت جلاد سيدي الملك آتياً في زورق وما زال سائرًا حتى وصل الى قبالة السجن الذي انا فيهِ تحت قصر الوزير عاصم فلما نظرتهُ مهزار زوجة الوزير انحدرت اليهِ متدلية بحبلٍ من الشباك وجلست معهُ في الزورق فاخذ يلاطفها ويغازلها ويبدي غير ذلك وحيث كنت حزيناً كئيباً لان زوجتي عشقت رجلاً قبيح الصورة سلوت حينئذٍ اذ نظرت زوجة الوزير قد هوت الجلاد الذي لا يستحق ان يكون لهُ عبدًا فعند ذلك انجلى همي وغمي وهانت عليَّ مصيبتي لانهُ قيل: ان البلوى اذا عمت طابت فلم اتمالك حينئذٍ من الضحك حتى امتلا السجن من الورد المتناثر من فمي لانني وان كنت في بلية فقد رايت بلية الوزير اعظم وفضلاً عن ذلك رايت من هذه الامراة بعد ذلك ما يدل انها طاهرة عفيفة لانني نظرتها مرة في البستان تتنزه مع زوجها ومعها عدد من الجواري فقامت احداهن وقطفت باقة من النرجس والياسمين وغير ذلك ووضعتها بين يديهِ الوزير فلما رات مهزار هذه الزهور تظاهرت بالحياء وغطت وجهها وتحجبت عنها ولما سالها زوجها عن سبب ذلك اجابتهُ انها لا تريد ان تنظرها عين النرجس والياسمين لانها محصنة ومتحجبة عن سائر المخلوقات فلما سمعت يا سيدي هذا الكلام بعد ان رايت بعيني مباغتتها مع الجلاد فلم اتمالك من الضحك ولهذا السبب ضحك البلبل الذي كان في القفص باذن الله تعالى لكي يظهر فجور هذه الامراة وفحشها المستورين تحت برقع الطهارة والعفاف فهذه يا سيدي حقيقة الامر ومنها يتضح عذري فان عذرت فانت خير الراحمين والا فافعل بي ما تشاء لانني عبدك وفي قبضة يدك تفعل بي ما تريدهُ

فلما سمع الملك هذا الكلام تعجب جدًا ولم يرتب بهِ لانهُ كان يعهد في كلفشان الصدق والاستقامة فحينئذٍ دعا بغلمانهِ وامرهم بان يلقوا القبض على

زوجة كلفشان والرجل القبيح الذي عشقته وعلى الجلاد وزوجة الوزير ولكي يجعلهم عبرة ورهبة لامثالهم امر بصلبهم على ابواب المدينة فصلبوهم حسب امر الملك

واما ما كان من امر كلفشان فلمن الملك قبل عذره وعفا عنهُ وانعم عليهِ بخلعة ثمينة ورفع منزلتهُ وصار منذ ذاك الحين لا يفتر قط عن معاملتهِ باللطف والاحسان فعاش كلفشان زماناً طويلاً تحت سوابغ ظل الملك محبوباً من رجال الدولة ومكرماً من الجميع وهذا ما انتهى اليهِ امرهُ بقوة الاله المتعالي الذي اعد لهُ منذ البدء هذه التجربة ليكافية باجل واحسن نعمه فلهُ الشكر على انعامهِ والحمد على الآئهِ

فلما انهى الببغاء هذه الحكاية نظر الى قمر السكر وقال لها : يجب عليك يا سيدتي ان تستنتجي من هذه الحكاية فائدة عظيمة ومتى تيسر لك وصال حبيبك فلا تسلكي في طريق الخبث والخداع مثل مهعزار لان ثوب الرياء يبلى باقرب وقت ويظهر علناً كل ما تحتهُ ولله در من قال

ثوب الرياء يشف عما تحتهُ فاذا اكتسيت بهِ فانك عاري

وقد تذكرت الان حكاية مفيدة ونصائح عظيمة اريد ان اقصها عليك لمزيد الفائدة ولكن حيث قد مضى الوقت اقتصرت على ما قلتهُ لانني اخشى فوات الفرصة فتعدمين مرغوبك الذي اسعى في تبليغك اليهِ ولاجلهِ اسهر الليالي برمتها فاذهبي الى حبيبك ولا تتاخري ابداً وفي الليلة الآتية اقص عليك الحكاية التي وعدتك بها واما الان فاغتنمي هذه الفرصة ولا تدعيها تمر لان الماضي ليس بعائد ولا الاتي بموثوق بهِ لانهُ قيل : ليس للنفس عوض ولا للايام بدل

شعر

تمتع من الدنيا بساعتك التي ظفرت بها ما لم تعقك العوائقُ
فما يومك الماضي عليك بعائد ولا يومك الاتي بهِ انت واثقُ

فعند ذلك فرحت قمر السكر وقامت لساعتها قاصدة حبيبها لكنها لما فتحت

الباب رات الشمس قد نوَّرت الكون كما تنور وجه كلفشان ندیم الملك فرجعت الى حجرتها خائبة واجلت رغدها الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار متحسرة متاسفة حتى آلت الشمس الى الغروب فعند ذلك تزينت واتت قفص الببغاء وقالت له: قد وعدتني ليلة امس بان تقص عليَّ حكاية ذات فائدة عظيمة فارجوك الان انجاز وعدك. فاجابها الببغاء يا سيدتي انني اريد ان افي بوعدي غير ان هذه الحكاية طويلة فاخشى من ان سماعها يمنعك عن الذهاب الى حبيبك فالاحسن ان تذهبي اليهِ في هذه الساعة وبفرصة ثانية اقص عليكِ هذه الحكاية اللطيفة التي لم يسمع احد بمثلها ويكفيكِ من النصائح ما اوردته لكِ حتى الان. فاجابته قمر السكر: حيث ان الحكاية على جانب عظيم من اللطافة فلا يمكنني ان انصرف من هنا قبل سماعها فارجوك اذًا ان لا تحرمني من ذلك وبعدهُ اتوجه الى حبيبي لان الليل يكفيني لذلك

حكاية

قال الببغاء: انهُ كان في بلاد اليمن تاجر اسمهُ جوهر شناس رزقهُ الله من الغنى اجزلهُ ولم يرزقهُ من البنين الا ابنة واحدة. فلما كان هذا التاجر ذات مرة سائرًا في احدى الصحارى متنزهًا راى بغتةً جمجمة انسان فاخذها بيدهِ وتفرس فيها فوجد مكتوبًا عليها هذه الكلمات: انني اذ كنت حيًا كنت سببًا لموت ثمانين رجلاً وبعد وفاتي بمدة طويلة ساكون سببًا لموت ثمانين رجلاً ايضًا. فلما قرىء جوهر شناس هذه الكلمات اخذهُ العجب واطرق برهة ثم قال في نفسهِ: ما عسى ان يكون معنى هذه العبارة فربما ان صاحب هذه الجمجمة اذ كان حيًا كان لصًا فقتل ثمانين رجلاً او كان جلادًا فقتل ثمانين مجرمًا بامر اولياء الامور او كان من المزورين الحاذقين فصار سببًا لقتلهم فهذا لا يبعد عن الصواب ولكن من بعد موتهِ كيف يكون سببًا لقتل ثمانين رجلاً فلا يخلو هذا الامر من سرٍ عجيب لا بد من ظهورهِ. قال هذا واخذ

الجمجمة واتى بها الى بيته فسحنها و وضع مسحوقها في علبة و وضع العلبة في صند وقهِ

فمضت على هذا المنوال ايام وشهور واعوام لما عنّ لجوهر شناس ان يسافر الى بلدة بعيدة ليتجر فتاهب للسفر وشد على راحلته وسار مسافرًا و بعد سفره اتت ابنته وفتحت صندوقه لترى ما عندهُ من التحف فرأت العلبة المتقدم ذكرها وفتحتها ورات فيها مسحوقًا لم تدر ما هو فتعجبت من ذلك وقالت ما عسى ان يكون هذا وبعد ان تفرست فيهِ ظنتهُ شيئًا يوكل فاخذت من ذلك مقدارًا واكلته وفي الحال حبلت الابنة دون ان يعرفها رجل وصار حبلها يزداد يومًا بعد يوم حتى تمت ايام الحبل فولدت ولدًا ذكرًا واذ لم يكن لهُ اب سموهُ ابن الغيب فكبر هذا الولد ودرج من عشهِ و بعد ايام قليلة رجع جوهر شناس من سفرهِ فنظر في دارهِ غلامًا يتنقل من محلٍ الى اخر بكل حشمة وادب وعلامات العقل والفطنة تلوح على وجههِ فسال عنهُ زوجتهُ فاجابتهُ : ان العلبة التي كنت قد وضعتها في صندوقك وقعت في يد ابنتك فاكلت من المسحوق الذي فيها شيئًا يسيرًا وفي الحال شعرت بالحبل وولدت هذا الغلام الذي سميناهُ ابن الغيب اذ لا اب لهُ وحيث كان التاجر يعلم بما في العلبة وبما سوف يحدث من ذلك فصدق زوجتهُ وقال : ان المكتوب منذ الازل لا يمحى وما حدث لا بتي مقدر عليها منذ البدء . قال هذا واخذ الغلام وقبلهُ و بعد ان تفرس فيهِ قال : يجب علينا ان نحسن تربية هذا الغلام فلعل الله يؤتينا بواسطتهِ حظًا وافرًا

و بعد مدة اتت الى تلك المدينة سفينة من مدينة سماك وفيها تجار معهم جواهر ثمينة فلما علم بهم جوهر شناس اتى اليهم واشترى منهم شيئًا كثيرًا من الجواهر الثمينة فلما راى ابن الغيب هذه الجواهر تفرس فيها ثم نظر الى جده وقال : يا ابت العزيز ان بين هذه الجواهر حجرين ليسا بجواهر هما زجاج لا قيمة لها فردهما الى التجار الذين اشتريتهما منهم وفي الحال افرز الحجرين المحكى عنهما واعطاهما الى جدهِ . وحيث كان جوهر شناس يثق بكلام ابن الغيب

اخذ الحجرين . وذهب الى التجار ليردها عليهم فقابل رئيس التجار وقال له :
ان هذين الحجرين ليسا بجواهر بل زجاج لا تساوي قيمتها فلسًا واحدًا . فاجابهُ
الرئيس ومن اين علمت ذلك وهما لا يفرقان قط عن الحجارة الكريمة . فاجابهُ
جوهرشناس : ان الغلام الذي عندي المدعو ابن الغيب قال لي ان هذين
الحجرين زجاج وافرزهما من بين سائر الحجارة وكيف كان الامر فانا اثق
بكلامهِ وهذان الحجران لا اقبلهما فخذهما اذًا ورد لي الثمن واما التجار فانهم
لما سلموا الجواهر لجوهرشناس لم يكونوا عارفين ان الحجرين المشار اليهما
زجاج ولكنهم لما امعنوا النظر فيهما تاكدوا صحة ما قالهُ جوهرشناس فاستردوا
منهُ الحجرين وتراموا على اقدامهِ طالبين منهُ ان يسلمهم ابن الغيب ويبذلون
لهُ كل ما يريده فابى ان يسلمهم اياه فعند ذلك صار هذا الغلام يلح على جده
ويرجوهُ ان يرسلهُ معهم ليتفرج على بلاد الناس وقال لهُ : يا سيدي انت
تعرف حقيقة حالي واما اهل المدينة فلا يعرفونها بل يظنونني ابنًا من غير اب
فيستلقونني ويشتمون بك وبابنتك فان سافرت من هذه الديار نجوت من
العار . وقصارى الكلام ان جوهرشناس قد ارتضى اخيرًا ان يسلمهم ابن
الغيب وقال لهم : هذه امانة الله سلمتكم اياها فاحرصوا على هذا الغلام لانهُ
جوهرة ثمينة . قال هذا وودعهم ورجع الى بيتهِ واما التجار فبقوا في مينا تلك
المدينة حتى اتتهم ريح مناسبة فاقلعت سفينتهم وسارت نحو بلادهم وبعد ايام
قليلة وصلوا الى مدينة سماك باتم حال من الصحة والسلامة

هذا وكان في تلك المدينة ملك عظيم ولهُ وزير عاقل اسمهُ كاميين وكان
لهذا الوزير عدد من النساء والجواري وكانت احداهنَّ المدعوة كامجوي قد
اكتسبت رضى سيدها اكثر منهن لجمالها الفائق ولهذا سلطها عليهنَّ . فيومًا
ما اتى معها الى بستان جميل للتنزه وكان بمعيتها عدد من الجواري فجلس
الوزير وزوجتهُ بجانب حوضٍ فيهِ سمك والجواري كن واقفات تصطاد منهُ
سمكًا لاجل التسلي وكن يحضرن السمك حيًا ويضعنهُ امام الوزير فلما علمت

كاجوي ان السمك حي تحجبت عنهُ وتبرقعت . فسالها الوزير عن سبب ذلك . فاجابتهُ : ياسيدي الا تعلم ان هذا السمك الخارج الان من المياه هو حي ولا غروَ انهُ يوجد فيهِ ذكور فربما ينظرون الى وجهي وهذا شيء محرَّم وانا اريد التحجب ليس فقط عن ابن آدم بل عن الحيوانات ايضاً حتى لا يمس شرف طهارتي . فلما سمع الوزير هذا الكلام حسن لديهِ وتاكد عفاف زوجتهِ فشكرها على ذلك فعند ذلك ضحكت سمكة من السمك الموجود بين يدي الوزير فحينئذٍ بهتت كاجوي متحيرة وانشغلت افكارها واما الوزير فاخذهُ العجب والاندهال وتاق الى معرفة سبب هذا الضحك فدعا بالعلمآ والسحرة واخبرهم بما جرى لهُ وقال لهم : لا يخلو ذلك من سر عجيب فاريد منكم ان تبينوا لي هذا السر فافتكروا كثيراً في ذلك ولم يقفوا على السر المطلوب فحينئذٍ قام احدهم وقال لهُ : ياسيدي ليس في الدنيا كلها من يعرف ذلك واذا وجد فيكون من عجائب الدهر ولا يستطيع على حلّ هذا المشكل الا ابن الغيب الموجود عند رئيس التجار فاطلبهُ منهُ وقص عليهِ الخبر . ففي الحال دعا الوزير احد غلمانهِ وامرهُ ان يحضر اليهِ ابن الغيب فذهب الغلام واحضرهُ بين يديهِ واخذ الوزير يخبره كلما جرى لهُ وطلب منهُ حل هذه الاشكال فنظر ابن الغيب الى الغلمان الحاضرين وطلب منهم ان ياتوهُ بالسمك حتى يراه فلما راه نظر الى الوزير وقال لهُ : ياسيدي اذا كنت تريد ان اخبرك عن هذا السر الذي اشغل بالك فاريد ان اخبرك بهِ سرّاً لان فيهِ شيئاً يجب كتمهُ فعند ذلك اجلسهُ الوزير بين يديهِ وامر غلمانهُ وجواريهِ بان يخرجوا عنهُ فعند ذلك قال ابن الغيب للوزير : ياسيدي ان هذا السمك قال لي ان الوزير عنده اربعون جاريةً وكل واحدة منهن عاشقة شاباً تخفيهِ في حجرتها وكل يوم تقضي معهُ مدة بالمزاح والمغازلة وغيرهما والوزير غير عالم بذلك وسيدتهن كاجوي اشد منهن فسقاً وفجوراً وما تفعلهُ باقي الجواري هو بامدادها ومشورتها غير انها معتصمة بالريا ولهذا تبرقعت عندما

نظرت السمك وهذا داب الامراة الفاجرة فلا تعجب اذًا اذا ضحك السمك عند ما سمع كلام كاججوي الفاسقة لانهُ عرف طويتها . فلما سمع الوزير هذا الكلام تعجب وقام لساعتهِ وفتش مخادع الجواري فراى في مخدع كل جارية شابًا جميل الصورة وعدد هولاء الشبان كعدد الجواري اي اربعون شابًا فتاكد حينئذٍ صحة ما قالهُ ابن الغيب وفي الحال امر بقتل الجواري والشبان فاخذوهم جميعًا خارج المدينة وقتلوهم

فالان يا قمر السكر امعني النظر في ذلك وانظري كيف كانت عاقبة كاججوي المرائية فلا تسلكي اذًا هذا الطريق حيث انك مجبولة على كرم السجايا فاذهبي الان الى حبيبك وافعلي ما اوصيتك بهِ وابتعدي عن الريا لانهُ ينتج عن عدم الوفا الذي هو من اعظم الرذائل لان النساء نوعان فمنهنَّ من يكون نصيبها السعير ومنهنَّ من تذهب الى الجنة فالأُولى هنَّ اللواتي لا وفاء لهنَّ ويكونن مرذولات الى يوم القيامة والاخريات هنَّ اللواتي برعين الوفاء فيحبهن الله والناس فكوني انتِ من النوع الثاني لا من النوع الاول الذي لا يصادف الا شرًّا وامثالهُ كثيرة فان شئت اورد لك خبرًا يسر الخاطر . فقالت لهُ قمر السكر تكلم لأرى ما عندك

حكاية

قال الببغاء : انهُ كان في قديم الزمان في مملكة مصر العظيمة ملك اسمهُ جامست وكان عنده ببغاء حكيم عاقل فصيح اللسان حافظ القرآن اسمهُ زبان اور (ومعناه الفصيح اللسان) وكان السلطان يحبهُ حبًا شديدًا وجعلهُ من اخص ندمائهِ لجودة عقلهِ وفصاحة كلامهِ وكان في اغلب الاوقات يجالسهُ ويحدثهُ مليًا باخبار تسرهُ سرورًا عظيمًا

فيومًا ما اذ كان السلطان بمحادثة عرض بذكر البنات الجميلات فقال لهُ الملك : ايها الببغاء : قد سحت في اربعة اقطار العالم ونظرت من البنات الجميلات عددًا وافرًا فاخبرني عن التي اعجبتك اكثر من الجميع بجودة

عقلها وجمالها فاجابة البيغاء : ياسيدي قد سحت في سائر المدن وعاشرت اصحاب المناصب ودخلت دور السلاطين ونظرت حريهم ورايت من الحسن والجمال مايدهش الناظر لكنني لم ار قط أكمل حسناً وجمالاً من ابنة والي دمشق الشام التي لم تر عين مثلها فتراها ساطعة كالبدر المنير وقد اجتمعت فيها كل المحاسن كما قال الشاعر

ساقٍ تكون من صبحٍ ومن غسقٍ　　فابيضَّ خداه واسودت غدائرهُ
سودٌ سوالفهُ لعسٌ مراشفهُ　　نعسٌ نواظرهُ غرسٌ اساورهُ

قال هذا واخذ يطنب في مدح هذه الابنة بما لامزيد عليهِ حتى وقع في قلب الملك الهيام واضحى عاشقاً لها قبل ان يراها لانهُ قيل : الاذن تعشق قبل العين احياناً . فنظر الملك الى البيغاء وقال لهُ : انني قبل هذه الساعة كنت خالياً من العشق واما كلامك هذا فقد اوقع في قلبي الهيام واهاج فيَّ الحب والغرام وقد ابتليت الان بحب هذه الابنة واذا لم انل وصالها فاموت كمدًا ولهذا اريد ان اتاهل بها لكونها لم تزل بكرًا ومرادي ان ارسل عمدة الى ابيها يخطبونها لي فان كانت كما قلت بديعة الجمال واعجبتني فاجازيك جزاءً عظيماً واعطيك كلما تطلبهُ ولو كان نصف ملكي والاَّ فجزآوك الموت . فاجابهُ البيغاء : ياسيدي ان ما قلتهُ لك هو الواقع وسوف يظهر لك صدق قولي اذا نظرت هذه الابنة ولا ريب ان حبها يزداد في قلبك ولا انال منك الا خير الجزاء غير ان لي نعمة اطلبها منك الان وهي انهُ يوجد عند الابنة المشار اليها ببغاء فصيحة اللسان اسمها ست بدور وقد قضيت معها زمناً طويلاً وهي من اعز اصحابي وقد عزَّ عليَّ فراقها ولهذا ارجوك ان اتت هذه البيغاء مع سيدتها ان تامر بان توضع معي في قفصٍ واحد لانال الوصل بعد الهجر وبذلك توليني اكبر جميل فعاهدهُ الملك بذلك اذا كان قولهُ صحيحاً

وبعد ايام ارسل الملك الى والي الشام معتمدًا وبعث يامرهُ بان يزف ابنتهُ اليهِ ويرسلها الى بلادهِ مع المعتمد الذي وجههُ اليهِ فلما وصل هذا المعتمد الى

دمشق و بلغ الوالي امر الملك استقبلهٔ الوالي بكل ترحاب وابدى لهٔ وفور الاكرام وسلمهٔ الابنة مع جهازها والببغاء التي عندها وارسل معهٔ الى الملك نفيس الهدايا وافخر التحف . فاخذها المعتمد وسافر مع عروس الملك و بمعيتها عدد من الجواري الحسان وعند وصوله الى البلاط الملوكي استقبلوهُ بمزيد الاكرام والسرور و بعد ان استراح قليلاً طلب مقابلة الملك فقدم لهُ الابنة واخبره بما لقيهُ من مكارم ابيها وكلما جرى لهُ في مدة سفره • فلما نظر الملك الابنة وما هي عليهِ من الحسن والجمال وقع في قلبهِ الحب والغرام وتسعر بنار الهوى والهيام لما كانت عليهِ من البهاء الفائق وفضلاً عن ذلك فانها كانت على جانب عظيم من الفطنة والعقل ومجملة با لعلوم والمعارف فسر من ذلك سروراً عظيماً وشكر الببغاء زبان اور ورأى ان يجازيهُ عما فعل وان يفي ما وعدهُ بهِ وهو انهُ ليلة دخولهِ على الابنة امر احد خدمهِ ان ياتي با لببغاء سخن برور و يضعها في قفص صديقها فامتثل الخادم امره وفعل كما اشار فلما راى الببغاء صديقتهُ عانقها وشكى لها من ألم البعاد وقال: الحمد لله الذي يسر لنا رغداً هنيئاً واولانا نعمة الوصال بعد الهجر الطويل وما كان ذلك الا بواسطتي لانني لم الهم الملك بان يطلب ابنة والي دمشق الا لاحظى بوصالك وقد اشترطت عليهِ ان يجمع بيني و بينك من اول ليلة فلا تصفيني بقلة الوفاء لاننا نحن معشر الذكور نراعي الوفآء قبل كل شيء بخلاف الاناث لانهُ قلما يوجد انثى ذات وفاء والشاهد على ذلك حكاية همه ناز . فسالتهُ الببغاء وما هي حكايتها

حكاية

قال الببغاء : انهُ كان في قديم الزمان في ساحل سرنديب تاجر اسمهُ بهزاد على جانب عظيم من الغنى وكان لهُ امراة جميلة الصورة بديعة الحسن اسمها همه ناز وكان يحبها حباً شديداً . فيوماً ما سافر للتجارة وترك زوجتهُ وحدها في البيت ولم تمضِ الا ايام قليلة من بعد سفره حتى نسيتهُ زوجتهُ واذ

لم يمكنها ان تنتظر رجوع زوجها اضطرت ان تعشق شابًا من شبان المدينة الذي كان من اعز اصحابهِ فكان ياتي اليها كل ليلة ويتمتع بوصالها وكانت تفرح لقدومهِ ولم تعد تتذكر زوجها الذي استمر محافظًا على حقوق المحبة والصداقة

وبعد مدة طويلة رجع التاجر من سفرهِ وعند دخولهِ البيت حزنت زوجتهُ من ايابهِ لانهُ امتنع عليها معاشرة عاشقها فصار شوقها اليهِ يزداد يومًا بعد يوم حتى توطد بغض زوجها في قلبها . فيومًا من الايام كادت تموت من زيادة الشوق ولما ظل الليل اخذت تفكر في حيلة لتذهب الى عاشقها فلما رقد زوجها بغتة حتى غاب عن الصواب وفي الحال تزينت وتوجهت الى حبيبها ولكن كان بالقضاء والقدر ان اتى بيتها في تلك الليلة سارق ولما نظرها غير راقدة اختفى في احدى زوايا البيت لتاتيهِ فرصة مناسبة ولما نظرها تفعل مع زوجها ما فعلت تحير واندهش ولما خرجت من البيت عدل عن السرقة وتتبع اثارها ليرى ما يفضي اليهِ امرها وما زال ماشيًا وراءها وهي لا تراه حتى دخلت بيت عاشقها فعند ذلك ذهب السارق الى حاكم المدينة واخبرهُ ما كان من امرها فارسل الحاكم غلمانهُ ليستحضروها فوجدوها في بيت عاشقها فاخذوهما حينئذٍ الى الحاكم وكانت العادة في تلك المدينة اذا حدث مثل هذا الامران يصلبوا الرجل ويعفوا عن المرأة ويطلقوا سبيلها ومن ثم اخذوا هذا الرجل الفاسق وصلبوهُ واطلقوا سبيل الامراة ولما كان عاشقها منازعًا على الصليب دعاها اليهِ ولما دنت منهُ قال لها : ياموضوع حبي وسروري انظري الى اين آل بي هذا الحب ومع ذلك فانا راضٍ ببلواي غير اني ارجوكِ ان تدني مني حتى اودعكِ بالقبلة الاخيرة فتقدمت اليهِ وصارت تمسح وجهها بوجههِ وحيث انها كانت سبب موتهِ بغضها بغضًا شديدًا فعضها بانفها ولم يتركها حتى قطعهُ وبقي الانف في فمهِ الى ان قضى نحبهُ فعند ذلك اخذت تبكي وتنوح وذهبت الى بيتها حزينة لا تدري ما العمل

فوجدت زوجها نائمًا وعند ذلك صارت تفكر في وجه الحيلة لدفع هذا العار عنها فقالت في نفسها : ان الذي احبيته قد مات واما انا فاي جواب اعطيه لزوجي اذا نظرني على هذه الحالة وكثيرون من الناس قد راوا ما اصابني فكيف انجو من العار والفضيحة امام الجيران فليس لي حيلة الآن الا لطخ ثياب زوجي بالدم واشيع الخبر بانه كان سكرانًا فضربني وقطع انفي فيصدقني الناس واوقع به النكبة وانجو بهذه الحيلة من العار . قالت هذا وقامت لفورها ولطخت ثياب زوجها بالدم السائل من انفها وصرخت بصوت عظيم : ان زوجي قد ضربني وقطع انفي فاسرعوا وانقذوني منه فسمع النساء جيرانها صراخها واسرعن اليها وكان الصباح قريبًا ففاق زوجها ولما راى ما جرى اخذته الحيرة والاندهاش حتى طار عقله فاجتمع اقارب زوجته وقاضوه الى القاضي فساله القاضي عن ذلك فلبث مندهشًا لا يجيب بكلمة واحدة فحكم عليه حينئذٍ بقطع انفه حيث قيل الانف بالانف كما نص عليه ارباب الشريعة

هذا وكان السارق حاضرًا المحكمة وعالمًا حقيقة الامر كما هي فلما حكم القاضي بقطع انف هذا التاجر المسكين تحركت في قلبه الرحمة عليه وفي الحال طلب من القاضي ان يتكلم فاذنه فقال له السارق : اطال الله بقاء مولانا القاضي وادام به التقاضي ما شهدنا الا بما علمنا ان هذه الامراة الفاجرة قد بغت على زوجها وأيد الناس بغيها واخذ من ثم يقص عليه كلما كان من امرها اولاً واخرًا فلما سمع القاضي كلامه قال له : لاعبرة لشهادتك لان شهادة الفرد لا يبنى عليها حكم فاجابه السارق : يامولانا ان لنا على ذلك برهانًا قاطعًا وهو انه اذا وجد انف الامراة في فراش جوزها يكون هو الذي قطعه وان وجد في فم المصلوب فلا ريب بان يكون ما قررته صحيحًا .

فلما سمع القاضي كلامه اخذه العجب الا انه استصوبه ورام من ثم امتحان الامر فقام لساعته وبمعيته جماعة من المسلمين وبعض اقارب الامراة واتى الى المحل الموجود فيه المصلوب ولدى التفرس في فمه راى فيه انف الامراة فحينئذٍ تحقق

القاضي وجميع من كان معهُ صدق ماقرره السارق فتعجبوا من هذا الحادث الغريب ونفرت قلوبهم من فجور هذه الامراة وقساوتها وفرحوا ببرآة زوجها من هذه التهمة واصبحت هي في ضجرٍ عظيم فحكم عليها القاضي بالتشهير والقتل فطوفوها في شوارع المدينة ثم ربطوها والقوها في البحر وقد وصلت هذه البلية لفحشها وعدم رعايتها للوفاء ولحقوق المحبة القديمة

فعند ذلك نظر الببغاء الى رفيقتهِ وقال لها: انهُ يتضح من هذه الحكاية بان ليس للنساء عهد ولا ذمام واذا وجد فيهنَّ من ترعى الوفاء فيكون ذلك نادرًا والنادر لا يعتد بهِ. فلما سمعت رفيقتهُ هذه الحكاية حاقها غم جسيم وحزن عظيم فنظرت اليهِ وقالت لهُ: لقد صدقت في كلامك وتمثيلك هذا واقع بمحلهِ الا ان ذلك لا يطلق على جميع الاناث لانهنَّ لسنَ جميعًا بلا وفاء كما انهُ غير مسلم ان كل الرجال من اهل الوفاء لان كثيرًا ما يوجد بينهم من الخائنين الخادعين كما يتضح ذلك من حكاية مختار مع الابنة ميمونة. فسالها الببغاء: وما هي حكايتها

حكاية

قالت الببغاء: انهُ كان في مدينة يزد تاجر اسمهُ مختار قد اتصف بالفجور والنفاق حتى صار شبيهًا بالشيطان فاعتنى والداه باصلاحهِ ولهذا خطبا لهُ ابنة جميلة المنظر اسمها ميمونة ذات حسب ونسب من كرائم مدينة شيراز الشهيرة. فذهب يومًا ما الى هذه المدينة وتزوج الابنة المار ذكرها وقضى معها في المدينة المشار اليها اياما كثيرة عائشًا معها باتم الوفاق والمحبة الى ان عنَّ لهُ ان يترك هذه المدينة ويرجع الى مدينة يزد مسقط راسهِ. فجمع جهاز زوجتهِ وكل لوازمهِ وسافر معها ولم يزل سائرًا حتى بلغ مكانًا منفردًا وبجانبهِ بئر فحل في ذلك المكان ليبيت ليلتهُ وحيث كان طبعهُ مائلًا للطمع طمع بجهاز زوجتهِ ومصاغها فقام عند انتصاف الليل ونزع عن الابنة ثيابها وطرحها في البئر وسار وحدهُ الى مدينتهِ

واما ما كان من امر زوجتهِ ميمونة المنكودة الحظ فان الله تحنن عليها وانقذها من الهلاك فخرجت من الجب بقوة الله تعالى بعد ان قاست عناء شديدًا وسارت راجعة الى مدينة شيراز مسقط راسها فوصلت اليها ودخلت دار ابيها فلما رآها ابوها على هذه الحالة تعجب جدًّا واندهش وسألها عما اصابها فخجلت ميمونة منهُ وخافت ان تخبرهُ حقيقة الامر لئلا يخال بفكره غير ذلك فقالت لهُ: يا ابتِ بينما كنا سائرين في الطريق عرض لنا لصوص اطلقوا الأعنة وشنوا الغارة علينا فسلبوا كل ما كان معنا ورموني في جب عميق واما زوجي فلا ادري ما اصابهُ وبعناية الاله المتعال خرجت انا من الجب واتيت الى هنا بعد مقاساة اشد التعب. فلما سمع ابواها خبرها شكرا الله تعالى لنجاتها واستقبلاها بكل ترحاب والبساها ثيابًا فاخرة وحللاً ثمينة

واما ما كان من امر زوجها مختار فانهُ وصل الى مدينتهِ فوجد والديهِ قد توفيا وتركا لهُ ميراثًا وافرًا ولما راى بين يديهِ مالاً جزيلاً من تركة ابويهِ وجهاز زوجتهِ اخذ يبذل المال جزافًا في سبيل الفسق والفجور ولم تمض على هذا المنوال الا شهور حتى فرغت يده واصبح في حضن الفقر والفاقة حتى اضطر الى التسول ليحصل على قوتهِ الضروري وحيث انهُ كان يخجل من التسول في بلدتهِ رحل عنها واتى مدينة شيراز وكان في هذه المدينة قبر ولي من اولياء الله وكان في كل يوم يزورهُ جماعة من المسلمين والمسلمات ولذلك كان مختار ياتي الى هذا المكان ليتسول من الزائرين

فيومًا ما كان بالقضاء والقدر ان اتت ميمونة لزيارة ذاك الضريح مع جماعة من المسلمات فوقع نظرها بغتة على زوجها مختار فنظرت اليهِ بعين الراحة ولم تلتفت الى ما عاملها بهِ من القساوة البربرية بل ترأفت عليهِ وتبعت قول القائل: احسن الى من اساء اليك فدعتهُ اليها وعاملتهُ بالمعروف واما مختار فلما نظر زوجتهُ وما هي عليهِ من كرم الاخلاق انطرح على اقدامها باكيًا واخذ يستغفرها ويعتذر لها عما فرط منهُ وحيث كانت سليمة القلب

والنية صفحت عنهُ واخذتهُ الى دار ابيها فهنأ ها على وجوده وجهزها مرة ثانية وسلمها الى زوجها فاخذها وسار معها الى مدينة يزد ولما وصلا الى محل البئر الذي رماها به اولاً باتا فيهِ تلك الليلة فنامت ميمونة مطمئنة البال وقريرة العين

شعر

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوءَ ما ياتي بهِ القدرُ

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدرُ

واما مختار ذاك المنافق فقام عند انتصاف الليل بينما كانت زوجتهُ مستغرقة في بحر النوم فقتلها ورماها في الجب واخذ كل ما كان معها وسافر الى مدينة يزد

فلما وصلت الببغاء الى هذا المقام ختمت كلامها فقال رفيقها : ما اعظم خبث هذا الرجل وقساوتهُ لكونهُ صبغ يديهِ بدم هذه الابنة الكريمة الاخلاق فاجابتهُ الببغاء يا سيدي ان ما قلتهُ انت لا يصدق على عموم الذكور والاناث لانهُ يوجد بين كلا الجنسين اخيار. واشرار واما انا فاسال الله تعالى ان يجعلنا من اهل الوفاء لنعيش سوية بالمحبة والالفة لئلا تصير انت مثل مختار المار ذكره ولئلا يصيبني انا ما اصاب ميمونة المنكودة الحظ. قالت هذا وقضت ايامها مع رفيقها بالصفاء والانشراح

فلما انتهت هذه الحكاية نظر الببغاء العاقل الى قمر السكر وقال لها يا سيدتي قد قصصت عليك هذه الحكايات كلها لكي تحرصي على رعاية الوفاء مع حبيبك لان على كل حرٍ ان ينجز ما وعد بهِ لانهُ قيل وعد الكريم الزم من دين الغريم ولله در الشاعر حيث قال

اذا قلت في شيءٍ نعم فاتمهُ فان نعم دينٌ على الحر واجبُ

والا فقل لا تسترح وترح بهِ لئلا يقول الناس انك كاذبُ

وما احسن قول الاخر في هذا المعنى

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدٌ الا بما تجدُ

فلا تعد عدة الا وفيت بها واحذر خلاف مقالٍ للذي تعدُ

ولذلك احثك يا سيدتي ان تذهبي الى حبيبك لانكِ وعدته بذلك من مدة طويلة وللان لم تنجزي ما وعدت بهِ فبالله عليكِ ارعِ الوفاء لانهُ من شيم النفوس الكريمة والاخلاق الرضية وقد قيل: الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطرها . وحيث الان قد اتتك هذه الفرصة المناسبة فقومي في هذه الساعة واذهبي الى حبيبك لتنالي وصالهُ فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام فرحت فرحًا عظيمًا وقامت لساعتها قاصدة الذهاب الى حبيبها لكنها لما فتحت باب الدار رات الشمس قد اشرقت على العالم فرجعت خائبة اذ لم تنل مرغوبها واجلتهُ الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار حزينة كئيبة تتقلب على نار الهوى وتنشد

أمن المروة ان ابيت مسهدًا　　قلقًا ابل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى　　وابيت منك بليلة الملسوعِ

ولما انقضى ذاك النهار وظل المساء تزينت واتت قفص الببغاء وسلمت عليهِ وقالت: ايها البغاء انهُ بسبب اهمالك لي حتى الان لم احظَ بمشاهدة حبيبي ولو كنت تهتم بامري ولو يسيرًا لكنت الان لا محالة قد نلت ما ارغبهُ ولهذا اصبحت في حزنٍ عظيم وكدرٍ جسيم . فاجابها البيغاء : يا سيدتي ان تاخرك عن الذهاب الى حبيبك هو من الله سبحانهُ وتعالى لا من عدم اهتمامي لانهُ لا يتم شيء الا بارادتهِ الربانية فمهما جد الفتى وسعى فلا يجديهِ الجد والسعي نفعًا اذا لم يكن مرموقًا بتوفيق الله تعالى وعنايتهِ ولا حاجة لان ابين لك اجتهادي بان ابلغك مرادك لانك تعرفينهُ حق المعرفة والله ناظر لكل اعمالي وهو يعلم ما في القلوب واما انت فلا يشق عليك عدم نوال مرغوبك حتى الان ولا تعجلين شيئًا لان لكل شيء وقتًا فاصبري الان لان بالصبر تنالين مرغوبك والا فيذهب تعبك باطلاً وتندمين اشد الندامة كما ندم القزاز الذي لم يقنع بالنفقة اليومية بل طمع بالزيادة فلم ينل سوى المشقة والتعب . فسالتهُ قمر السكر : وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: كان في ناحية العراق قزاز يجد ويسعى في طلب الرزق بدون اهمال ادنى فرصة الا انه لم يكن يحصل سوى على نفقته اليومية وكان له جار يتعاطى الحلاجة (اي ندف القطن) وكان كلما دخل القزاز بيت جاره يراهُ مملوءًا من الامتعة الثمينة والاشياء النفيسة وكانت نعمة الحلاج تزداد يوماً بعد يوم فتعجب القزاز من ذلك وقال في نفسهِ: انني اسعى في طلب المال ليلاً ونهارًا وادخل دور الملوك والامراء واصنع لهم الامتعة النفيسة ومع ذلك فاني فقير الحال لا املك شيئًا وهذا الحلاج الذي يقضي يومهُ منعكفًا على ندف القطف والصوف تراهُ ذا ثروة عظيمة فما هو سبب ذلك. قال هذا وجلس في احدى زوايا البيت غارقًا في بحر الافتكار فاتت اليهِ زوجتهُ وسالتهُ عن سبب ذلك فاخذ يقص عليها كل ما كان يجال بفكرهِ وختم كلامهُ بقولهِ لها: قد عزمت الان ان اترك هذه المدينة وارحل الى مدينة غيرها لانني اجد في هذه المدينة صعوبة في المعيشة لان اهلها لا يعرفون قيمة صنعتي فاذا رحلت الى مدينة غيرها فاقضي عمري بالرفاهة وقد قال العقلاء: لولا سير الهلال لما صار بدرًا. فاجابتهُ زوجتهُ ان هذه التصورات التي بفكرك هي تخيلات باطلة لان كل انسان يصل اليهِ رزقهُ من الله سبحانهُ وتعالى الذي قسم الارزاق بين العباد لانهُ قيل: وما من دابة على الارض الاَّ وعلى الله رزقها فمهما جد الفتى وسعى فلا ينال اكثر مما قسم لهُ منذ الازل فلا تترك هذه المدينة ولا تسعى في طلب المحال بل اقنع بما يرزقك الله من كرمهِ ولطفهِ لان من طمع يصيبهُ ما اصاب ابرهيم ادهم سلطان بلخ قدس الله سرهُ الذي راى حادثًا فانتصح منهُ واعتبر فسالها القزاز: وما هي هذه الحكاية

حكاية

· قالت الامراة: ان ابرهيم ادهم سلطان بلخ قدس الله سره خرج يوماً ما الى الصيد وبعد ان قطع مسافةً طويلة جلس لمناولة الطعام في احدى الصحارى وبينما كان على المائدة اتت نحلة واخذت بفمها قطعة من الخبز وطارت فلما نظرها ابرهيم ادهم وراى ما فعلت تعجب من هذا الامر وتاق لمعرفة قصدها فقام عن المائدة وتبع اثارها ليرى الى اين تذهب وماذا تفعل ولم يزل راكضاً وراءها حتى افضت الى كعب شجرة عظيمة وفيه ثقب فدخلت النحلة في هذا الثقب واستمرت فيه فتقدم ابرهيم ادهم الى كعب الشجرة فراى في الثقب ثلاثة عصافير في عشٍ داهمها العمى فلما سمعت العصافير صوت النحلة فتحت افواهها فوضعت النحلة في فم كل منها قطعة من الخبز فلما نظر ابرهيم ادهم هذا الصنيع تعجب غاية العجب وعلم من ثم ان الله سخر هذه النحلة لتاتي بالطعام الى العصافير التي ضربت بالعمى فعند ذلك اعرض عن الدنيا وانقطع لله تعالى

فالان انظر ايها الرجل عناية الله تعالى بمخلوقاته فاذا كان لا يدع ثلاثة عصافير تموت جوعاً بل سخر الله لها نحلة تاتيها كل يوم بقوتها الضروري فهل يهمل من صورهُ على صورتهِ وخلقهُ على مثالهِ. فلماذا اذاً شغلت بالك بهذه الافكار الفاسدة فاجابها القزاز: لقد استحسنت رايكِ لان التوكل على الله خير من كل الامور غير انهُ لا بد للانسان من السعي في طلب الرزق لان الاسد اذا كان موثوقاً فلا يجد صيداً واما انتِ فلا يدرك عقلك ما ينتج من سفري هذا من الفوائد والحاصل اني عزمت على السفر الى غير هذه المدينة قال هذا وودع زوجتهُ واهل بيتهِ وسار مسافراً الى ان وصل الى مدينة نيسابور فمكث فيها يتعاطى حرفتهُ بكل اجتهاد ولم تمض الا ايام قليلة حتى جمع مالاً وافراً فلما راى ذاتهُ قد حصل على غنى وافر فرح فرحاً شديداً وقال في نفسهِ: ان عشت في وطني اربعين او خمسين عاماً في حضن الراحة غير

لاه بالتجارة والربح فلا يمكني ان افني الاموال التي جمعتها . قال هذا وعزم على السفر الى العراق وبينما كان سائرًا في الطريق اضطر ان يبيت في محل خطر فغلب عليهِ النوم فنام فراى في الحلم عصفورين بصورة جميلة انحدرا من العلاء الى الارض وسال كل منهما الاخر من انت كانهما لا يعرفان بعضهما بعضًا فاجاب احدهما : انا تمثال سعي هذا القزاز واجاب الثاني : انا صورة طالع هذا الانسان وقد كتب بدفتر القضاء ان هذا الانسان قسم له الفقر فلا يستطيع ان يحرز مالاً لان الله حكيم عادل وشفوق على عباده وهو ارحم من الوالدين وقد قسم لكلٍ من عبيدهِ منذ الازل ما يراهُ موافقًا له فيغني من يشاء ويفقر من يشاء ويلبس البعض من عبيده التاج والارجوان ولما يرى ان بعضهم اذا ولي الانعام يسلك في طريق البغي والظلم فيرزقهُ المال تدريجًا لانهُ يرى الفقر اكثر نفعًا لهم وبهذا يؤمنون من البغي . فالان ايها القزاز الى اين تذهب بهذا المال انقدر ان تقتنيهُ ضد ارادة الله تعالى الذي قضاؤهُ لا يرد وحكمهُ لا يصد . قال هذا واخذ الكيس بما كان فيهِ من المال ودعا المريخ فحضر بصورة جلاد واخذ الدراهم من الكيس ورماه فارغًا فبعد ذلك استيقظ القزاز من نومهِ ونظر في اليقظة ما نظرهَ في الحلم فقام لساعتهِ مرتعبًا خائفًا واخذ يفتش على الدراهم فلم يرَ لها اثرًا فاستحى ان يرجع الى العراق فارغ اليدين لئلا تستهزئ بهِ زوجتهِ ولذلك قام لفورهِ وسار راجعًا الى مدينة نيسابور ليسعى في احتشاد الاموال فوصل الى المدينة الموما اليها واخذ يتعاطى حرفتهُ بكل اجتهاد فحصل في مدة وجيزة من المال اكثر مما حصلهُ في سفرتهِ الاولى فعزم من ثم على الرجوع الى بلاده وقام مسافرًا الى العراق . فاضطر الى ان يبيت في الطريق وبينما كان نائمًا راى في الحلم ما رآه اولاً فقالت صورة طالعهِ الى صورة سعيهِ : ايها المنافق العنيد هلاَّ ارتدعت عن غيك وردعت نفسك عن شهواتها ورغبتها في احتشاد الاموال فهل لا تعرف ان الله لا يعطي الانسان الا ما قسمهُ له منذ الازل كما قلت لك سابقًا فكيف تجاسرت

وخالفت حكمة الله بمثل هذه الوقاحة فاجابت صورة سعيد : فليكن مغدورًا الى نهاية العمر لان من عادتي اذا تعلق بي احد الناس بجد واجتهاد ان ابلغهُ مراده واذا رمقتهُ انت بعنايتك والا فيكون تعلقهُ بي باطلاً ومن نظرت اليهِ بعين العناية فلا يعوزهُ السعي وحيها انفق من الاموال فلا ينقص ما لهُ . قال هذا واخذ كيس الدراهم وتوارى عنهُ . فلما استيقظ القزاز ورأى ما لهُ مفقودًا علم ان قد اصابهُ هذه المرة ما اصابهُ اولاً فقال في نفسهِ : ان السير في غير الطريق الذي يريدهُ الله هو عين الخطاء فيلزم ان اقنع بما قسمهُ لي الله تعالى لانني سعيت فذهب سعيي باطلاً . قال هذا وسار مسافرًا نحو العراق ولما وصل الى بيتهِ اخبر زوجتهُ بما حدث لهُ اولاً واخرًا فقالت لهُ زوجتهُ : كم نصحتك ولم تصغَ لنصيحتي بل اطعت هوى نفسك وتكبدت كل هذه المتاعب حتى اصابك ما اصاب ابن آوى فسالها زوجها : وما هي حكايتهُ

حكاية

قالت الامرأة : ان رجلاً كان لهُ جمل وقع بداء الجرب . ومن شدة الحر نثر لحمهُ ولما لم يجد صاحبهُ دواء لهُ اخذهُ الى الصحراء وتركهُ فيها وبينما كان الجمل يتمشى ذات مرة كان ابن آوى تابعًا فارة ليصطادها فلما وقع نظرهُ على الجمل طمع في صيدهِ واعرض عن صيد الفارة ولكن حيث كانت زوجتهُ معهُ منعتهُ عن ذلك واخذت تنصحهُ وتقول : لا تعتصم بالحماقة لانك غير قادر على افتراس هذا الجمل القوي فلا تترك الفارة التي تيسرت لك لتطمع فيما هو فوق قدرتك لئلا تعود خائبًا لان من طمع بالكثير وترك القليل يعدم من كليهما . فاجابها زوجها : ان الذي يقنع بالقليل يكون عديم الهمة واما انا ذو الهمة العلية فكيف اقنع بهذه الفارة الدنيئة واعرض عن هذا الجمل الكبير قال هذا وسار دالفًا الى الجمل يتبع اثارهُ من محل الى اخر منتظرًا موتهُ او وقوعهُ في حفرة ليفترسهُ ولم يزل على هذه الحالة حتى مضى ثلاثة ايام ولم يحصل على نتيجة فعند ذلك ندم على ما فعل ورجع الى صيده الاول فلم يجدهُ فعاد

من ثم الى زوجته يتضور جوعاً فضحكت عليه وقالت له : ان الذي لا يقنع بقوته اليومي تكون عاقبته المشقة .

فلما سمع القزاز هذه الحكاية انتصح وقنع بما قسمه له الله تعالى من كرمه وجوده .

فلما وصل الببغاء الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال لها : يا سيدتي انما قصصت عليك هذه الحكايات كلها لتعلمي ان عاقبة الطمع وخيمة فلا تطمعي كثيراً بوصال حبيبك بل اقنعي بما يتيسر لك من كرم الله تعالى فاجابته قمر السكر قائلة

لا يعرف الشوق الا من يكابدهُ ولا الصبابة الا من يعانيها

فاعلم ايها الببغاء : ان الم العشق لا يعرفه الا الذي كابد اهواله فانت لم تذق للان شيئاً من ذلك ولهذا لا تعرف ما يقاسيه العاشق اذا كان محروماً من وصال معشوقه واما انا فقد اخطأت باتكالي عليك لم تثبر امور العشق حتى ترثي لحالي وتداوي علتي فاخذت من ثم تمطل من يوم الى اخر وتشغلني بحكايات وقصص لا معنى لها حتى احرمتني بغيتي وما زلت انتظر المكارم من اعدائها حتى اصابني ما اصاب الاعرابي مع الخليفة المامون . فسألها الببغا : وما هي حكايتها

حكاية

قالت قمر السكر: ان اعرابياً قصد يوماً ما الخليفة المأمون وقال له : يا امير المومنين قد عزمت على الحج الا انني لا املك دانقاً واحداً . فاجابه المأمون : اذا كنت لا تملك شيئاً فليس الحج فرضاً عليك فلماذا تكلف نفسك هذه النافلة . فاجابه الاعرابي : يا امير المومنين لقد اتيتك لتمن عليّ بالاحسان لا لكي تبين لي وجه المسائل الشرعية وواجبات الحج فاذا كان هذا نوالك فحسبي به مونة لعيالي فسر الخليفة بهذا الجواب اللطيف واجزل له العطاء

وانت ايها البغاء قد حكيت لك قصتي وما اصابني من الم العشق

والغرام فجاوبتني بحكاية الطير والذئب وحكاية ابن آوى والجمل واشغلتني اياماً كثيرة بهذه الحكايات وحلت بيني و بين مرامي فاذا كنت لا ترغب ان احظى بمشاهدة حبيبي فصرح لي بذلك لاكون على بينة من الامر . فاجابها الببغاء : سبحان الله قد صح ما قيل : ان كلام الحق مر فاذا كانت نصائحي والتمثيلات التي قصصتها عليكِ لم تقع لديك موقع الاستحسان فما عدت من الان فصاعداً اتكلم شيئاً فقومي واذهبي الى حبيبك ليحظى بوصالكِ وانني لمتأسف حيث قد ذهب تعبي باطلاً ولم اشغلك بالحكايات لاصدك عن حبيبك بل لاقوم منك المسالك لانك لست بخبيرة في احوال الدنيا واما انا فقد نظرت اشياء كثيرة واخذت من كلٍ منها انموذجاً ورايت في مدة قصيرة وقائع مختلفة فجنيت منها جزيل الفائدة حتى اصبحت واقفاً على ما قل وجل من هذه الامثال فتذللت لديَّ المصاعب التي تذل لها الجنود الباسلة وما ذلك الا من جودة العقل وحسن الاختبار وكنت اخشى من ان تقعي في شرك لا تستطيعي منهُ خلاصاً فتضحي مفضوحة حتى يوم القيامة ولهذا قصصت عليك الحكايات والامثال لتجني منها الحكمة والدراية حتى تأمني من الزلل لان الحكمة تخلص الانسان من اعظم البلايا كما تخلص العناق بالحيلة من يد الاسد عدوهِ فاعتذرت لهُ قمر السكر عما فرط منها وسألتهُ ما هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء : ان اسداً ما توطن في احدى الغابات وكان القرد سميره ومستشارهُ فيوماً ما سافر الاسد الى بعض الجهات واقام القرد وكيلاً عنهُ واوصاهُ بان يحافظ على ذلك المكان حق المحافظة واما القرد فلم يقدر على القيام بوظيفتهِ بل عجز عن حماية تلك الغابة من وطء الاجانب فدخلها يوماً ما العناق ولما راى فيها من المروج اللطيفة ما يقر الناظر ويسر الخاطر عزم على التوطن فيها فنظرهُ القرد ذات مرة وقال لهُ : لمَ هذه الوقاحة ايها العناق ولماذا لا تعرف حدك وتدوس ارض غيرك مع ان الواجب على

كل خليقة ان تعرف شانها وتحد قدرها ولا تتجاوز حدها فهذا المكان مختص بسلطان السباع ولسطوتهِ لم يتجاسر احد على ولوجهِ فلماذا انت تجاسرت على ذلك ولم تخش بأْس انتقامهِ فاجابهُ العناق: كيف تتجاسر ايها القرد مع دناءة شانك ان تقبل عليَّ بمثل هذا الكلام المهين مع انك على جانب عظيم من الحماقة فمن اين تعلم ان هذه الغابة هي ملك الاسد وممن تملكها حالة كونها ملكي اتصلت اليَّ بالارث من والدي من قديم الزمان فهل تظن انني اخاف من الاسد حتى تهددني بهِ فان كنت تظن الاسد ذا قوة عجيبة فما هو الاَّ كلب وسوف ترى انهُ لا يطبخ في مطبخي الا لحم السباع والنمر ومتى جاء الاسد اريك ما افعلهُ بهِ فلما سمع القرد هذا الكلام وراى ما عند العناق من الشجاعة والبسالة خاف منهُ وفر هاربًا فرجع العناق الى محلهِ واخبر زوجتهُ بذلك . فقالت لهُ: لا يوافق بعد الان ان نبقى في هذا المحل لانك تكلمت بحق الاسد كلامًا مهينًا فكيف نامن الان بأس انتقامهِ منا فيجب علينا ان نبارح هذا المحل قبل رجوعهِ لئلا يفتك بنا فاجابها زوجها: اطمئني بالآلانهُ ربما لا يكون هذا المكان ملكًا للاسد وان فرض انهُ ملكهُ فهو الان غائب فربما ان الله ينظر الينا بالطافهِ ويحول دوننا ودونهُ واذا فرض رجوعهُ فانا قادر بالف حيلة ان اتخلص منهُ فيجب علينا الان ان ننتهز هذه الفرصة لاجل الفرح والسرور فاجابتهُ زوجتهُ: انني اعلم يقينًا ان هذه الارض للاسد وما توهمتهُ من ان الاسد غائب وربما لا يرجع من سفرهِ فليس من اصابة الراي لانهُ ربما يرجع قريبًا ويعلم ما قذفتهُ بهِ حال غيبتهِ . وما تاملهُ من التخلص بالحيلة غير سديد لان الحيلة قلما تصادف خيرًا بل ربما تكون سببًا للهلاك كما يتضح لك ذلك من حكاية الذئب وابن آوى فسألها زوجها وما هي حكايتها

حكاية

قالت زوجة العناق: ان ذئبًا راى مرة ما وكر ابن آوى ولما وجدهُ خاليًا دخلهُ وتربص فيهِ وقال في نفسهِ. متى جاءَ صاحبهُ أثب عليهِ وافترسهُ ولم

تمض الا برهة قليلة حتى رجع ابن آوى الى وكرهِ لكنهُ لشدة تيقظهِ كان دائمًا يخاف على نفسهِ من كمينة او حيلة تهلكهُ فلما وصل الى باب الوكر بقي واقفًا في الخارج واخذ يخاطبهُ قائلاً: يا بيتي ومسقط رأسي ويا وطني الحبيب . . . . فلم يجبهُ احد فصرخ ثانيةً باعلى صوتهِ: يا بيتي انني كنت دائمًا اخاطبك وتجاوبني فلماذا هذه المرة قد لزمت السكوت فهذا آخر ما اخاطبك بهِ فان اجبت فحبذا ونعمت والا فانا راحل عنك. فلما سمع الذئب هذا الكلام قال في نفسهِ: وربما كان من خواص هذا الوكر ان يجيب صاحبهُ والان لزم السكوت لعلة ما فاذا لم اجاوب عنهُ فلا بد من ان يذهب هذا الملعون ويعود تعبي باطلاً فالاحسن اذًا ان اجاوب فعند ذلك صرخ من داخل الوكر: لبيك لبيك ياسيدي فلما سمع ابن آوى صوتهُ علم انهُ احتال عليهِ ليفترسهُ ولساعتهِ فرَّ هاربًا وذهب الى راعي غنم كان في جوار ذلك المحل واخبرهُ بان الذئب رابض في وكره وكان الراعي يترقب الذئب ليقتلهُ لانهُ اتلف لهُ جانبًا كبيرًا من الماشية فلما سمع الراعي كلام ابن آوي قام لساعتهِ مسرعًا واتى الذئب ليهلكهُ فلما وصل الى باب الوكر دحرج عليهِ حجرًا كبيرًا وحبس الذئب فيهِ فهلك جوعًا وعطشًا بالحيلة التي قصد ان يهلك بها ابن اوى

فلما سمع العناق هذه الحكاية قال لزوجتهِ: كيف تشبهيني انا الحكيم العاقل بالذئب الجاهل لانهُ لو كان ذا فهمٍ وادراك لما كان تكلم من داخل الوكر بل بقي صامتًا فانتن معشر الاناث لا تعرفن بحيلنا لان عقلكن لا يدرك ذلك فلا عدتِ اذًا تطرقين مسامعي بهذه الاحاديث التي لا معنى لها وبينما كانا يتحدثان على هذه الصورة سمعا صراخًا وعلما ان الاسد قد عاد من سفرهِ فقامت كل الوحوش على قدم وساق لملاقاتهِ وكان القرد في مقدمتهم فاخذ يقص على الاسد ما كان من وقاحة العناق وافترائهِ. فاجابهُ الاسد: ان هذه الوقاحة والجسارة ليست من العناق بل ربما تكون من غيرهِ من الوحوش الضارية التي تدعي بالقوة فيجب علينا من الان ان نكون على غاية الحذر فاجابهُ القرد

يا سلطان السباع هل يوجد في الدنيا من هو اقوى منك فلماذا خفت من هذا الامر وانا عالم يقينًا ان الذي افترى عليك هو العناق لانني نظرتهُ بعيني وسمعتهُ باذني فلا تجزع اذًا وقم بنا لننتقم منهُ فاجابهُ الاسد: لا يجال بفكري ان العناق يتجاسر على مثل هذا الكلام لضعفهِ ولما اتصف بهِ من الخوف ولكن ان الله فوق كل ذي علمٍ عليم فلا يجب علينا ان نتهافت على هذا الامر لانهُ ربما تكون شجاعتنا سبب هلاكنا اذ ربما يكون الذي فاه بمثل هذا الكلام يجني قد احتال علينا بالف حيلة ليهلكنا. قال هذا وقام قاصدًا بيت العناق و بمعيتهِ القرد وكان يلتفت يمنةً ويسارًا ليرى ما يعرض لهُ وكان دائمًا مستعدًا للهرب واما زوجة العناق فكانت وقتئذٍ تخاطب زوجها قائلة: ها قد وقعنا الان في البلية التي كنا ننتظرها فكيف العمل الان. فاجابها زوجها لا تخافي لانني اعرف كيف ادفع هذه البلية فاذا دنا الاسد من بيتنا فقولي لاولادك وعليهم ان يبكوا وعند ذلك اسالك انا عن سبب بكائهم فتجيبيني ان اولادك قد تعودوا على اكل لحم السباع وقد نفق من عندنا ولم يبقَ سوى لحم النمر الا ان اولادك لا ياكلون منهُ بل يريدون من لحم السباع لانهُ لذيذ جدًّا.

فعند ذلك وفد الاسد فاخذت زوجة العناق تبكي اولادها فسالها زوجها عن سبب بكائهم فاجابتهُ كما علمها سابقًا فقال لها ان في مطبخنا كثيرًا من لحم النمر فاذا لم ياكل الاولاد منهُ فاطعموهم من لحم الاسد الذي اتيتكم بهِ من يومين فاجابتهُ زوجتهُ: ان اولادك لا ياكلون من لحم السباع البايت بل يريدون لحمًا طريًّا فاجابها زوجها: اعطيهم الان من لحم الاسد البائت حتى يتيسر لنا اسد نقتلهُ وقد كان في هذه الغابة اسد الا انهُ غائب ويحتمل رجوعه قريبًا فاقتلهُ وآتيكم بهِ لانني من مدة طويلة انا احتال على قتلهِ فلما سمع الاسد كلام الارنب قال للقرد هل سمعت الان باذنك وتاكدت ما قلتهُ لك من ان الذي افترى علينا ليس هو العناق بل هو عدو قوي فيجب علينا ان نفر هاربين ونترك هذا المكان فاجابهُ القرد: يا سيدي ان الامر بخلاف ما توهمت لان هذا الحيوان هو

العناق الذي هو اضعف الحيوانات فلماذا خفت منهُ هلمّ بنا فترى من هو هذا العدو وبمثل هذه الكلمات جعل الاسد يتقدم لجهة بيت العناق فلما احس العناق بذلك علم ان القرد يحث الاسد على قتلهِ فاشار الى زوجتهِ ان تبكي اولادها كالاول ففعلت فقال لها: اما قلت لكِ ان تطعمي الاولاد من لحم الاسد الذي عندنا وعن قريب ننال الفرج لانهُ الان قد خطر ببالي امرٌ وهو انهُ كان في هذه الغابة اسد اقام الدعوى عليها فقصدت ان انتقم منهُ وكان غائبًا والان قد بلغني انهُ رجع من سفرهِ وقد تواطئت على قتلهِ مع القرد الذي هو سميره ومستشارهُ وقد تعهد لي القرد بان يحضره بين يدي بالمكر والحيلة لانهُ من اعز اصحابي فلعلهُ ينال توفيقًا من الله تعالى ويحضرهُ بين يدي لاقتلهُ وحينئذٍ يصير عندنا مونة كافية لنا ولاولادنا فاشكر القرد على سعيهِ واجعلهُ من اعز المقربين اليّ. فلما سمع الاسد هذا الكلام اشتد خوفهُ وانقد غضبهُ على القرد وقال لهُ: ياعدو الله لقد قصدت ان تهلكني بالحيلة والخداع واما انا فاني قاتلك قبل ان يظهر بحر حلمك قال هذا ووثب عليهِ وقطعهُ اربًا اربًا وبعد ذلك ولى هاربًا ليأمن من وثبة العناق عليهِ فتخلص العناق بهذه الحيلة وقضى عمرهَ في ذلك المكان عائشًا مع زوجتهِ واولادهِ بارغد عيش واتم هناء

فلما وصل الببغاء الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال: يا سيدتي قد قصصت عليك هذه الحكاية الطويلة لاعلمك طريق الحيل لكي تعتصي بها عند الاقتضاء فاذا كنت عاقلة حكيمة فيكفيك ما قلتهُ لكِ فقومي الان واذهبي الى حبيبك وذوقي لذة وصالهِ

فعند ذلك فرحت قمر السكر فرحًا عظيمًا وقامت لساعتها الا انها لما فتحت الباب رات قد اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فرجعت حينئذٍ خائبة واذ لم تنل مرغوبها اجلتهُ الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار بالبكاء والنحيب ولما اتى المساء اتت قفص الببغاء وقالت لهُ: الحمد لله لانني اكتفيت من

نصائحك وتعلمت حكايات كثيرة وقد مضت الليالي والايام ولم احصل على نتيجة فاسمح لي الان ان اذهب الى حبيبي . فاجابها الببغاء : يا سيدتي. لماذا تستاذنيني بالذهاب الى حبيبك وتفضين زهرة عمرك بالباطل الم تعلمي ما قيل : ان ثلاثة اذا مضت لا تعود : الكلمة اذا خرجت من الفم والسهم اذا رشق والايام اذا مضت فلا عدت اذاً تتاخرين ساعة واحدة لئلا تمر الايام ويزول معها جمالك الباهر بدون ان تنالي ادنى فائدة فاعملي بمقتضى نصائحي ولا تخافي شيئاً وكوني دائماً صادقة في مقالك متيقظة في اعمالك مبتعدة عن الغضب والعجلة لانه قد قالت الحكماء : اربعة امور يجب على الانسان الاحتراز منها الاول الغضب والثاني الكذب والثالث العجلة والرابع التهامل . واما العاشق فيصبر على كل شيء ما عدا فراق محبوبه فانه متى افترق عنه يعجل بالسعي اليه مع ان العجلة عاقبتها وخيمة والذي يزرع بالعجلة يحصد بالندامة ومن صبر نال المراد ولولا الصبر والتأني لما كانت الامرأة المسماة بلنكغريب تخلصت من يد النمر ونجت من الهلاك . فسالته قمر السكر وكيف كان ذلك

حكاية

قال الببغاء : ان رجلا شريراً كان عندهُ امراة حكيمة اسمها بلنكغريب وكان يعاملها دائماً بالقساوة فيوماً ما ضربها ضرباً مولماً واذ لم يعد لها طاقة التصبر اخذت ولديها وفرت في الليل هاربة من وجه زوجها وسارت ماشية الى ان وصلت الى برية قفرة وكان ذلك بعد انتصاف الليل وبينما كانت واقفة متحيرة نظرت بغتةً نمراً مقبلاً عليها فخافت خوفاً شديداً وقالت في نفسها لا غروَ انَّ هذا جزاء كل امراة تخرج من بيتها بدون اذن زوجها فتابت حينئذٍ وندمت على ما فرط منها وقالت في نفسها اذا انقذني الله من هذا الخطر فاتوب اليه توبة نصوحة واحتمل جور زوجي بطيبة قلب ولا اخالف قط رضاه واما الان فمالي سوى الاعتصام بالحيلة لانها اوفق من الهرب اذ انني اذا هربت فلا شك ان يتبعني هذا النمر بسرعة كلمح البصر ويفترسني

انا و ولديّ ولكن ان اعتصمت بالحيلة فربما انجو من شره قالت هذا وهتفت صارخة: قف عندك ايها النمر ولا تعجل بقتلي لان لي كلاماً اكلمك به فاصبر حتى اخاطبك بهذا الكلام وبعده فافعل بي ما تشاء. فتعجب النمر من هذا الكلام وقال للامراة: تكلمي بما تريدين فقالت له: ايها النمر العظيم الشان انني انا جاريتك من مدينة قريبة من هذا المكان وسبب خروجي ليلاً الى هذا المحل هو ان اسداً كاسراً قد تسلط على مدينتنا وقتل من اهلها عدداً وافراً فاتفق اهل المدينة لاجل حفظها من الدثار ان يقدموا لهذا الاسد كل يوم ثلاثة انفس ينتخبونهم بالقرعة فمن وقعت عليه القرعة اتوا به هذا المحل وتركوه فيه واليوم قد اصابت القرعة جاريتك هذه وولديها فاحضرونا الى هذا المكان ورجعوا الى محلاتهم وحيث قد حضرت الان طالباً صيداً تأكله فلا يليق بنا ان نحرمك منا غير انه يجب علينا ان نراعي الشرط الذي شرطه علينا الاسد ولذلك ارى من باب العدالة ان تأكل احد ولديّ وقسماً مني والباقي تتركه للاسد وبذلك نكون انصفناك وانصفناه فلما سمع النمر هذا الكلام خاف خوفاً شديداً من الاسد وتعجب من مروة هذه الامراة وقال لها: ايتها الامراة لم ارَ قط مثل هذا الكرم والمروة اللذين اتصفت بهما كيف انك تجودين بنفسك فديةً عن عدوك. فاجابته الامراة: يا سيدي من كان ذا مروة يحسن الى عدوه ليس فقط بالمال بل بالروح ايضاً وامثال ذلك كثيرة في صحف الاخبار وقد تذكرت الان حكاية لطيفة تطابق هذا الموضوع فان شئت سماعها فاقصها عليك. فتاق النمر لمعرفة هذه الحكاية وقال للامراة تكلمي بما عندك

حكاية

قالت الامراة: انه كان عند عمرو بن عبد العزيز احد خلفاء بني امية المشهور بالذكاء والحلم خادم كان مجبولاً على الغش والقساوة فيوماً ما سقى الخليفة كاساً مملوءة سماً ناقعاً فشربها ولم تمضِ الا برهة وجيزة حتى ظهرت آثار

السم في جسده فدعا حينئذٍ الخادم الذي سقاهُ وقال لهُ: ايها الشقي اخبرني الواقع دون تمويه هل انت الذي اقبلت على هذا الاثم الفظيع ام غيرك فاضطر الخادم ان يتكلم بالصدق فنظر الى الخليفة وقال لهُ يا مولاي ان عدوك فلان غرَّني بالمال حتى ارتكبت هذا الصنيع الفظيع فقال لهُ الخليفة: ايها الغلام الشقي ان هذا السم سيقودني الى القبر عن قريب ولو كنت انجو منهُ لكنت انعم عليك بانعامات وافرة واما اذا مت فلا بد من ان يقتلك من يرث تخت ملكي ليجعلك عبرة لغيرك فما زلت انا في قيد الحيوة اهرب من هذه المملكة لتنجو من القتل قال هذا واعطاهُ مالاً وافرًا واصرفهُ

فعند ذلك استتلت الامراة كلامها وقالت للنمر: واما انا فحيث انني معدة للموت فسيان عندي ان اكلتني انت او اكلني الاسد لان على كلا الامرين لا بد لي من ان اموت واود كثيرًا ان تاكلني انت خير من ان ياكلني الاسد لان الله تعالى قد اتاك لديَّ محبةً وافرة ولكن لك مني نصيحة واحدة وهي بعد ان تاكل فريستك لا تبقى في هذا المكان بل فر هاربًا لان لي اختًا ساحرة لم تعلم للان ان القرعة قد اصابتنا لنتقدم ضحيةً للاسد فمتى علمت ذلك لا بد من ان تاتي هذا المكان وتحرقهُ معا بمجاوره بواسطة سحرها فبالله عليك كل فريستك واذهب من هنا لتنجو من الحريق فلما سمع النمر هذا الكلام خاف خوفًا شديدًا من الاسد والحريق فشكر الامراة على مروتها وفر هاربًا وبينما كان سائرًا في الطريق صادف صديقهُ الثعلب فلما راهُ الثعلب خائفًا مضطربًا سالهُ عن سبب خوفهِ فاخبرهُ النمر بما حدث لهُ مع الامراة المار ذكرها فلما سمع الثعلب كلامهُ ضحك عليهِ وقال لهُ: سبحان الله قد صح فيك ما قيل ان كل شجاع احمق فانت على جانب عظيم من القوة غير انهُ لا عقل لك فهل كنت تعلم يا احمق ان ابن آدم مجبول على المكر والخداع وقد صح فيهِ ما قالهُ الشاعر

يعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منك كما يروغ الثعلبُ

واما نحن جنس الثعالب فكثيرًا ما يصفوننا بالحيل ومع ذلك فحيل ابن ادم اعظم من حيلنا لانهُ غالبًا يهلكنا بحيلهِ فيضع لنا فخًا ويقودنا اليهِ بالف حيلة فنقع فيهِ ونضحي اسراء بين يديهِ فهل نظرت الان كيف ان هذه الامراة قد تخلصت منك بالحيلة فمن كان ذا عقل فهل يترك هذه الفريسة العظيمة التي تيسرت لهُ فبالله عليك اترك هذه الحماقة وقم بنا في هذه الساعة لنذهب الى هذه الامراة ونفترسها فاجابهُ النمر: يا اخي ان ما قلتهُ لك عن هذه الامرأة هو صحيح فاذا اتت اختها الساحرة وارادت ان تحرق تلك الارض بسحرها فيمكنك انت ان تهرب بسرعة كليـة لخفة جسمك وتتركني وحدي لانني لثقل جثتي لا استطيع الهرب وفضلاً عن ذلك فقد عاهدت تلك الامراة وامنتها على نفسها فحفظ العهود من اهم الواجبات .واما الثعلب فبقي مصرًّا وقال للنمر: يا سيدي ان ما قالتهُ لك هذه الامراة لا صحة لهُ وان وجد صحيحًا فقطعي اربًا اربًا واذا كنت تخاف ان اهرب وتبقى وحدك فاربط رجلي برجلك وقم بنا سوية فبعد ذلك ربط رجلهُ برجل الثعلب وذهبا الى المحل الذي كانت فيهِ الامراة .واما الامراة فانها لما انصرف الذئب عنها اخذت تخاطب نفسها قائلة: انني اذا عجلت بالهرب فربما يندم النمر ويرجع اليَّ ليفترسني فمتى نظرني هاربة يتاكد خداعتي ولا يعود في وسعي ان اخدعهُ ثانية واتخلص بالحيلة فالاوفق لي ان ابقى هنا واذا رجع النمر فابادر الى احراق القصب الموجود في هذا المحل واخدعهُ بذلك . قالت هذا وجمعت حزمًا من القصب واحرقتها وصعدت على شجرة كبيرة وبعد برهة نظرت النمر بغتةً مقبلاً عليها ومعهُ الثعلب مربوط برجلهِ فعلمت حينئذٍ ان الثعلب قد حث النمر على افتراسها وعند ذلك هتفت من الشجرة صارخة باعلى صوتها ايها النمر الذي اتخذتهُ صديقًا مخلصًا كم نصحتك بان ترحل من هذه الارض فلماذا لم تذعن لنصيحتي المخلصة فانظر الان كيف ان اختي قد اتت الى هذا المكان واحرقتهُ وبواسطة سحرها قد تقمصت بصورة الثعلب صديقك المربوط

برجلك لتحتال عليك وتقودك الى الحريق فحذارِ من ان تدنو من هنا بل فرّ هاربًا لتنجو من الهلاك فلما سمع النمر كلامها ورأى النار مشتعلة ولى هاربًا كلمح البصر حتى غاب عن نظرها بلحظة واحدة وبقي الثعلب يتدحرج وراءهُ حتى تقطع اربًا اربًا وبهذه الحيلة الناجحة عن التاني تخلصت هذه الامرأة وولداها من الهلاك

فعند ذلك نظر الببغاء الى قمر السكر وقال لها: اذا كنت يا سيدتي عاشقة فاحذري من العجلة لانها كثيرًا ما تضر بالعشاق واذا كنت قد حفظت ما قلتهُ لكِ حتى الان من النصائح وراعيت شروطها فتنالين كلما ترغبين غير انهُ يجب عليكِ ان تحترسي من ان يطلع على اسرارك اعداء زوجك فيثلمون عرضك. فاجابتهُ قمر السكر: يا انيسي في كربتي وجليسي في وحدتي انت تعلم يقينًا ان اسراري في طي الخفاء وان نصائحك قد تمكنت في ذهني وسأسير بمقتضاها ولكن قد علمتني قبلاً كيفية معرفة الحسب والنسب واوضحت لي بعض امثال على سبيل التجربة وقلت ان معرفة ذلك تتوقف تارةً على المصاحبة وتارة على العزف بآلات الطرب غير انني ارى في اجراء ذلك صعوبة كلية لانني اخشى من ان لا اعرف الحسب والنسب بهذه الواسطة فعلمني اذًا طريقة اسهل من هذه. فاجابها الببغاء: ليس من طريقة لذلك اسهل من الامتحان وللامتحان حيلٌ كثيرة الا انك لا تقدرين على حفظها كلها فاذهبي الان الى حبيبك واستدي معهُ بالمعاشرة فمن كلامهِ تعرفين باطنهُ لان كل اناء ينضح ما فيهِ وعليهِ ان كل انسان يميل الى اصلهِ ويتكلم بلغة جنسهِ ويتضح لك ذلك جليًا من حكاية ابن آوى الذي تردى بثوب الطاووس فسألتهُ قمر السكر: وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: ان ابن آوى توطن مرة ما في جوار احدى المدن وكان من عادتهِ ان يذهب في الليل ويطوف في شوارع المدينة واسواقها ويلتقط

ما كان يصادفهٔ من فتات الخبز والعظام ففي ذات ليلة قام حسب عادتهِ واخذ يطوف في شوارع المدينة وبينما كان يفتش على فتات الخبز وجد دكان صباغ كان مفتوحاً فدخلهُ واخذ يفتش على شيء يأكلهُ فوقع في خابية دهان ولم يخرج منها بعد التعب حتى وقع في غيرها ولم يخرج من الثانية حتى وقع في الثالثة ومن الثالثة في الرابعة ثم وثم حتى الخامسة عشرة فانصبغ جلدهُ بالوان مختلفة ولما رجع الى وطنهِ تعجبت منهُ سائر الحيوانات واذلم يكونوا يعرفون من هو بالغوا في تكريمهِ وتبجيلهِ فلما راى ابن اوى تكريم الحيوانات لهُ فرح فرحاً عظيماً ولما سالوهُ من هو اجابهم: انا طاووس عليين وقد اجتنبت معاشرة اللئام والاسافل وتركت ابناء جنسي وانقطعت عن سائر الحيوانات فاصبحت مهيباً من الخاصة والعامة

فلما رات السباع والحيوانات غرابة هذا الحيوان اقاموهُ ملكاً عليهم وولوهُ على تلك الاطراف والنواحي وقدموا لهُ الخضوع والطاعة فجمع ابن آوى من كان منهم اشد قوةً وبسالةً كالاسد والذئب والنمر وغيرهم وقيدهم في خدمتهِ وكانوا جميعهم طائعين ارادتهُ ممتثلين امره

واما سائر الحيوانات والسباع فلم يكونوا يعرفون اصلهُ بل كانوا يسمونهُ طاووس عليين وكانوا يجتهدون في معرفة اصلهِ ويقولون لبعضهم: ما عسى ان يكون هذا الحيوان الذي اقيم ملكاً علينا ولم نكن ندري اصلهُ وحسبهُ ومن اي جنس هو مع ان الملك للسباع ورثوهُ من الاسد جدهم الاكبر فكيف يملك علينا حيوان مجهول النسب يدعى طاووس عليين فهل احد من اجداده تبوأ سرير السلطنة

فمضت على هذا المنوال مدة وجيزة وفي ذات ليلة بينما كان ابن آوى المتردي بثوب الطاووس جالساً على تخت سلطنتهِ وسائر السباع والوحوش وقوف بين يديهِ ينتظرون صدور امره ليلبوه بالطاعة والامتثال اذ وفد جماعة من جنس ابن آوى واخذوا يعوون باصوات مختلفة فلما سمع السلطان

صوتهم تحركت فيهِ النخوة الجنسية فاخذ يعوي نظير اخوتهِ بصوت عالٍ . فلما سمعت السباع والحيوانات صوتهُ علموا انهُ ابن آوى وعرفوا من ثم اصلهُ ونسبهُ فوثب عليهِ الاسد وقطعهُ اربًا اربًا وجلس على التخت الموروث لهُ من آبائهِ واجداده

فالان يا قمر السكر اعلمي ان كل انسان يرجع الى اصلهِ وان الالوان المستعارة لا تلبث ان تذهب بمدة وجيزة وقد تذكرت الان حكاية لطيفة تطابق هذا المعنى فاريد ان اقصها عليك لتجني منها فائدة عظيمة . فسالتهُ قمر السكر وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء : انهُ كان في قديم الزمان تاجر على جانب عظيم من الغنى والثروة فصار ينقص مالهُ رويدًا رويدًا حتى دبَّ الى مهدِ الفقر المدقع ولم يبقَ عندهُ سوى حمارٍ واحد غير ان هذا الحمار اصبح من شدة الجوع في حالة يرثى لها ولشدة ضعفهِ لم يعد قادرًا ان يخطو خطوةً واحدة . فشفق عليهِ التاجر وعزم ان يأخذهُ الى البرية ويتركهُ فيها ليقتات من المرعى غير انهُ خاف عليهِ من الوحوش الضارية ولهذا السبب البسهُ جلد اسد كان عندهُ ثم اخذهُ الى البرية وتركهُ فيها

فاقام الحمار في ذلك المحل اياماً طويلة وكانت كلما نظرتهُ الوحوش ظنتهُ اسدًا وفرّت منهُ هاربة فسمن من كثرة الاكل وزادت قوتهُ . فيومًا ما بينما كان سائرًا في البرية افضى الى كرم عنب فدخلهُ وصار يفتش على شيء يأكلهُ ولما رآهُ النواطير ظنوهُ اسدًا فخافوا منهُ خوفًا شديدًا وولوا هاربين وصعدوا على شجرة عالية وبينما كانوا على هذه الحالة وفد بعض الحمير واخذ ينهق حسب العادة المالوفة فلما سمع صوتها الحمار المتردي بجلد الاسد لم يتمالك من الاقتداء بها واخذ من ثم ينهق حسب عادتهِ فلما سمع النواطير صوتهُ علموا انهُ حمار استعار جلد الاسد فانحدروا اليهِ وربطوهُ بشجرة وبعد

انهم ضربوه ضرباً شديداً اخذوه وجعلوا يحملونهُ احمالاً ثقيلة

فالان يا قمر السكر اعلمي ان ظاهر الانسان يدل على باطنهِ فاذا كنتِ تريدين ان تعرفي طوية حبيبكِ فاذهبي اليهِ في هذه الساعة ومن كلامهِ تعرفينهُ . فقامت قمر السكر لساعتها الا انها لما فتحت الباب رأت قد اصبح الصباح واذ لم تنل مرغوبها اجلتهُ الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار بالحزن والتخيب ولما ظل المساء اتت قفص البيغاء وقالت لهُ : انهُ يظهر من كلامك المحبة والصداقة غير ان افعالك تغاير اقوالك وتريد ان تشغلني عن حبيبي وتفصلني عنهُ وتدعي انك تحافظ على ناموسي وعرضي مع ان العاشق لا يراعي هذا الامر ولا يخاف من ثلم العرض والناموس فما عدت اريد من الان فصاعداً ان اسمع كلامك ولا ان اطلب منك ان تبلغني مرادي . قالت هذا وصارت تشتمهُ بمثل هذا الكلام المهين . فاجابها البيغاء: ياسيدتي ان الغضب يجعلك ان تري كلام الحق مرًّا ولكن سوف تندمين على ذلك لانهُ قيل : ثلاثة امور يكون صاحبها ذليلاً اولها العناد لانهُ يجلب الخراب . ثانيها الكبرياء لانها تجلب العداوة . ثالثها الغضب لانهُ يجلب الندامة فاذا غضبت الان ياسيدتي فسوف تندمين اشد الندامة لانني اجدّ واسعى بكل قوتي لتحظي بوصال حبيبك كما حظيت محمودة بصاحبها اياس وسليمة بمحبوبها سالم . فسألتهُ قمر السكر: وكيف كانت هذه الحكاية

حكاية

قال البيغاء زعموا انهُ كان في قديم الزمان في مدينة سلستان ملك عظيم القدر والشان وكان لهُ ثلاثة وزراء فالوزير الاول كان لهُ ابنة اسمها محمودة والوزير الثاني كان لهُ ولد اسمهُ اياس فارسل الوزيران ولديهما الى المكتب بعد ان خطبا محمودة لاياس فتحاب الولدان وتعابدا عشقاً وهياماً حتى اضحيا مثل ليلى ومجنون وصارا يتقدمان في العمر حتى بلغا سن الرشاد فيوماً ما بينما كان الوزيران يتحدثان مع بعضهما قال احدهما للاخر: صار من الواجب

علينا ان نهتم بزواج ولدينا فاجابهُ الاخر بالايجاب واخذا يتا هبان للزفاف
غيران حكمة الله تعالى قضت في تلك الاثناء بوفاة زوجة الوزير الثالث
فحزن عليها زوجها ولما رأى ان لا بد لهُ من الزواج ثانيةً لانتظام حالة بيتهِ
اتى الى الملك واخبرهُ بوفاة زوجتهِ وقال لهُ : يامولاي انهُ من بعد وفاة
قرينتي اضحت احوال بيتي في غاية الخلل اذ ليس عندي من يحسن ضبط
ادارتهِ ولهذا التزمت ان اتزوج ثانيةً فارجوك اذًا ان تامر وزيرك الاول
ان يزوجني ابنتهُ وبذلك تنتظم احوال بيتي فاستحسن الملك كلامهُ ودعا
الوزير الاول وامرهُ ان يزوج ابنتهُ للوزير المشار اليهِ فاجابهُ الوزير الاول
بالايجاب لانهُ لم يستحسن ان يرفض ذلك او ان يقول لهُ ان الابنة مخطوبة
وعزم من ثم ان يزوج ابنتهُ للوزير الثالث وعين لذلك وقتًا معلومًا فلما بلغ
اياس هذا الخبر ادركهُ حزن عظيم وغم جسيم حتى بلغ درجة الهلاك وكان
يقضي الليل والنهار بالبكاء والنحيب ولا يريد ان يتعزى . هذا وكان لاياس
اخ اصغر اسمهُ سالم وكان سالم هذا عاشقًا ابنة الوزير الثالث المسماة سليمة
ولشدة هيامهِ بها اصبح ضعيفًا نحيفًا حتى صار اشبه بالخيال فيومًا من الايام
بينما كان هذان الاخوان جالسين سوية وكل منهما يشكو امره للاخر قال
اياس لاخيهِ : ياخي لا اطيق ان ياخذ الوزير معشوقتي وينال وصالها واعود
انا خائبًا لانني اذا نظرت ذلك بعيني فلا ريب ان اموت حسرةً فالاجدر
بي ان ارحل من هذه المدينة لانني وقعت بين شرين وهما اما الرحيل واما
الموت ولكنني اريد قبل ان اسافر ان ارى هذه الحبيبة نظرةً واحدةً ومتى
نظرتها تركت مسقط راسي وسافرت الى بلاد الناس . فاجابهُ اخوهُ سالم :
ياخي ان كلامك واقع بمحلهِ لان العشق يسلب العقل ولا يمكن تحملهُ ولكن
لا يخفاك ياخي انني احب سليمة ابنة الوزير الثالث وهي تحبني حبًا مفرطًا
فالان اذا كنت تريد ان تسافر فلا ادعك تسافر وحدك بل اغادر معشوقتي
واسافر معك لان هذه ارادة الله تعالى فما الحيلة بذلك غير انهُ الان يجب

علينا ان لا نعجل في ذلك بل يلزمك ان تحتمل بقدر الامكان لان اليوم المعين لزفاف محمودة لم يزل بعيدًا وقد قيل الليلة حبلى وقال الشاعر

ألا لا تحزنن اخا البلية فللرحمن الطاف خفية

وعليهِ فيجب ان ننتظر لنرى ما يكون من لطف الله تعالى فاجابهُ اياس : يا اخي ان كلامك لا فائدة منهُ لان الملك قد صدر امره فمن يستطيع صدهُ ولذلك لا ارى دواء لهذا الداء فاريد الان ان انظر محبوبتي لاودعها واكتشف على طويتها لكي اذا وجدتها محافظة على المحبة القديمة اموت مجبور الخاطر . فاجابهُ اخوهُ سالم : يا اخي الحبيب ان الذي ترومهُ هو امر سهل لانك تعرف ان العادة في المدينة ان ياخذوا العروس ليلة الزفاف لتزور ضريح الدرويش العاشق وعند وصول الناس الى هذا المزار المبارك تدخل العروس اليهِ وحدها وتتضرع الى الله ليقرن زيجتها بالتوفيق و يوليها مرادها فمتى زفت محبوبتك محمودة الي الوزير فتذهب في النهار وتختفي في زوايا قاعة الضريح ومتى انت في الليل لتزور قبر الدرويش فيمكنا ان نراها ونودعها وننتظر بعد ذلك ما يكون من قبل الله تعالى . فاجابهُ اياس : يا اخي لقد اصبت فيما نطقت ونصيحتك احق ان نتبع ولهذا صرنا نفعل كما اشرت

فلما اتى اليوم المعين للزفاف قام اياس واخوهُ سالم وذهبا نهارًا الى قبر الدرويش العاشق واختبيا في احدى زوايا المزار ولما ظل المساء اتوا بالعروس الى المحل المار ذكرهُ لتزور الضريح فدخلت وحدها الى المزار و بعد ان ركعت وصلت رفعت يديها نحو العلاء وهتفت بصوت الالم : ايها الاله المتعال الذي سكبت وبل انعامك على عبيدك انت الذي اوصلت يوسف الى يعقوب وانقذت خليلك ابراهيم من نار نمرود انت الذي انعمت على اسماعيل بكبش القربان واعطيت حواء الى آدم وزليخاء الى يوسف بلغني الى حبيبي اياس وانقذني من يد الوزير اللئيم والاَّ فارسل ملاك الموت ليقبض روحي في هذه الساعة . قالت هذا واخذت تبكي بكاء يفتت الاكباد

العناق الذي هو اضعف الحيوانات فلماذا خفت منهُ هلمّ بنا فترى من هو هذا العدو وبمثل هذه الكلمات جعل الاسد يتقدم لجهة بيت العناق فلما احس العناق بذلك علم ان القرد يحث الاسد على قتلهِ فاشار الى زوجتهِ ان تبكي اولادها كالاول ففعلت فقال لها: اما قلت لكِ ان تطعمي الاولاد من لحم الاسد الذي عندنا وعن قريب ننال الفرج لانهُ الان قد خطر ببالي امرٌ وهو انهُ كان في هذه الغابة اسد اقام الدعوى عليها فقصدت ان انتقم منهُ وكان غائبًا والان قد بلغني انهُ رجع من سفرهِ وقد تواطئت على قتلهِ مع القرد الذي هو سميره ومستشارهُ وقد تعهد لي القرد بان يحضره بين يدي بالمكر والحيلة لانهُ من اعز اصحابي فلعلهُ ينال توفيقًا من الله تعالى ويحضرهُ بين يدي لاقتلهُ وحينئذٍ يصير عندنا مونة كافية لنا ولاولادنا فاشكر القرد على سعيهِ واجعلهُ من اعز المقربين اليّ. فلما سمع الاسد هذا الكلام اشتد خوفهُ واتقد غضبهُ على القرد وقال لهُ: يا عدو الله لقد قصدت ان تهلكني بالحيلة والخداع واما انا فاني قاتلك قبل ان يظهر بحر حلمك قال هذا ووثب عليهِ وقطعهُ اربًا اربًا وبعد ذلك ولى هاربًا لياْمن من وثبة العناق عليهِ فتخلص العناق بهذه الحيلة وقضى عمرهُ في ذلك المكان عائشًا مع زوجتهِ واولادهِ بارغد عيش واتم هناء

فلما وصل الببغاء الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال: يا سيدتى قد قصصت عليك هذه الحكاية الطويلة لاعلمك طريق الحيل لكي تعتصي بها عند الاقتضاء فاذا كنت عاقلة حكيمة فيكفيك ما قلتهُ لكِ فقومي الان واذهبي الى حبيبك وذوقي لذة وصالهِ

فعند ذلك فرحت قمر السكر فرحًا عظيمًا وقامت لساعتها الا انها لما فتحت الباب رات قد اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح فرجعت حينئذٍ خائبة واذ لم تنل مرغوبها اجلتهُ الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار بالبكاء والنحيب ولما اتى المساء اتت قفص الببغاء وقالت لهُ: الحمد لله لانني اكتفيت من

فوجدتك على الارض اخبرني حقيقة الامر ولا تخفي عليّ شيئا . فاخبرها سالم بما جرى بينه وبين اخيه اياس ومحمودة فاجابته سليمة : ياموضوع حبي وسروري ليس لي في الدنيا مبتغى سواك وقد كنت اترقب هذه الفرصة المناسبة والحمد لله قد نلتها الان فيلزمنا ان نتبع اياس ومحمودة لنجتمع كلنا في محلٍ واحد قالت هذا واخذت ما كان عندها وعند ابيها من المال والجواهر وسارت مع معشوقها نحو قبر الدرويش العاشق فوجدا اياس ومحمودة متأهبين للسفر فسارا معهما بكل جهدٍ حتى الصباح الى ان وصلوا الى مدينة خارجة عن ولاية ملكهم فتوطنوا فيها وجمعوا ما كان معهم من المال واخذوا يتعاطون التجارة ثم بعد ذلك تزوج اياس بمحمودة وسالم بسليمة وقضوا حياتهم عائشين بارغد عيش واتم هناء

فلما وصل الببغاء الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال لها : اعلمي يا سيدتي ان جلّ مرادي ان ابلّغك الى حبيبكِ بمثل هذه الحيلة الاّ ان الحيلة لا تصادف في كل الاوقات نجاحًا ما لم يكن العاشقان ذوي حكمةٍ سامية واما اذا كانا كلاهما او احدهما جاهلاً فلا تصادف ابدًا نجاحًا لان الصديق الجاهل لا ينفع صاحبهُ بل يضرهُ ولهذا قيل : عدو عاقل خير من صديق جاهل واما انا فقد علمت يقينًا انك ينبوع الحكمة والفطنة واما معشوقكِ فلا اعرف اذا كان حكيمًا او جاهلاً فان كان حكيمًا فتكونين قد صادفت حظًا وافرًا واما اذا كان جاهلاً فيجب ان تعرضي عنهُ حالاً . فاجابته قمر السكر : ايها النصوح الشفوق قد عرفت الان خلوص محبتك وعلمت قيمة نصائحك واما قبل الان فما كنت اعرف قيمتها لان الهوى ختم على قلبي ولهذا كنت في بعض الاحيان اسيء اليك فاجتهد الان بان تبلغني الى حبيبي باقرب وقت لانني لا اعرف اذا كان عاقلاً او جاهلاً ولا ادري باية واسطة يمكنني ان اسبر امره واعرف خلّه وخمره . فاجابها الببغاء : ان لمعرفة عقل الانسان وطويته طرقًا شتّى واسهلها على ما قيل الحكاية الاتية وقد امتحن بها كثير من الناس . فسألته

قمر السكر: وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: ان تاجرًا غنيًا من مدينة كابل كان له ابنة اسمها زهراء وكانت بديعة الخلق كريمة الخلق وهكذا طلبها من ابيها كثير من الاشراف والاعيان فلم يرتض ابوها بذلك فشاع صيتها في الاقطار وفاق بالاشتهار على الشمس في رابعة النهار فيومًا ما اتى الى مدينة كابل ثلاثة فتيان من مملكة بعيدة وكانوا ممتازين بجمال الصورة وحسن المنظر وكان اسم الاول دلنواز والثاني رخش ساز والثالث تيرانداز وكانوا يدعون بالحكمة والمعارف فاتوا الى التاجر المشار اليه وطلبوا ابنته فسالهم التاجر عما يعرفونه من الآداب والمعارف فاجابه احدهم دلنواز: انني انا ياسيدي امتاز بعقلي وحكمتي ومعرفتي بالغيب والغوامض حتى انني اعرف ايضًا كلما يتصوره الانسان بفكره وقال الثاني رخش ساز: انني انا ممتاز بعلم الطلسم وقد اتقنت هذا الفن حتى صرت اصطنع حصانًا يركبه فارس ويتحرك الحركة الطبيعية ويقطع بيوم واحد مسافة شهر. ثم قام الثالث وقال: واما انا يامولاي فانني ممتاز برشق السهام وقد اتقنته بهذا المقدار حتى ان سهمي لايخطاء قط فقال لهم التاجر امهلوني بضعة ايام لاختار منكم زوجًا لابنتي فمن كانت نصيبه فتعطى له

وبعد يومين كان بالقضاء والقدر ان افتقدوا الابنة ليلاً فلم يجدوها فاخذ ابوها يفتش عليها في سائر الجهات فلم يجدها فحزن عليها حزنًا مفرطًا وقام لساعته واتى الى الثلاثة فتيان المار ذكرهم وقال لهم: واسفاه يااحبابي ان الزهراء مهجة فوادي قد توارت عني وفتشت عليها في كل المدينة فلم اجدها ولم ادر اهي حية حتى انتظرها او ماتت فابكي عليها فارجوكم ان تظهروا معارفكم وتعلموني اين هي. فلما سمعوا كلامه اطرقوا برهة ولبثوا متحيرين ففي اخر الامر قال احدهم دلنواز: انا اهديك الى ابنتك غير انني اريد الان ان اتكهن قال هذا واخذ ثوبه ووضعه على راسه وبقي راصدًا

ساعةً من الزمان ثم رفع الثوب عن رأسهِ وقال للتاجر: ياسيدي ان ابنتك قد اختطفها الجن واخذوها الى الجزيرة الفلانية ووضعوها في بئر عميقة لا يستطيع ابن آدم ان يتوصل اليها. فقام رخش ساز وقال: انني قادر ان اصنع الان مركبًا من الطلسم يسير سيرًا سريعًا واذا ركبهُ انسان فيصل الى ذلك المكان بساعة واحدة الا انهُ من الذي يركب عليهِ ويذهب الى الجزيرة المار ذكرها. فاجابهُ تيراندا ز: اصنع انت المركب وانا اركبهُ فاذهب واستخلص الابنة وارجع بها اليكم فعند ذلك قام رخش ساز وصنع المركب فركبهُ تيرانداز وعلق قوصهُ بكتفهِ وسار بسرعة لا يضاهيها مرور السحاب ولما وصل الى الجزيرة المار ذكرها وجد عددًا وافرًا من الجن فاوقع بهم الضراب والطعان وبعد مصارعة شديدة خرج من حومة الميدان ظافرًا واستخلص الزهراء ورجع بها فعند ذلك وقع نزاع عظيم بين هوءلا الثلاثة وكان كل منهم يدعي الابنة لنفسهِ

فعند ذلك نظر الببغاء الى قمر السكر وقال لها: احفظي ياسيدتي هذه الحكاية وقصيها على حبيبكِ واسأليهِ عمن هو الاحق بهذه الابنة من هوءلا الثلاثة فتيان فمن جوابهِ تعرفين عقلهُ وفطنتهُ. فاجابتهُ قمر السكر: اخبرني الان من هو الاجدر بهذه الابنة وبعد ذلك امتحن حبيبي. فاجابها الببغاء: ياسيدتي لما كنت اقص عليك هذه الحكاية تذكرت حكاية اخرى فاريد ان اقصها عليك وبعده اجاوبك عن الحكايتين ثم بعد ذلك تذهبين الى حبيبك وتمتحنينهُ بها. فسالتهُ قمر السكر: وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: زعموا ان ابن احد سلاطين الهند ذهب يومًا ما للسياحة خارج المملكة فنظر من العجائب والغرائب ما يبهج الناظر ويسر الخاطر فيومًا من الايام مر باحدى المعابد فنظر فيهِ ابنةً جميلة الصورة حسنة المنظر فشغف بها وهام بحبها وقال في نفسهِ: ان وفقني الله وجعل هذه الابنة نصيبي فاني

اضحي لهُ نفسي في هذا المعبد . ثم نظر بغتةً احد خدم المعبد فدعاهُ اليهِ وسألهُ عن هذه الابنة فاجابهُ : ان هذه الفتاة هي ابنة احد ملوك الهند . فعند ذلك رجع ابن السلطان الى بلده واخبر اباه بكلما رآه وقال لهُ : يا ابتِ ان لم تطلب لي هذه الابنة من ابيها فاموت حسرةً وتأسفًا فلما سمع ابوه كلامهُ حرّر رقيمًا الى ملك الهند يطلب فيهِ ابنتهُ لابنهِ وسلمهُ الى ابنهِ وارسلهُ اليهِ مصحوبًا بالهدايا الفاخرة والتحف النفيسة . فسافر ابن السلطان ولما وصل الى عاصمة الملك والد الابنة حظي بمقابلتهِ وسلمهُ رقيم ابيهِ مع التحف والهدايا التي اتى بها . فلما علم الملك مقصوده اجاب طلبهُ وزوجهُ ابنتهِ . فلما نال ابن السلطان مراده اقام مدة في تلك المدينة ثم عزم على الرجوع الى مدينتهِ فاخذ زوجتهُ وجهازها مع نفيس التحف والهدايا وسار مسافرًا و بعد بضعة ايام بلغ الى المعبد الذي مرَّ بهِ اولاً فعند ذلك نزل عن ظهر جواده وذهب الى المعبد مع راهب كان مرافقًا لهُ ولما دخل المعبد تذكر النذر الذي نذره سابقًا لما نظر الابنة التي اقترن بها فتقدم حينئذٍ امام الصنم الاكبر وقصد ان يفي بعهده لان امامهُ كانت توفى النذور فاستل سيفًا ماضيًا وضرب بهِ عنقهُ فانقطع وسقط على الارض مائتًا . فاتفق حينئذٍ ان الراهب لم يكن معهُ بل كان منعكفًا على الصلوة في زاوية المعبد ولما فرغ من العبادة اتى امام الصنم الاكبر ليفتش على ابن السلطان فوجدهُ مقتولاً ودمهُ سائل على الارض فعند ذلك حزن حزنًا شديدًا ودبت الرعبة في قلبهِ ولبث متحيرًا ثم قال في نفسهِ : اذا قلت ان الامير قتل نفسهُ فلا يصدقني احد بل يخال بفكر الناس اني حسدتهُ وطمعت بعروسهِ فقتلتهُ فاضحي حينئذٍ عرضة لغضب هذين الملكين ولا بد من ان يقتلني احدهما وفضلاً عن ذلك فانني قد ربيت بنعمة هذا الامير فلا يجب من ثم ان احيى بعدهُ . قال هذا وضرب عنقهُ بالسيف فانقطع ووقع على الارض مصبوغًا بدمهِ . ثم اتت الابنة الى المعبد و بينما كانت تجول فيهِ وصلت امام مذبح الصنم الاكبر فرأت زوجها والراهب مقتولين ودمهما سائل على الارض

فعند ذلك ارتعدت فرائصها خوفًا و بهتت متحيرة وقالت في نفسها : متى علم الناس ما صار بزوجي و رفيقهِ فلا غروَ انهم يقولون اني ولدت في طالع نحسٍ وكنت سببًا لقتلهما فالاجدر بي ان اقتل نفسي لانجو اولاً من العار ثم من الحزن الشديد الذي يعتريني على فقد زوجي . قالت هذا واخذت السيف لتضرب بهِ عنقها الا وقد سمعت صوتًا من العلاء هتف صارخًا : مهلاً ايتها الامراة اتركي دينكِ الباطل واقبلي الايمان الحقيقي وخذي هذين الرأسين وضعي كل رأسٍ في موضعهِ ثم بعد ذلك تضرعي الى الاله المتعال فيردهما الى الحيوة

فلما سمعت الامراة هذا الكلام تشرفت بدين الاسلام واخذت الرأسين المقطوعين و وضعتهما على البدنين غير انها لشدة فرحها سهت فوضعت رأس زوجها على بدن الراهب و رأس الراهب على بدن زوجها ثم اخذت تتضرع الى الله تعالى ليمن عليها بالحيوة . فاستجاب الله طلبها واحياهما فلما استيقظا من سبات الموت نظر كل منهما فرأى راسهُ على بدن الاخر فوقع حينئذٍ بينهما نزاع عظيم وصار كل منهما يدعي الابنة لنفسهِ

فلما وصل الببغاء الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال لها : يا سيدتي اسالي محبوبكِ عمن يجب ان يحكم لهُ بهذه الابنة هل لراس ابن السلطان او لبدنهِ. فقالت قمر السكر: ياسيدي اخبرني كيف يكون الحكم في هاتين المسألتين قبل ان اجرّب حبيبي بهما . فاجابها الببغاء: يا سيدتي ان الذي يستحق الابنة الزهراء من الثلاثة فتيان المار ذكرهم في الحكاية السابقة هو تيرانداز الذي استخلصها من الجن لان دلنوازعرف محل وجودها و رخش ساز اصطنع المركب السريع الحركة وكل هذا لا يجدي نفعًا لولا شجاعة تيرانداز الذي خاطر بحياتهِ حبًا بالابنة وعرّض نفسهُ للهلاك ولهذا السبب يكون اولى بهذه الابنة من رفيقيهِ

واما الابنة المحكي عنها في الحكاية الثانية فيجب ان يحكم بها لرأس ابن

الوزير لا لبدنهِ لان البدن لا يحتوي الأعلى البطن وغيره من الاعضاء غير المهمة واما الراس فهو رئيس الاعضاء ومحل الدماغ ومركز العقل والحكمة وبهِ يمتاز الانسان عن غيره لان المعالي تدرك بالعقول لا بالبدن ولله در من قال

لو لا العقول لكان ادنى ضيغمٍ ادنى الى شرفٍ من الانسانِ

ولربما طعن الفتى اقرانه بالراي قبل تطاعن الاقرانِ

فالان يا قمر السكر احفظي كلامي هذا واذهبي الى حبيبكِ وامتحني عقله بهذين السؤالين فان اجاب كما اجبت فهو حكيم عاقل والّا فهو مغفل جاهل والان حيث قد قرب الصباح فلا عدتِ تتأخرين بل اذهبي حالاً الى معشوقكِ

فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام فرحت فرحاً عظيماً وقامت لساعتها قاصدة حبيبها الا انها لما فتحت الباب رات قد طلع الصباح فرجعت عند ذلك خائبة واجلت نوال مرغوبها الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار بالتأسف ولما ظل الظلام اتت قفص الببغاء وقالت له: ايها الببغاء يلزم أن اذهب في هذه الساعة بلا تاخير الى حبيبي لانه كما انني مبتلية بعشقهِ فهو لا ريب مبتلٍ بحبي فلا يليق بي ان احرقه بنار الانتظار كما احرقته بنار الغرام فيجب عليّ ان اذهب اليهِ حالاً لاطفي لهيب فؤاده بزلال الوصال واتمتع انا بمشاهدتهِ لانه يحبني حباً مفرطاً. فاجابها الببغاء: ان كلامك مسلم بهِ لان الوفاء بالعهود من كرم الاخلاق الآن وجوب انجاز الوعد لا ينافي وجوب التأني في العمل لانه قيل: ثلاثة تجلب ثلاثة الاول القناعة فانها تجلب الغنى. الثاني الصبر في الشدائد فانه يجلب الراحة. الثالث تمني الشيء بصفاء قلبٍ ونية فانه يجلب حصوله فيجب عليكِ ان تتأني بسعيكِ الى حبيبكِ لتنالي من جهة وصالهِ وتنجي من جهةٍ اخرى من غضب زوجك لان ابنة ملك بابل حصلت تانيها اولاً على صديقها ثم على اموال وافرة. فسالته قمر السكر: وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء : زعموا ان احد البراهمة المدعو غلطنما الذي كان على جانب عظيم من جمال الصورة وحسن المنظر كان من عادته السياحة في المدن والبلدان . فيوماً من الايام وصل الى مدينة بابل فاعجبهُ ماؤُها وهواؤُها فمكث فيها وكان كل يوم يذهب للتقصف والانشراح في بساتين المدينة ففي ذات مرةٍ ذهب حسب عادتهِ للتنزه فوصل الى بستانٍ عظيم فيهِ كلما راق وشاق فدخلهُ واخذ يطوف فيهِ مسرحاً انظاره في بدائع رياضهِ . فاتفق حينئذ ان ابنة ملك بابل كانت تتنزه في البستان فوقع نظرها عليهِ ولما رأَت ما هو عليهِ من البهاء الفائق شغفت بهِ وهامت بحبهِ واما هو فلما رأَى هذه الابنة الجميلة وما هي عليهِ من الحسن والبهاء مال قلبهُ اليها وطار عقلهُ من خمرة الغرام واذا لم يكن عندهُ للصبر مجال خرج من البستان وانشد

ان الغرام هو الحيوة فمت بهِ صباً فحقك ان تموت وتعذرا

قال هذا وقام لساعتهِ ورجع الى مدينة بابل والغرام يتلاعج في فوادهِ وكانت في تلك المدينة عجوز ساحرة ماكرة تصنع العجائب بمكرها وتنقل الجبال بسحرها ولم يخلق مثلها قط منذ بداية العالم حتى انها فاقت بسحرها هاروت وماروت . فاتى اليها غلطنما وتقيد بخدمتها وكان يخدمها بكل همة ونشاط

فمضت على هذا المنوال ايام كثيرة وهو لا يفتر قط بخدمتهِ فيوماً من الايام قالت لهُ العجوز : ايها الشاب البديع الصورة انك لم تتقيد بخدمتي الاَّ لغرضٍ تريد الحصول عليهِ فاخبرني الان ما هي غايتك فانا ابلغك اليها لانني اضحيت بغاية الممنونية من خدمتك . فلما سمع غلطنما هذا الكلام انطرح على اقدامها واخبرها بانهُ ابتلى بعشق ابنة الملك . فقالت لهُ العجوز : يابني لم يخطر ببالي قط ان هذه هي غايتك بل كنت اظن انك تريد مني ذهباً ام جواهر او ما شابه ذلك واما طلبك هذا فسهل جدًّا لان ابلاغ العاشق الى معشوقهِ لا يتعبني اكثر من شرب الماء . قالت هذا واخذت خاتماً صغيراً

ان يضربوه ضرباً شديدا اخذوه وجعلوا يحملونهُ احمالاً ثقيلة

فالان ياقمر السكر اعلمي ان ظاهر الانسان يدل على باطنهِ فاذا كنت تريدين ان تعرفي طوية حبيبكِ فاذهبي اليهِ في هذه الساعة ومن كلامهِ تعرفينهُ . فقامت قمر السكر لساعتها الا انها لما فتحت الباب رأت قد اصبح الصباح واذ لم تنل مرغوبها اجلتهُ الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار بالحزن والنحيب ولما ظل المساء اتت قفص الببغاء وقالت لهُ : انهُ يظهر من كلامك المحبة والصداقة غير ان افعالك تغاير اقوالك وتريد ان تشغلني عن حبيبي وتفصلني عنهُ وتدعي انك تحافظ على ناموسي وعرضي مع ان العاشق لا يراعي هذا الامر ولا يخاف من ثلم العرض والناموس فما عدت اريد من الان فصاعدًا ان اسمع كلامك ولا ان اطلب منك ان تبلغني مرادي . قالت هذا وصارت تشتمهُ بمثل هذا الكلام المهين . فاجابها الببغاء: ياسيدتي ان الغضب يجعلك ان تري كلام الحق مرًّا ولكن سوف تندمين على ذلك لانهُ قيل : ثلاثة امور يكون صاحبها ذليلاً اولها العناد لانهُ يجلب الخراب . ثانيها الكبرياء لانها تجلب العداوة . ثالثها الغضب لانهُ يجلب الندامة فاذا غضبت الان ياسيدتي فسوف تندمين اشد الندامة لانني اجدّ واسعى بكل قوتي لتحظي بوصال حبيبكِ كما حظيت محمودة بصاحبها اياس وسليمة بمحبوبها سالم . فسألتهُ قمر السكر: وكيف كانت هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء زعموا انهُ كان في قديم الزمان في مدينة سلستان ملك عظيم القدر والشان وكان لهُ ثلاثة وزراء فالوزير الاول كان لهُ ابنة اسمها محمودة والوزير الثاني كان لهُ ولد اسمهُ اياس فارسل الوزيران ولديهما الى المكتب بعد ان خطبا محمودة لاياس فتحاب الولدان وتعابدا عشقًا وهيامًا حتى اضحيا مثل ليلى ومجنون وصارا يتقدمان في العمر حتى بلغا سن الرشاد فيومًا ما بينما كان الوزيران يتحدثان مع بعضهما قال احدهما للآخر: صار من الواجب

امام عيني لا يبرح من بالي لا ليلاً ولا نهاراً وانشدت

ولقد جعلتك في الفواد محدّثي — وابحت مني ظاهري لجليسي

فالكل مني للجليس موانسٌ — وحبيب قلبي في الفواد انيسي

وصرت من ذاك الحين اتوق لروْياه وكنت اطمع بوصاله واما الان فاقنع بمرور طيفه عليّ في المنام لانظرهُ مرةً ثانيةً وقالت

يا من سقامي من سقام جفونهِ — وسواد حظي من سواد عيونهِ

قد كنت لا ارضى الوصال وفوقه — واليوم ارضى بالخيال ودونهِ

فلما سمع غلطنا كلامها رفع الخاتم من فمهِ وفي الحال رجع الى صورتهِ الاصلية فعند ذلك عرفتهُ ابنة الملك وانطرحت عليهِ وعانقتهُ وسألتهُ عن احوالهِ فاخذ يقص عليها ما كان من امرهِ اولاً واخراً فلما سمعت الابنة حكايتهُ تعجبت من دهاء العجوز ومن حكمة غلطنا وحذاقتهِ وقضت معهُ مدة طويلة بارغد عيش واتم هناء الى ان طرأ عليها ما يكدر رواق الصفاء وهو انهُ كان للملك ولد بالغ فيوماً ما نظر كنة البرهمي تمشي في صحن الدار الذي كان مضيئاً بنورها فوقع الغرام في قلبهِ وصار يود ان يتخذها زوجة لهُ واخذ عشقهُ يزداد يوماً فيوماً حتى سقم جسمهُ وضعفت قواه فبلغ ذلك مسامع الملك فدعا ابنهُ اليهِ وسالهُ عن ذلك فاخبرهُ ابنهُ بما كان يختلج في قلبهِ من الغرام ولم يخفِ عنهُ شيئاً وقال لهُ: ان لم تزوجني هذه الابنة فلا بد من ان اموت فتحير السلطان من هذا الامر وقال في نفسهِ: ان زوجت ابني هذه الابنة فاكون قد خنت عهد زوجها وان لم ازوجهُ اياها فيموت حسرة وتأسفاً ومع ذلك فحبًا بولدي يجب ان اسال هذه الابنة لاطلع على سريرتها فدعاها اليهِ واخبرها بما كان من امر ابنهِ فاجابتهُ: يا مولاي انني انا جاريتك وفي قبضة يدك وليس لي مشيئة الاَّ مشيئتك غير ان زوجي الان غائب واتى ابوه وسلمني امانةً لسيدي الملك وذهب يفتش عليهِ فان كان زوجي في قيد الحيوة فلا يجوز ان اتزوج بغيرهِ والا فانا خاضعة لكلما تأمرهُ. فاستصوب الملكُ رايها

واصرفها من عنده

واما ما كان من امر ابن الملك فكان يزداد عشقه يوماً بعد يوم حتى اصبح في حالة الجنون فدعا الملك غلطنها وقال له: ان ابني جن من العشق فاريد ان تتزوجي بهِ حيث ان زوجك قد غاب ولا يعلم اين هو واذا كنت بيدنا امانة من البرهمي لا يجوز التصرف بها فالضرورة تبيح المحظورات فان رضيتِ ام لم ترضي فانا لا ادع ابني يهلك من شدة العشق لانكِ انما خلقتِ لاجل الزيجة. فلما سمعت الابنة كلام الملك صرّحت برضاها وطلبت مهلة ثلاثة ايام فامهلها

فقام غلطنها بعد ذلك واتى الى ابنة الملك معشوقته واخبرها بما كان من امره. فاجابته الابنة: ليس لنا حيلة في ذلك سوى الهرب فاستصوب غلطنها كلامها واستعد للفرار

فلما ظل الظلام قام غلطنها واخذ معشوقته وخرج من القصر خفية واتى بها الى العجوز المار ذكرها واخبرها بما كان من امره. فاجابته العجوز: يا ابني ارفع هذا الخاتم من فيك وضعهُ في فم ابنة الملك لان من خواص هذا الخاتم انه اذا وضع في فم رجل فيخال لمن يراهُ انه انثى والعكس بالعكس ففي النهار ضعهُ في فم الابنة حتى يخالها الناس رجلاً وفي الليل ارفعهُ من فمها وعد لمواصلتها فامتثل غلطنها امر العجوز وصار يفعل كما اشارت اليهِ

واما ما كان من امر الملك فانه بعد ان طلع الصباح علم بفرار ابنتهِ وغلطنها فارسل خدمهُ ليفتشوا عليهما فطافوا في سائر جهات المدينة فلم يروا لهما اثرًا فرجعوا الى الملك واخبروه بذلك فحزن حزنًا مفرطًا وقال: هذا جزاؤنا من الله تعالى لاننا قصدنا الخيانة ولم نرعَ الامانة فاستنزلنا هذه البلية على راسنا وفقدنا ابنتنا العزيزة. ولما آيس من وجدانها مزق ثيابه واخذ يبكي وينوح

واما غلطنها ومعشوقته فبقيا مع بعضهما مدة طويلة متمتعين بلذة الوصال

الى ان فرغ كيسهما ونفذ كل ما كان معهما من المال فذهبا الى العجوز الساحرة واخبراها بذلك فاجابتهما: كونا براحة فكرٍ من هذا القبيل لان هذا العوز انا اسدهُ. قالت هذا وتنكرت بصورة احد البراهمة واخذت غلطنا بيدها وذهبت به الى البلاط الملوكي وتقدمت الى الملك وقالت له: يا سيدي انني قبلاً اودعت عندك كنتي وذهبت لافتش على ولدي وها الان قد وجدته بعون الله تعالى فاسألك ان ترد لي امانتي. فتحير الملك من هذا الامر وقال لها: ان كنتك قد فرت هاربة من بلاطي هي وابنتي ولا ادري الى اين ذهبتا فلما سمعت العجوز هذا الكلام اخذت تبكي وتخرق ثيابها وتلطم راسها بيديها وتقول له: ان الملك امين من قبل الله تعالى على عباده وهذا اودعتك كنتي وقيدتها في خدمة حريك فكيف تجيبني الان بانها قد هربت ولا تدري اين هي فاذا كنت لا ترد لي كنتي فتكون سبباً لهلاكي. فخجل الملك من ذلك وامر بان يعطى لها عشرة الاف دينار صلحاً عن دعواها فاخذت العجوز هذا المال ورجعت الى بيتها فاعطتهُ الى غلطنا وعشيقتهِ وقالت لهما: متى نفق هذا المال تعالا اليّ فاعطيكما غيرهُ. فاخذهُ العاشقان وعاشا مع بعضهما زماناً طويلاً بارغد عيش الى ان اتاهما هادم اللذات ومفرق الجماعات

فلما وصل الببغاء الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال لها: هل نظرت يا سيدتي كيف ان ابنة ملك بابل ادركت غايتها بهذه الحيلة وحشدت اموالاً وافرة فاقتدي بها حتى تنالي وصال حبيبك دون ان تخسري صداقة زوجك واذا حفظت وصيتي فتدركي غايتك والا فتخسرين الصيت الحسن وتكتسبين سمعة رديئة فاجابته قمر السكر: ايها الببغاء لا يسعني ان اسلك بمقتضى نصائحك كلها لان ما اوصيتني به من وجوب التأني والاصطبار لا يمكنني ان اعمل بموجبه اذ انهُ يأول بي الى نكث العهود وخيبة الآمال وقد قيل: اربعة لا يصادفون في الدنيا الا بغضاً وخيبة الحكيم الكاذب والغني البخيل والعالم المتصف بالطيش والعاشقة الخالية من الادب. واما انا

والحمد لله فاني قد حافظت حتى الان على ادبي غاية المحافظة وخير لي ان اهلك من الم العشق من ان اخسر هذه المزية الفريدة . فاجابها الببغاء : ان كلامك هذا لا معنى له فان الصلاح ممدوح في حد نفسهِ الا ان عشقكِ قد بلغ درجة الكمال وعند الاقتضاء لا بأس ان تقتدي بملك زابل الذي مات لاجل معشوقتهِ محروسة . فسألته قمر السكر وما هي حكايتها

حكايــة

قال الببغاء : زعموا انهُ كان في مدينة زابل تاجر ذو ثروة عظيمة وكان عنده جارية صغيرة اسمها محروسة فرباها مع اولاده وعلمها القرأة والكتابة حتى بلغت في التربية درجة الكمال ولما بلغت السنة الاثنتي عشرة من سنتها كمل حسنها وجمالها واضحت بديعة في خلقها وخصالها ففاقت جميع القينات الحسان ولم ترَ مثلها عين الزمان فطلبها كثيرون من ارباب الدولة واعيان المملكة غير انهُ لفرط حسنها وجمالها لم يستطع احد على دفع قيمتها

هذا وكان في تلك المدينة امرأة تتردد على البلاد الملوكي فسمعت يوماً ما يذكر محروسة فحبتها قبل ان تراها وبينما كانت ذات مرة عند الملك اخذت تخبرهُ عن محاسن هذه الابنة التي لم تكن تبرح قط من بالها . فلما سمع الملك هذا الخبر دعا وزراءهُ الاربع واخبرهم عن الابنة المار ذكرها وقال لهم : انني ارغب ان اتزوج بها فاريد من ثم ان تذهبوا الى بيت التاجر وتنظروها فاذا كانت بالواقع كما سمعت عنهــا فاشتروها لي واحضروها الى هنا وبذلك تغنمون محظوظيتي

فقام الوزراء لساعتهم وذهبوا الى دار ذلك التاجر واخبروهُ عما امرهم بهِ الملك وطلبوا منهُ ان ياتيهم بالجارية لينظروها فقام التاجر لساعتهِ واتاهم بها فلما راوا ما هي عليهِ من البهاء والجمال اخذهم العجب والاندهال الا انهم حيث كانوا على جانب عظيم من الحكمة اختلوا مع بعضهم للمشاورة وقالوا اذا نظر الملك هذه الابنة فلا ريب بانهُ يتعلق بها تعلقاً شديداً ولا يعود يفتكر

في مهام السلطنة وامور الدولة ومن كون الواجب علينا ان نراعي خير الملك وصالح الرعية فلا يوافق ان نشتري له هذه الجارية بل الاجدر بنا ان نتركها ونرجع الى الملك ونقول له ان هذه الجارية ليست كما وصفوها لك بل هي قبيحة الصورة لا تليق بعظمتك الملوكية فحينئذٍ لا شك في انه يعرض عنها ولا يعود يشتريها . فقر رايهم على ذلك شحاً بمصلحة الرعية وقاموا لساعتهم ورجعوا الى الملك واخذوا يذمون الجارية قائلين له بانها قبيحة المنظر وان اقل جارية في حرمه اجمل منها وفضلاً عن ذلك فانها عارية من الآداب لا تليق ان تكون زوجة له وانه اذا تزوج جارية غريبة وكريهة المنظر فيكون ذلك منه ناتجاً عن عدم الهمة واكثر ما يحتاج اليهِ الانسان في الدنيا علو الهم وكرم الشيم لان بهما ادرك ملك خطا منتهى الاوطار . فسالهم الملك وكيف كانت حكايته

حكاية

قام الوزير الاول وقال : انهُ كان في ولاية خطا ملك عظيم الشان فيوماً ما اتى اليهِ رجل وقال ان معي هدية للملك فادخلوهُ بين يديهِ واما هديتهُ فكانت قصعة من الخشب فقدم الهدية للملك فقبلها منهُ واعطاهُ مالاً وافراً واصرفهُ

فلما اتى الليل رقد الملك فراى في الحلم امراة جميلة المنظر فاتت اليهِ وقالت لهُ : انني انا صورة مالك قد اتيت الان لاودعك لانك لا تعرف قيمتي بل تعطيني لمن لا يستحقني وفي الامس صرفت مالاً وافراً لاجل قصعة من الخشب لا تساوي فلساً واحداً ولذلك لم تعد جديراً بصداقتي فانا راحلة عنك وراغبة في غيرك قالت هذا وسكتت . واما الملك فلم يجزع بل اتكل على علو همتهِ وزجر الامرأة وقال لها . ارحلي عني واذهبي الى حيث تريدين وبعد حين علم الملك ان ما رآهُ في الرؤيا تم فعلاً فان واردات المملكة اخذت تتناقص مع تمادي الايام حتى فرغت صناديق الخزينة وصارت المالية على اسوإِ حال

ثم بعد ايام حلم الملك مرة ثانية فراى في الحلم رجلاً جميل المنظر اتي اليهِ وحياه بالسلام وقال لهُ: انا صورة قوتك الجسدانية وحيث لم ارَ منك الا كرهًا فقد عزمت ان اتركك واذهب الى سواك لانك لا تعرف قيمتي واما الملك فلم يحفل بهِ بل قال لهُ: انني في غنى عنك فارحل الى حيث تشاء . وصار الملك منذ ذاك الحين ينحل جسمهُ يومًا بعد يوم حتى صار اشبه بالخيال

ثم بعد مدة حلم الملك حلمًا ثالثًا فراى شابًا جميل الصورة تقدم اليهِ وقال لهُ: انا صورة همتك فاريد ان ارحل عنك . . . . فلما سمع الملك هذا الكلام انطرح عليهِ وتعلق باذيالهِ وقال لهُ: بالله عليك لا تتركني . فلما راى هذا الشاب ان الملك متعلق بهِ رجع اليهِ وقال لهُ: يا سيدي حيث انك لا تريد ان تنفصل عني فانا ايضًا لا اريد ان انفصل عنك وما دمت انا متصلاً بك فلا يعوزك شيء بل بواسطتي تحتشد الاموال ويسترجع جسدك القوة التي فقدت منهُ قال هذا وتوارى عنهُ . فاستيقظ الملك من نومهِ فوجد جسدهُ بالصحة الكاملة وصارت يومئذٍ واردات الخزينة تتزايد يومًا بعد يوم

فلما وصل الوزير الى هذا المقام نظر الى السلطان وقال لهُ: يا سيدي قد قيل ان المرء يطير بهمتهِ وعليهِ فان الهمة تحملهُ بجناحيها الى اوج العلا وتجعلهُ ان يقتحم المخاطر ويدوس المهالك حتى ينال غاية المنى ويدرك منتهى الاوطار. قال هذا واخذ هو ورفيقاه يخاطبون الملك بمثل هذا الكلام ليعرض عن الجارية المار ذكرها فنجح سعيهم واعرض الملك عنها ولم تعد تخطر ببالهِ

واما ما كان من امر التاجر سيد محروسة فانهُ لما آيس من ان يتزوج الملك جاريتهُ زوجها من محافظ القلعة الذي كان داره في جوار قصر الملك

واما محروسة فتعجبت من اعراض الملك عنها وقالت في نفسها: لماذا اعرض الملك عني ولا مثل لي في البهاء والجمال فربما ان الوزراء قالوا لهُ

انني قبيحة المنظر فاريد من ثم ان اكذ بهم لديه بظهوري امامه ولو مرة واحدة ليرى ما انا عليهِ من الحسن والجمال

فيومًا ما نظرت الملك جالسًا في الشباك الذي يطل على بيتها فقامت عند ذلك وتزينت بالثياب الثمينة واخذت تمشي وتميس امامه متجاهلة عن روياه فلما نظر الملك هذه الابنة وما زينتها بهِ الخالق من البهآء والجمال كاد عقله يطير من راسهِ وفي الحال شعر بوقوع الغرام في قلبهِ فسال من هي فاجابوه انها محروسة جارية التاجر وان سيدها زوجها من محافظ القلعة فلما سمع الملك هذا الكلام هتف صارخًا : ويحًا لي لانني لم ارَ بعيني فقد اعتمدت على من خدعني واوقعني في شر بلية

فيومًا ما اتى الى السلطان وزراوهُ الاربع المار ذكرهم ليعيدوه فراوا مكتوبًا على صفحة قلبهِ هذا البيت

فعش خاليًا فالحب راحتهُ عنا   واولهُ سقمٌ واخرهُ قتلُ

فعرفوا من ثم ان مرضهُ من الم العشق وان لا دواء لهُ سوى الوصال فتقدموا اليهِ وقالوا له : يا مولانا ان الذي قلناه لك قبلاً عن هذه الابنة هو الواقع وبالحقيقة لم نرَها في ذاك الحين على ما وصفوها من الجمال واما حيث قد سبق قلبك وهواها فظهرت لدى عينيك جميلة جدًّا واما بالحقيقة فانها قبيحة المنظر فاذا كنت متعلقًا بها فنحن جميعنا نفيدك بارواحنا وان شئت فاننا نحمل زوجها على ان يطلقها وان ابى فنقتلهُ: فاجابهم الملك حاشا ثم حاشا ان ارضي هوى نفسي بارتكاب هذا الاثم الفظيع فخير لي ان اموت شهيد الحب والغرام من ان ادنس عرض غيري لانهُ قيل : من عشق وكتم ثم مات فقد مات شهيدًا . قال هذا وصار مرضهُ يزداد يومًا بعد يوم حتى اشتدت عليهِ في اخر الامر سكرات الموت فقضى نحبهُ

واما ما كان من امر محروسة فانها لما بلغها خبر وفاة الملك قالت في نفسها : ان هذا الملك العظيم قد مات قتيل هواي فكيف يسعني ان احيى

بعده يوماً واحداً فلا اجدر بي ان اتبعهُ الى القبر. قالت هذا وقامت لساعتها وانت تربة السلطان وضحت نفسها على قبره .

فلما وصل الببغاء الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال لها : اذا كان مرادك يا سيدتي ان تقتدي بمحروسة المار ذكرها فهذا امر فوق الامكان لان بينك و بينها بوناً بعيداً فقومي اذاً في هذه الساعة واذهبي الى حبيبك فعند ذلك قامت قمر السكر قاصدة حبيبها الا انها لما فتحت الباب رات قد طلع الصباح واشرقت الشمس على الهضاب والبطاح فرجعت خائبة واجلت نوال مرغوبها الى الليلة التالية . فقضت ذاك النهار باكية نائحة ولما ظل الظلام اتت قفص الببغاء وقالت : هل لا تسمح لي ايها الببغاء العاقل ان اذهب الى حبيبي لان الشوق اضنى فوادي وخامرني الريب والاشتباه فاجابها الببغاء : وما هو سبب هذا الاشتباه فاذا كنت في ريب من معشوقك فهذا واقع بغير محلهِ لانك للان لم تنظريه ولا تزالين جاهلة سيرتهُ معك . فاجابتهُ قمر السكر : لست بمرتابة بهذا الامر بل انني خائفة من ان يعود زوجي من سفرهِ ويعرف ما كان من امري حال غيبتهِ فكيف تكون حالتي وقتئذٍ وكم يعتريني من الخوف والخجل لانهُ لا شك يطردني من بيتهِ واضحى منفضوحة امام العالم كلهِ فهذا الذي يوجس افكاري شر القلاقل . فاجابها الببغاء : يا سيدتي ان هذا الكلام لا معنى لهُ ولا شك انك تكلمت بهِ على غير انتباه فكيف تخافين من هذا المحذور واما ذو الهمة العالية والحيل الممتازة آخذ بيدك ومهتم بمساعدتك فلا تنفكي عن الصفاء والانشراح ومتى عاد زوجك من سفرهِ فانا اخدعهُ كما خدعت زوجها تلك الامراة المسماة شهرآرام . فسألتهُ قمر السكر : وكيف كانت حكايتها

حكاية

قال الببغاء : زعموا انهُ كان في مدينة نيشابور تاجر رزقهُ الله من الغنى اوفره الا انهُ كان على جانب عظيم من الحماقة وكان لهُ زوجة اسمها شهرآرام

قد ابتلت بعشق شاب جميل الصورة وكان سائر اهل المدينة يعرفون احوالها ويتحدثون بها في سائر المجالس حتى بلغ اخيراً هذا الخبر مسامع زوجها فقال في نفسهِ: يجب ان امتحن زوجتي واتحقق هذا الخبر فان كان صحيحاً فاطلقها واطردها من بيتي

ففي ذات ليلة اختفى في زاوية كشك البيت بعد ان ودع زوجتهُ وقال لها انهُ مسافر لاجل التجارة واخذ يترصدها من الكشك ليرى ما يكون من امرها ففي اثناء ذلك اتى عاشقها اليها وجلس يغازلها وبينما كانا على تلك الحالة وقع نظرها بغتة على زوجها فخافت جداً ورات ان تعتصم بالحيلة فقالت لعاشقها: ان زوجي واقف في الكشك وناظر الينا فاريد ان احتال واكلمك على مسمعهِ بكلام يدل على الطهارة ومتى فرغت من الكلام اذهب من هنا حالاً. ثم نظرت اليهِ وقالت لهُ: يا سيدي قد اصبحت الان اخالي في هذه الدنيا وفي الاخرة بعهد الله تعالى فارجوك ان لا تنظر اليَّ بعين الشهوة لاني دعوتك لامر مهم وان يكن ظهوري امامك محرم الا ان الضرورة تبيح المحظورات فمن بضعة ايام سافر زوجي لاجل التجارة فاسفت لفرقتهِ وبينما كنت راقدة رايت في الحلم رجلاً ذا لحية بيضاء الا ان وجههُ يضيء كالشمس فتقدم اليَّ وقال لي: ان زوجك قد دنا اجلهُ وبعد ايام قليلة يشرب كاس المنون فلما سمعت هذا الكلام ارتعدت فرائصي خوفاً ووقعت مغشياً عليَّ فقام هذا الرجل لساعتهِ ووضع راسي على ركبتيهِ واخذ يفركهُ بيدهِ حتى فقت فقال لي يا ابنتي اذا كنتِ تريدين ان ينجو زوجك من الموت فانا اعلمك ما يجب أن تصنعيه غير انهُ يجب عليك ان تحفظي وصيتي. فحلفت لهُ يميناً بان احفظ وصيتهُ وسالتهُ ما الدواء فاجابني: يجب ان تصاحبي رجلاً من غير اقاربك وتجعليهِ بمقام زوجك ولكن لا تنظري اليهِ الا بعين الطهارة واياك ان تنظري اليهِ بعين الشهوة فاذا حفظتِ وصيتي فينجو زوجك من الموت بامر الله تعالى فالان لئلا احنث بيميني ومحافظة على حيوة زوجي دعوتك اليَّ وجعلتك

مقامهُ فارجوك ان لا تنظر اليَّ بعين الشهوة كما انني لا انظر اليك الا بعين الطهارة فقم الان وارجع الى بيتك فاجابها الشاب : قد صرت لي اختاً في هذه الدنيا وفي الاخرة ولا انظر اليك قط بعين الشهوة قال هذا وانصرف عنها فانت شهر آرام الى مضجعها ونامت .

واما ما كان من امر زوجها فانهُ اتى من الكشك ودخل مخدعها ورقد بجانبها فلما شعرت بهِ تظاهرت بالرقاد ثم استيقظت وقالت لهُ : اي متى كان قدومك السعيد فاجابها قائلاً : يا قرة عيني وموضوع حبي وسروري اسال الله تعالى ان يمتعني بطول بقائك لاني قد سبرت احوالك فتاكدت طهارتك وتيقنت كذب ما تقرر لي من الحاسدين لانني تظاهرت بالسفر واتيت فاختفيت في زاوية الكشك ورايت بعيني كلما جرى بينك وبين ذلك الشاب ولما نظرتك معهُ اولاً بات فكري منشغلاً الا انهُ لما جلست تقصين عليهِ ما رايتهِ في الرويا تاكدت برارتك وبرارتهِ فاحببتهُ حباً مفرطاً وصار كاخٍ لي في هذه الدنيا وفي الاخرة فاريد ان يتردد علينا بكل دالة وما عدت اريد من الان فصاعداً ان اصغي الى كلام الناس لاني سبرت وشايتهم فقاتلهم الله انى يؤفكون . فلما سمعت الامرأة هذا الكلام فرحت فرحاً عظيماً ودعت صديقها فصار يتردد عليها كل يوم وقضت معهُ زماناً طويلاً بالصفاء والانشراح

فلما ختم الببغاء كلامهُ قالت لهُ قمر السكر : ان كلامك واقع بمحلهِ لان الحيلة تدفع اعظم البلايا غير ان هذه الحكاية لا تناسب واقع حالنا لان ذاك التاجر كان على جانب عظيم من الحماقة حتى خدعتهُ زوجتهُ بهذه الحيلة واما زوجي فانهُ حكيم عاقل فيستصعب خدعه فصرت اخشي من ان يحضر ويطلع على سريرتي اذ لا يمكنك ان تقلع الشبهة من قلبهِ لانهُ على جانب عظيم من الحكمة والدراية ومن جهة اخرى ارى نار الغرام تتزايد في فوادي يوماً بعد يوم ولو كان يمكني الاصطبار ولو قليلاً لكنت خرجت من طريق العشق فاجابها الببغاء : لاي سبب يا سيدتي تخامرك هذه الافكار الفاسدة والذي

تولى ادارة امورك قد اتصف بحكمة فائقة وحذاقة غريبة فبددي من قلبك غيوم الكدر واحفظي وصيتي فلا يطلع زوجك على اسرارك بل تبقى احوالك مستترة حتى على الذين في بيتك لانهُ نظرًا لحذاقتك يمكنا ان تخدع زوجك باعظم سهولة كما خدعت زوجها الامرأةِ المار ذكرها واما ما قلتهِ من ان زوجك حكيم لا يغش فواقع بغير محلهِ لانني لو قصدت ان اخدعهُ لكان ذلك امرًا سهلاً فالان بددي هذه الاوهام من افكارك لانهُ يجب على العاشق ان يتصف بالشجاعة لكون التاجر الجبان لا يجني ربحًا والذي يخشى من اسهم السنة الخلق لا يدخل مضمار العشق فاتصفي الان بالشجاعة واذهبي الى معشوقك في هذه الساعة لانهُ كما لا يستغني الرجل عن زوجتهِ كذلك لا يستغني العاشق عن معشوقتهِ وكما ان الامرأة مهما اجتنبت الزواج لا بد من ميلها اليهِ فكذلك العاشق مهما اجتنب معشوقتهُ لا بد من ان يعود اليها فكم قد تمنعت ابنة ملك الروم عن الزيجة ثم مالت اليها ورغبت فيها . فسالتهُ قمر السكر: وما هي حكايتها

حكاية

قال الببغاء : زعموا انهُ كان في مملكة الصين ملك عظيم اسمهُ فغفور وكان عندهُ وزير عاقل خبير بامور السياسة وكان هذا الوزير يتردد على الملك بكل دالة . فيومًا ما دخل عليهِ حسب عادتهِ وكان الملك وقتئذٍ مضطجعًا على سريرهِ وغارقًا في بحار النوم فاستيقظ من حركة الوزير وقام لساعتهِ واستل سيفًا وهجم عليهِ ليقتلهُ ففر الوزير هاربًا لقاعة الندماء فتبعهُ الملك وقلبهُ يتميز من الغيظ فلما راهُ الندماء على هذه الحالة انطرحوا على اقدامهِ وخلصوا الوزير منهُ . فلما ارعوى الملك سألوهُ ما الذي اهاج غضبهُ فاجابهم . انني رايت في الحلم ابنةً جميلة المنظر جالسة في بستان لم ترَ عيني قط مثلها وبينما كنت متمعًا سرورًا من هذا المنظر البهج دخل عليَّ الوزير بغتةً فاستيقظت من نومي وعدمت اللذة التي كنت متمتعًا بها

واما الوزير فكان على جانب عظيم من الدراية وكانت لحكمته تذل المصاعب ولديه تهون المتاعب وفضلاً عن ذلك فانه كان بارعاً في فن التصوير واذ ذاك رأى ان يداوى عشق سيده الملك فتقدم بين يديه وسأله ان يخبره عن اوصاف الابنة التي راها في الحلم فاخبره الملك عن ذلك منصلاً ووصف له البستان الذي كانت جالسة فيه فذهب الوزير بعد ذلك الى بيته وصوّر صورة الابنة المار ذكرها جالسة في البستان الذى وصفه الملك ولما انجز العمل بنى قبة جميلة في احدى الشوارع ووضع صورة الابنة فيها وصار يسال الشارد والوارد عن هذه الابنة ليعرف من هي

فيوماً من الايام مر سائح غريب في ذلك المكان فلما راى التمثال اخذه العجب والانذهال ووقف باهتاً متحيراً فساله الوزير عن سبب ذلك فاجابه: ياسيدي قد ادركني العجب لان هذا التمثال يشابه ابنة ملك الروم فنرح الوزير عند ذلك وسأله عن حالة هذه الابنة واوصافها . فاجابه السائح: ان هذه السيدة هي على جانب عظيم من الحسن والجمال ومع ذلك فانها مجتنبة الزيجة لانها كانت يوماً ما تتنزه في احدى البساتين فرات في كعب شجرة عش طاووس وفيه فراخ كثيرة فكان بالقضاء والقدر ان احترقت هذه الشجرة فعند ذلك ترك الطاووس فراخه وزوجته وفر هارباً لينجو من الحريق واما زوجته فلم تترك فراخها بل احترقت معها بلهيب النار . فلما نظرت ابنة الملك ما كان من امر الطاووس وقساوته قالت لاعهد للرجال ولا زمام لهم وصارت تعتقد منذ ذاك الحين بان كل الذكور لا وفاء لهم ولا مرحمة ولهذا ابت الزواج وصارت تانف من ذكر الرجال . فلما سمع الوزير كلامه فرح فرحاً عظيماً واتى الى الملك وقص عليه كلما اخبره به السائح وقال له: اذا كنت قد شغفت بهذه الابنة فانا اجعلها ان تشغف بك قال هذا واستأذنه بالذهاب الى بلاد الروم فاذنه فقام عند ذلك وتنكر بهيئة السياح ودعا بالسائح المار ذكره واخذه بمعيته وسار مسافراً نحو بلاد الروم

فلما بلغا القسطنطينية ذهبا الى البستان المختص بابنة القيصر فاخذ الوزير يتفرس فيهِ فاذا هو البستان الذي رآهُ سيدهُ في الحلم فتيقن بان التي عشقها الملك هي ابنة قيصر الروم فصار من ثم يسعى في نوال مرغوبهِ واخذ يتعاطى فن التصوير فابدع فيهِ واغرب حتى انهُ لم تمض الا ايام قليلة حتى اشتهر في تلك الاقطار فبلغ خبره قيصر الروم وابنتهُ وحيث كانت هذه الابنة تحب هذا الفن حبًّا زائدًا سألت اباها ان يدعو المصور المشار اليهِ ليزين جدران قصرها بالصور والتماثيل فاجاب طلبها ودعا المصور وامرهُ ان يفعل كما طلبت ابنتهُ فاخذ الوزير يصور في ذلك المكان صورًا بديعة تدهش الابصار وكان في ذلك القصر قاعة عظيمة معدة لجلوس ابنة القيصر في النهار ورقادها في الليل فصور الوزير على احدى جدرانها جنة بديعة تدهش كل ناظر وفيها من جميع اصناف الزهور والرياحين وعصافير تغرّد على الاشجار و بلابل ترقص على الورود والازهار وما شاق وراق من الفاكهة والاثمار وفي وسط تلك الجنة مرتبة ذهبية جالس عليها الملك فغفور بكمال الهيبة والوقار وقبالة هذه المرتبة روضة فيحاء تجري من تحتها الانهار وفي احدى هذه الانهر صورة وعل غارقًا في المياه مع فراخهِ وزوجتهِ ترعى في مرج نضر بكل طمأنينة غير مبالية بهلاك زوجها واولادها . فلما تم هذا العمل زينوا القصر بالمفروشات الفاخرة ثم اتت ابنة الملك ولما رات هذه الرسوم البديعة طارت فرحًا وسرورًا ورقصت طربًا وحبورًا فدعت المصور اليها وسألتهُ من هو الجالس على هذه المرتبة وما هي هذه الجنة وما هو هذا الوعل . فاستغنم الوزير هذه الفرصة لانفاذ ما ربهِ وقال لها : ياسيدتي ان هذه الجنة هي حديقة ملك الصين السلطان فغفور وهذه الصورة البديعة هي صورتهُ وقد صورتهُ بهذه الهيئة معرضًا عن النساء لحادث عجيب توقع في هذه الحديقة فاقلع من قلبهِ حب النساء .فسألتهُ الابنة وما هو هذا الحادث . فاجابها : ان هذا الملك كان ذات مرة يتنزه في هذه الحديقة فراى بغتةً وعلاً آتيًا مع زوجتهِ وفراخهِ

لتستقي من النهر الجاري في هذه الجنة و بينما كنّ يستقين داهمهن سيل ذاخر فاقتاد الفراخ الى الغرق فعند ذلك انطرح ابوهن في الماء وصار يجد في انقاذهن من الغرق فغلبت عليهِ المياه واغرقتهُ مع فراخهِ واما زوجتهُ فاسرعت في انقاذ نفسها وتركت زوجها واولادها بدون ان تاتي لاغاثتهن . فلما نظر الملك ما اصاب الوعل وما كان من قساوة زوجتهِ قال ليس للانثى عهد ولا زمام فاعرض عن محبة النساء وصرم حبالهُ عنهن ومنذ تلك الساعة صار يجتنب الزواج .فلما سمعت ابنة القيصر كلام الوزير قالت لهُ: سبحان الله انني كنت اظن ان الخيانة موجودة في جنس الرجال فقط فظهر لي الان بانها توجد في جنس النساء ايضاً ثم اطرقت برهة وقالت : ان بيني و بين هذا الملك مشابهة عظيمة لانني كنت اجتنب الزواج خيفةً من خيانة الرجال وكنت ارغب رجلاً على هذه الصفة فلا شك ان هذا الملك يقبلني زوجة لهُ

قالت هذا وقامت لساعتها واتت الى ابيها وطلبت منهُ ان يزوجها بهِ فرغب ابوها في ذلك وفي الحال كتب الى ملك الصين كتاباً بهذا الشان وسلمهُ الى رسول يحملهُ اليهِ فسار هذا السفير الى مملكة الصين وبمعيتهِ الوزير المتنكر بذي الساخ وعند وصولهِ اخبر الملك بقصدهِ وغايتهِ واما الملك فتظاهر اولاً بالامتناع غير ان قلبهُ كان مفعماً فرحاً وسروراً فقال للسفير: قد ارتضيت بذلك حباً با لقيصر واكراماً لخاطره ثم حرر لهُ الجواب وارسلهُ مع سفيره المشار اليهِ واكرم وزيره المصوّر غاية الاكرام وقربهُ اليهِ واحسن اليهِ بمال وافرٍ وبعد مدة جهز قيصر الروم ابنتهُ وارسلها الى الملك فغفور فاستقبلها بغاية الفرح والسرور اذ نال مرغوبهُ وغاية مناه

فلما وصل الببغاء الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال لها: ياسيدتي ينتج من هذه الحكاية انهُ كما ان لا حظ للامراة بدون الزواج كذلك لا حظ للعاشق ان لم ينل وصال معشوقهِ فلذلك لا يجمل بكِ ان تفرغي قلبك من العشقْ بل الاجدر بك ان تذهبي الى محبوبك في هذه الساعة فاجابتهُ قمر

السكر . لقد صدقت في كلامك الا انهُ في بعض الاحيان لا ينا ل العاشق مرغوبهُ لاننا طا لعنا في اخبار المتقدمين ان كثيرًا من العشاق تفرغوا من العشق لانهم لم يدركوا غايتهم فما قولك في هذا . فاجابها الببغاء : ياسيدتي انهُ يتفق في الدنيا بان كثيرًا من العشاق يحرمون بغيتهم غيران الواجب على الانسان ان يراعي ظروف الزمان ومن وضع الشيء في محلهِ نال مبتغاه ومن وضعهُ في غير محلهِ كان شبيهًا بالحمار الذي اهلكهُ نهاقهُ لانهُ كان بغير محلهِ . فسأ لتهُ قمر السكر: وما هي حكاية الحمار

حكاية

قا ل البغاء : ان حمارًا آلف ثورًا بريًا وتوطنا سوية في محل واحد. فيومًا ما اتيا كرمًا واختفيا فيهِ حتى ظل الظلام فقاما عند ذلك يأكلان من اثمار الكرم حتى شبعا ولم يدرِ بهما النواطير . فبعد ذلك عن للحمار ان ينهق ويطرب صاحبهُ بصوتهِ . فقال لهُ الثور: لا تنهق يااخي لاننا لم ندخل الكرم حتى نحرسهُ بل لنخربهُ فاذا نهقت فيسمعك صاحب الكرم فياتي الينا ويهلكنا وحيث لكل شي وقت فارجوك ان تسكت لان ليس الان وقت النهاق . فاجابهُ الحمار حقًا انك احمق جاهل فهل من شيء الذ واطرب من الانغام واما انت فحيث انك وحش بري فلا تعرف لذة الطرب لانك لم ترزق صوتًا مطربًا مثلي فعليك ان تسمع . فاجابهُ الثور: ان هذا الوقت ليس للطرب والانغام ومع ذلك فاي طرب من صوتك وقد قيل : ان انكر الاصوات صوت الحمار فان نهقت الان كنت سببًا لهلاكنا كما سبب هلاكهُ ذاك التاجر الذي رقص بوقتٍ غير معد للرقص . فسا لهُ الحمار : وما هي حكايتهُ

حكاية

قا ل الثور : ان حطابًا من مدينة كردفان صعد يومًا ما الى جبل ليحطب فوصل الى محل رحب فصادف فيهِ خمسة رجال جالسين وامامهم

مرجل كبير (وهو الدست) يخرجون منهُ كلما تشتهيهِ انفسهم من الطعام فتقدم اليهم وجلس معهم فسروا بهِ وقال لهُ احدهم: ايها الحطاب اذا كنت تريد منا شيئاً فاطلبهُ يعطى لك وكان هولا الخمسة من الجن فعند ذلك طلب منهم الحطاب المرجل الذي فيهِ المأكل فاجابوهُ: ايها الحطاب لا نضن عليك بهذا المرجل الان حفظهُ صعب جدًّا لانهُ سريع العطب ومتى انكسر فتعدم منهُ الفائدة فالاوفق ان تطلب شيئاً اكثر نفعاً من ذلك. واما الحطاب الاحمق فلم يقنع ولم يذعن لكلامهم بل بقي مصرًّا على طلب المرجل بلجاجة وقال لهم: انني احترس على هذا المرجل واصونهُ كما اصون نفسي فعند ذلك اعطوهُ اياه فاخذه وانصرف عنهم وبعد ايام قليلة جمع منهُ مالاً وافرًا

فيوماً ما دعى اصحابهُ الى وليمة في بيتهِ ووضع بين ايديهم المرجل المحكى عنهُ فتعجبوا منهُ واخذتهم الحيرة والاندهاش فتفاقم فرح الحطاب ووضع المرجل على راسهِ وقال: ياولي نعمتي وسبب سعادتي .... واخذ يرقص من شدة الفرح فوقع المرجل عن راسهِ وتكسر وفي الحال زالت فائدتهُ وفقد الحطاب كلما كان قد جمعهُ من المال وعاد على انعس حال من الفقر والفاقة

فاعلم الان ايها الحمار الاحمق ان الرقص في غير اوانهِ قد جلب البلاء على هذا الحطاب فاذا نهقت وليس هذا الوقت للنهاق فلا غروَ انك تكون سبباً لهلاكنا واما الحمار فلغباوتهِ وجهلهِ لم يذعن لنصيحتهِ بل اخذ ينهق باعلى صوتهِ حتى سمعهُ النواطير فايقنوا حينئذٍ ان الحمار اتى الكرم فقاموا مسرعين اليهِ فوجدوهُ في الكرم مع الثور فقبضوا عليها وذبحوا الثور واكلوا لحمهُ واما الحمار فاخذوهُ الى الاصطبل وصاروا يشغلونهُ بكل قساوة حتى مات من الكد والتعب

فلما انهى الببغاء هذه الحكاية قال لقمر السكر: اذا تفرغت من العشق في غير اوانهِ فتكوني قد اخطأتِ خطأً فاحشاً وحيث هذا الوقت لا يجوز فيهِ التفرغ من العشق بل هو انسب وقت للصفاء والمعاشرة فقومي واذهبي

الى حبيبك بكل سرعة لتحظي بوصا له. فعند ذلك فرحت قمر السكر وقامت لساعتها قاصدة حبيبها الا انها لما خرجت من الباب رأت قد طلع الصباح فعادت من ثم حزينة وقضت ذاك النهار تتقلب على نار الهوى ولما ظل الظلام قالت في نفسها: لاحاجة لطلب الاذن من الببغاء حيث قد اباح لي مرارًا الذهاب الى حبيبي. فمرت قبالة قفص الببغاء ولم تلتفت اليه فعلم الببغاء بما قصدته وقال: ان ما تكبدته من العنا والتعب من مدة طويلة قد ذهب سدى ثم نظر الى قمر السكر وقال لها تعالي اليّ ياسيدتي لان لي نصيحة تنفعك في الدنيا وفي الاخرة اذ ان في نصائحنا فوائد مختلفة فكم نال التاجر عبيده من الفوائد الجزيلة لما سمع نصائح الببغاء اذ بذلك حظى باعظم سعادة. فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام رجعت الى الببغاء وسألته: كيف كانت تلك الحكاية

حكاية

قال الببغاء: انه كان في مدينة ترمز تاجر ذو غني وافر وكان له ولد اسمه عبيده فزوجه ابوه ابنة جميلة المنظر اتباعًا لنص الاية تناكحوا وتناسلوا فهام عبيده بحب زوجته ولم يعد يفارقها لحظةً واحدةً فحزن والداه من ذلك وصارا ينصحانه ليرتدع عن غيه فلم يذعن لهما ولم يقلع عن عادته

وكان لهذا التاجر شريك كان يكاشفه باسراره ويستشيره في غالب الاوقات. فيومًا ما ذهب اليه واخبره بما كان من امر ابنه عبيده واستشاره في هذا الامر وسأله ان يذهب الى ولده وينصحه ويوبخه لعله يرتدع عن غيه. فاجابه شريكه: يا اخي ان الذي لا يذعن لنصائح ابويه لا يذعن لنصيحتي غير ان عندي زوجًا من الببغاء ذكر وانثى وهما على غاية من الحكمة ونصيحتهما تنعش الفؤاد وكلامهما يوثر في القلوب اكثر من كلام الناس فاريد ان ارسلهما الى عبيده فلعله يرتدع من نصائحهما ويترك هوى نفسه. قال هذا وقام لساعته واتى الى بيته واخبر هذين الطيرين بما كان من امر عبيده وكيف انه

ترك والديه وتعلق بزوجتهِ ليلاً ونهارًا وقال لها . اني اريد ان ارسلكما اليهِ لعل نصائحكما تنقذه من هذه الورطة الوخيمة · قال هذا وارسلها الى عبيده على سبيل الهدية فلما بلغا اليهِ فرح فرحًا عظيماً ووضعها في حجرة منامهِ وعند المساء دعاه الببغاء الذكر وقال له: ياعبيده اننا نحن ضيوفك والضيف يجب له الاكرام فلاي سبب اعرضت عنا ولم تجالسنا حالة كون كلامنا غذاء للارواح لاشتمالهِ على النصائح المفيدة فاغتنم هذه الفرصة فتجني من مصاحبتنا اجل الفوائد . فلما سمع عبيده هذا الكلام تقدم الى الببغاء واخذ يحدثه ثم قال له: قلت ان عندك نصائح شتى فتكلم بما عندك فلعلنا نستفيد من نصائحك . فاجابه الببغاء: ياسيدي اننا ننصح كل انسان بما يناسبه ليطيب له كلامنا لانه قيل: لكل مقامٍ مقال ولذلك ننصح اهل العلم بالكتاب ونخاطب التجار بالاموال والتجارة فاخبرني ما هي مهنتك لانصحك بما يوافق حالتك. فاجابه عبيده: انني اتعاطى التجارة وقد ورثتها من ابي واجدادي فقال له الببغاء عجبًا اي نوع من التجارة تتعاطى فاني قد قضيت يومًا كاملاً وعرفت اطباعك واطوارك فلم ارَ شيئًا يدل على انك تاجر . فلما سمع عبيده هذا الكلام اقر له بواقعة حالهِ واخبرهُ عن ارتباطهِ بعشق زوجتهِ فلما سمع الببغاء كلامه قال له: حقيق ان معشوقتك هي زوجتك الا ان هذا ليس هو داب الرجل العاقل لان جنس النساء عديم الوفاء فليس من المعقول الرغبة فيهنّ عن الربح والتجارة ولي على هذا الموضوع حكاية تؤيد ما قلته لك عن النساء . فسأله عبيده وما هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: ان احد سلاطين الهند ولد له من احدى جواريه ابنة ذات ثلاثة ثُديّ ثديان في موضعها المالوف وثدي في وسط صدرها . فاستطلع المنجمون طالعها من الكواكب فعلموا ان ستكون خائنة لا عهد لها ولا زمام الا انها ستصير على جانب عظيم من الحسن والجمال واخبروا الملك والدها

بذلك

فلما كبرت هذه الابنة جهزها ابوها بافخر الجواهر وبمال وافر واعلن ان من يريد ان يتزوجها و ياخذ كلما معها من الاموال والجواهر يجب عليهِ ان يخرج بها من المملكة لئلا تحدث فيها فتنة ويذهب الى مملكة سواها وحيث ان ما وصفها بهِ المنجمون اضحى معلوماً عند الجميع فلم يتقدم احد للاقتران بها غير انهُ كان في تلك المملكة رجل اعمى على غاية من الفقر والفاقة فلما بلغهُ خبر هذه الابنة قال في نفسهِ: يجب عليّ ان اقترن بهذه الابنة وارحل عن هذه المملكة مهما لحقني من العناء لان بذلك اتخلص من الفقر المدقع فقام لساعتهِ واتى الى الملك وطلب منهُ ابنتهُ. فاجاب الملك التماسهُ واعطاه الابنة معما كان معها من الاموال والجواهر ورحلهُ الى مملكة اخرى فاخذها الاعمى وقضي معها اياماً طويلة وكانت هي تنفر من مصاحبتهِ حتى انها عشقت شاباً جميل الصورة فكان في اغلب الاوقات يحضر اليها ويغازلها بحضرة زوجها وكانا يضحكان عليهِ ويستهزئان بهِ ومضت على هذه الحالة ايام كثيرة الا انهما لم يقنعا بذلك بل قصدا ان يقتلا الاعمى ليتخلصا منهُ فيوماً ما مسكا من البستان حية سوداء فقتلاها وقطعاها ووضعاها في قدر على النار ثم قالت الامرأة لزوجها: انني وضعت القدر على النار وفيها سمك مسلوق فقم وانفخ النار حتى يستوي الطعام. فقام الاعمى واخذ ينفخ النار وزوجتهُ وعاشقها يضحكان عليهِ واما الاعمى فبعد ان اوقد ناراً عظيمة اراد ان يكشف الطعام ليرى اذا كان قد نضج فرفع غطاء القدر وحركهُ براس العصاء فدخل بخار الحية في عينيهِ وفي الحال انفتحت عيناه بحول الله تعالى فنظر في القدر فراى فيهِ حية ونظر الى زوجتهِ فوجدها جالسة مع شاب غريب تغازلهُ وتلاطفهِ فاتقدت حينئذٍ في قلبهِ نار الغضب والحمية وضربهما ضرباً شديداً ثم كتفهما وسلمهما الى والي البلدة واخذ ما كان مع زوجتهِ من الاموال الجزيلة ورجع الى وطنهِ تائباً عن معاشرة النساء وقضي حياتهُ كلها لا ينظر الى امرأة لما رآه من

خيانة زوجتهِ ومكرها

فالان اعلم يا عبيده ان اكثر النساء لا يراعينَ العهود والذمم وانت قد ابتليت بعشق زوجتك ولا تستطيع ان تفارقها لحظةً واحدة مع ان ذلك ليس بعلامة خير فالذي يجب ان تتعلق بهِ هو ابوك وامك فحافظ على رضاهما فذلك فرض عين على الاولاد ومن خالف رضا والديهِ لا يستجيب الله دعاه كما يتاكد ذلك من حكاية صالح. فسأَلهُ عبيده وكيف كانت حكايتهُ .

حكاية

قال الببغاء: انهُ كان في قديم الزمان في مدينة بلخ زاهد منقطع الى الله تعالى وكان لهُ ولد اسمهُ صالح وبالحقيقة ان اسمهُ كان مطابقًا مسماه لانهُ كان فاضلاً متورعًا لا يتهامل قط في عبادة الله تعالى فتوفي ابوه وتركهُ يتيمًا في حجر والدتهِ

فيومًا ما بينما كان يتضرع الى الله خطر ببالهِ ما قيل بالعلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر . فقال في نفسهِ بحقيق انني عابد متورع غير ان العلم بلا عمل لا فائدة منهُ فالواجب عليَّ اذًا ان اسعى في طلب العلم فصمم على هذا واستأذن والدته فلم تاذنه فقال في نفسهِ . ان ما نويتهُ هو خير فان خالفت والدتي فما عليَّ من حرج . فيومًا ما خرج من بيتهِ بدون اذن والدتهِ وسافر الى مدينة فيها كثير من العلما وفيما هو سائر في الطريق افضى الى شجرة عظيمة فجلس تحتها ليرتاح فاتي طير ووقف على احد اغصانها وسلح على صالح فغضب هذا غضبًا شديدًا ونظر بحنق الى الطير فوقع من الشجرة ميتًا وعند ذلك سكن غضبهُ ثم قام بعد ذلك وسار مسافرًا حتى آلت الشمس الى الغروب فوصل الى بيت على الطريق فقرع الباب فاتت اليهِ امراة وادخلتهُ بكل ترحاب وقالت لهُ: اذا كنت جائعًا فامهل قليلاً حتى احضر لك سمكًا مشويًا قالت هذا وانصرفت عنهُ . غير ان صالحًا حيث كان جائعًا تذمر من عاقة الامراة فعادتْ بعد برهةٍ واحضرت سمكًا مشويًا فاغتاظ صالح من عاقتها ونظر اليها

مغضباً . فغضبت الامرأة وقالت لهُ : اتظن انك تقدر ان تقتلني بنظرك كما قتلت ذاك الطائر على الشجرة وهل توهمت ان النظر يوثر في الانسان كما يوثر في الطير . فلما سمع صالح جوابها المملو من الاهابة انطرح على اقدامها واعتذر لها عما فرط منهُ وسالها من اين لها هذه الاهابة والوقار فاجابتهُ الامراة : ان الذي اولاني هذه الاهابة هو رضا والدني لانهُ قيل : الجنة بالخضوع للامهات وحيث انني كنت طائعة لامي انعم الله عليَّ بهذه الاهابة

وانت لو اذعنت لنصيحة امك لما كنت سافرت لاكتساب العلوم لان رضاها خير لك من العلم . فلما سمع صالح كلام الامراة ترك الاكل وسار لساعتهِ راجعاً الى مدينة بلخ واجهد نفسهُ في المسير حتى وصل الى بيتهِ فاستغفر والدتهُ عما بدا منهُ وقضى حياتهُ محافظاً على رضاها فوفقهُ الله ونجح مسعاه وتعلم العلوم فابدع حتى اشتهر علمهُ وصلاحهُ في سائر الاقطار وكانت العلماء تقصدهُ من اماكن بعيدة ليستمدوا دعاه ويستنيروا من ضوء مشكاتهِ

فلما سمع عبيده هذه الحكاية تحركت في قلبهِ شعائر المحبة لوالديهِ واثرت فيهِ هذه الحكاية وقال للببغا : ساكون من الان فصاعدًا طائعاً لوالدي الا انهُ يصعب عليَّ جدًّا ان اترك زوجتي . فاجابتهُ الببغاء : لم اقل لك ان تترك زوجتك لان كل انسان يميل الى زوجتهِ غير ان النساء يندر فيهنَّ الوفاء فلا يجب التعلق بهنَّ كثيرًا واعظم دليل على ذلك نصيحة الخروف لملك الهند . فسالهُ عبيده وكيف كانت حكايتها

حكاية

قال الببغاء : زعموا ان احد ملوك الهند خرج يوماً ما للصيد فوصل الى برية فرأى فيها حية تلاعب افعوانًا من غير جنسها وكانت قد غلبت عليها الشهوة النفسانية فكانت تلتف على الافعوان كأنها تطلب منهُ ان ينزو عليها فلما راى الملك هذا الامر المنكر تحرك غضبهُ وفي الحال استلب سيفه ووثب على الحية فهربت منهُ وانسابت في وكرهـــا الا انهُ داركها بضربة

اصابت ذنبها وقطعت منهُ جانباً وبعد مدة نظرها زوجها مجروحة فسالها عن ذلك فاجابتهُ: ان ملك المدينة خرج الى الصيد ولما نظرني ورأى ما انا عليهِ من البهاء والجمال تحركت في قلبهِ الشهوة النفسانية وانتدبني الى المضاجعة فابيت فغضب عليَّ وضربني بسيفهِ فجرحني كما ترى . فلما سمع زوجها كلامها غضب على الملك وقام لساعتهِ قاصداً قصرهُ فدخلهُ ولم يزل ينساب من مكان الى اخر حتى وصل الى حجرة الملك المعدة للرقاد وكان فيها وعاء مملوء من الورد والرياحين فاختبأ الافعوان فيهِ ولكن كان بالقضا والقدر انهُ لما اتى الملك لينام تبعتهُ زوجتهُ لترقد معهُ فأبى وامرها بالانصراف فصارت تبكي وتعاتبهُ وانطرحت على اقدامهِ وسالتهُ ما هو سبب ذلك فاجابها: انني في هذا النهار لما خرجت للصيد نظرت حية في خربة تلاعب افعواناً من غير جنسها وقد تحركت فيها الشهوة لانني رايتها تلتف عليهِ كانها تطلب منهُ ان يباغيها فلما نظرتها على هذه الحالة غضبت عليها واستليت سيفي وضربتها بهِ فلم يصب سوى ذنبها فقطع منهُ جزءًا الا انها لم تمت فلذلك عزمت من الان فصاعداً ان اجتنب معاشرة النساء. فلما سمعت زوجتهُ هذا الكلام حزنت جداً وانصرفت عنهُ واما الافعوان فكان سامعاً ما قالهُ الملك وتيقن حينئذٍ برارتهُ فظهر بين يديهِ واخبرهُ بما اخبرتهُ بهِ زوجتهُ وكيف انهُ جاء ليقتلهُ ثم تاكد برارتهُ وخيانة زوجتهِ واعتذر لهُ عما بدا منهُ وسالهُ ان يطلب منهُ ما يريد فيعطى لهُ فاجابهُ الملك: ان غاية مرادي ان تعلمني واسطة اعرف بها السنة الطيور والحيوانات وبذلك توليني اكبر جميل فاجابهُ الافعوان: ان ما تطلبهُ ليس من صعاب الامور ولهُ طريقة سهلة نتعلم بها لغة الحيوانات والطيور ولكن يجب عليك ان تكتم هذا الامر خصوصاً عن النساء لانك اذا اخبرتهن بذلك فموتاً تموت وبعد ان حرصهُ كثيراً بحفظ هذا السر علمهُ طريقة سهلة لمعرفة لغات الحيوانات والطيور ثم ودّعهُ وانصرف عنهُ وبالحقيقة نجحت هذه الطريقة نجاحاً تاماً ولما قرب الصباح اتت زوجة الملك اليهِ وبيدهـا

كاس من العطر وماء الورد فغسلت به قدمي الملك ومسحتهما بوجهها وكان في تلك الحجرة قفص وفيه قمريان ذكر وانثى فقالت الانثى لزوجها لو كان عندي عطر وماء الورد لكنت اغسل بهما قدميك وامسحهما بوجهي كما فعلت الملكة مع زوجها فلما سمع الملك كلامها ضحك ضحكًا شديدًا فظنت زوجته انه يضحك عليها فاخذت تعاتبه فقال لها بانه لم يضحك عليها بل لسبب آخر فقالت له يجب ان تقول لي ما هو هذا السبب فان فعلت فبها ونعمت والا فاهلك نفسي في هذه الساعة لانك ليلة امس طردتني من خبائك والان اخذت تضحك عليّ. قالت هذا واخذت تبكي وتلطم وجهها حتى كادت تموت فلما نظر الملك قلة عقلها تيقن انها ستموت فاخذ يلاطفها ويقول لها: انني لم اضحك عليكِ بل خطر ببالي اسرار غامضة اضحكتني ولا استطيع ان اخبركِ بها لانني اذا فعلت مت لا محالة واما الامراة فلم تقنع بهذا الكلام بل بقيت تلح عليه بلجاجة ليطلعها على هذه الاسرار فقال لها حيث لم ترتضي بكلامي وتريدين هلاكي فقومي لنذهب الى محلٍ خالٍ وهناك اوضح لكِ هذه الاسرار واموت حسب ارادتك قال هذا واخذها الى البستان المعدّ لنزهته وكان فيه بئر لا ماء فيها فوجد بجانبها خروفًا وشاة فنظرت الشاة في البئر فرات فيها حشيشًا اخضر تمنت ان تأكله فقالت لزوجها: قد رايت في البئر حشيشًا اخضر فارجو منك ان تأتيني به والا فاموت لا محالة فتقدم الخروف الى البئر فوجدها عميقة جدًا وانه اذا انحدر اليها لا يستطيع ان يخرج منها فقال لزوجته: هل تظني يا هذه انني مثل السلطان الذي يريد ان يهلك نفسه اكرامًا لزوجته فانا لا استطيع ذلك فان شئتِ ان تموتي فافعلي ما تريدين. فلما سمع الملك كلام الخروف عدل عن قصده ورجع الى الوراء فانطرحت زوجته على اقدامه واخذت تلتمس منه ان يطلعها على اسراره فدفعها عنه ولم يلتفت اليها ورجع الى حجرته ولم تعد زوجته تسأله عن شيء *

فعند ذلك نظر الببغاء الى عبيده وقال له: انني لم اقل لك قبلاً ان تترك زوجتك بل قلت لك لا يليق بك ان تتعلق بها دائماً وتترك والديك فناشدتك الله ارتدع عن هذه العادة وحافظ على رضاء والديك فاثر هذا الكلام بعبيده وارتدع عن غيه وصار في النهار يتعاطى التجارة وفي الليل يواصل زوجته

فلما وصل البيغاء العاقل الى هذا المقام نظر الى قمر السكر وقال لها: احفظي يا سيدتي هذه النصائح وان نبذتها فتكوني من الخاسرين واجعلي لكل وقت عملاً يناسبه لان ذلك اشد نفعاً لمعشوقك وينقذك من غضب زوجك واما الان فلا تلبثي هنا بل اذهبي الى محبوبك عاجلاً فقامت لساعتها مسرعة نحو الباب فرأت قد طلع الصباح فحول بينها وبين مرامها فرجعت حزينة تنتظر وفود المساء فلما ادلهم الظلام اتت قفص البيغاء وقالت: اسمح لي ايها البيغاء ان اذهب الى حبيبي لانك ليلة امس قد اطلت الكلام الذي فيه حرضتني ان اذهب الى الامير لئلا اخسره واخسر زوجي ايضاً الا انني لا اسلم بكلامك لانه لا يمكني ان افقد وصال كل منهما اذ قد تقدمني كثير من العشاق ونالوا بغيتهم. فاجابها البيغاء: يا سيدتي اذا اقتديت بغيرك من العشاق فلا شك في انه يصيبك ما اصاب ذاك الحلاق الذي تقلد التاجر: فسالته قمر السكر: وما هذه الحكاية

حكايـــة

قال البيغاء: ان رجلاً غنياً من مدينة ارضروم اخذ يوماً ما يفكر في نفسه قائلاً: انني قد اقتنيت مالاً وافراً وقضيت ما مضى من عمري بالصفاء والانشراح وقد دنا اجلي ولم افتكر بالاخرة فيجب الان ان اتدارك ما فاتني واوزع مالي على الفقراء والمساكين فيجزل الله ثوابي في الاخرة ويدخلني رياض جنته السماوية قال هذا وقام لساعته فوزع جميع ماله على المساكين وفي تلك الليلة ظهر له في الحلم شيخ يضيء وجهه كالشمس وقال له: انا قوة بختك فحيث

قد تصدقت بمالك على الفقراء لوجه الله الكريم فقد رضي الله عنك لانهُ قيل: من جاء بالحسنة فلهُ عشر امثالها . وعليهِ فقد اعد الله لك في الآخرة مقاماً عليّاً ويسر لك في هذه الدنيا اوفر الخيرات وسخرني لك ونهار غد اظهر لك بصورة برهمي فخذ بيدك عصا واضربني بها حالاً على راسي فاموت فعند ذلك خذ جثتي وضعها في اجمل مكان ومتى لزمك شيء من المال فاقطع منها قدر ما تشا فيستحيل ما تقطعهُ ذهباً خالصاً غير انهُ يجب عليك ان تحفظ هذا السر في طي الخفايا . قال هذا وتوارى عنهُ

وفي اليوم التالي ذهب هذا التاجر الى دكان حلاق ليحلق شعر لحيتهِ فظهر لهُ اذ ذاك الشيخ الذي نظره في الحلم بصورة برهمي فوثب عليهِ التاجر وضربهُ بالعصا على راسهِ فوقع على الارض ميتاً واما الحلاق فاخذهُ العجب من هذا الامر فعند ذلك اخذ التاجر سكيناً وقطع من جسد البرهمي قطعاً كثيرة واعطاها الى الحلاق فلما تفرس فيها وجدها ذهباً فازداد حينئذٍ تعجبهُ واما التاجر فوضع الجثة في كيس واوصى الحلاق بان يكتم هذا الامر واخذ الكيس واتى بهِ الى بيته

واما الحلاق فلشدة غباوتهِ ظن بان كلما قتل برهمي تصير جثتهُ ذهباً فلذلك اقام يوماً ما في بيتهِ وليمة ودعا اليها اصحابهُ ومن جملتهم رجل من البراهمة فلما وفد البرهمي الى محل الوليمة وثب عليهِ الحلاق واخذ بيده عصا وضربهُ بها على راسهِ فوقع على الارض ميتاً فلما راى الحاضرون ذلك غضبوا على الحلاق فقبضوا عليهِ وربطوهُ وسلموهُ الى الحاكم فلما مثل الحلاق بين يديهِ سالهُ عن سبب ارتكابهِ هذا الاثم الفظيع فاخبره الحلاق بما فعلهُ التاجر المتقدم ذكره وانهُ اراد ان يقتدي بهِ فعند ذلك استحضر الحاكم التاجر المومأ اليهِ وسالهُ عما قرره الحلاق فلما راى التاجر بان سرهُ قد شاع اغتنم بالحيلة وقال للحاكم: يا مولاي هل من عاقل مميز يصدق هذا الكلام لانهُ هل يتصور ان جسد الانسان يصير ذهباً بواسطة الضرب وقد كنت اعهد هذا الحلاق

عاقلاً غير انهُ ربما يكون قد طرا عليهِ جنون فيجب ان تسرعوا لمداواتهِ وترسلوهُ الى البيارستان ويستعمل لشفائهِ المشروبات المهضمة ووسائط الحقن فلعلهُ يشفى من الجنون

فلما سمع الحاكم وسائر الحاضرين كلام التاجر وقع لديهم موقع الاستحسان وفي الحال ارسلوا الحلاق الى البيمارستان فاودعوهُ مع المجانين وصاروا يعالجونهُ با لضرب والحقن زماناً طويلاً

فلما انهى الببغاء حكايتهُ قال لقمر السكر: قد قصصت عليك هذه الحكاية لتعلمي ان كل من تقلد غيرهُ لا يصادف نجاحاً لا سيما اذا كان عاشقاً لان اقتداء العاشق بغيرهِ هو عين الحماقة فتاثرت قمر السكر من هذا الكلام واطرقت برهة ثم قالت: ايها الببغاء قد حلمت حلماً غريباً فارجوك تعبيرهُ فقال لها الببغاء: قصي عليَّ هذا الحلم فاجابتهُ قمر السكر: انني رايت في الحلم جماعة من العرافين قد اعطوني تفاحة وقنينة من ماء الورد فتعطر دماغي من رائحتها الذكية وفي الحال استيقظت من نومي فهل ذلك علامة خير ام لا. فاجابها الببغاء: يا سيدتي ان هذا الحلم خير وهذا تعبيرهُ فالتفاحة هي كناية عن زوجك ساعد ورائحتها هي غذاء نفسك وماء الورد كناية عن الامير الذي سوف يتعطر قلبك من رائحة وصالهِ وعن قريب تحظي بوصال الفريقين. وسوف يظهر صدق قولي هذا وكما وصل ملك الصين الى زوجتهِ ونال وصال ابنة ملك العقر فانت ايضاً تصلين الى زوجك وتنالين وصال الامير حبيبك. فسألتهُ قمر السكر وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: ان احد ملوك الصين خرج يوماً ما الى الصيد فاصطاد حيواناً غريباً على غاية اللطف والجمال فقال لمن كان معهُ: هل يوجد في الدنيا ابنة جميلة مثل هذا الحيوان فاخذ كل من الحاضرين يصف لهُ ابنة و يطنب في مدحها وكان من جملة الحاضرين وزير طاعن في السن على جانب

عظيم من الحكمة والدراية فلما سمع كلام الملك نظر اليهِ وقال لهُ : يا سيدي ان الذي تطلبهُ هو كالكبريت الاحمر لانهُ وان يكن في الدنيا كثير من البنات الجميلات الا انهُ لا يوجد ابنة كاملة الاوصاف فانا قد سحت في الارض كثيرًا ولم اجد ابنةً على هذا المنوال الآ انهُ يوجد مدينة اسمها العقر بناتها على غاية من البهاء والجمال ولملكها ابنة تفوق سائر البنات بالحسن واللطافة والحكمة والدراية قال هذا واخذ يطنب في مدح هذه الابنة حتى عشقها الملك وهام بحبها وصار عشقهُ يزداد يومًا بعد يوم ففي ذات مرة قال لوزيرهِ المشار اليهِ : يا ايها الوزير حيث قد كنت سببًا لمرضي هذا فيجب عليك ان تداويهُ فاجابهُ الوزير : انني طائع امرك واسعى لمداواتك بما استطيعهُ غير انني عاجز فغاية ما يمكنني ان افعلهُ هو ان اهديك الى تلك المدينة واوصلك اليها فلعل الله يؤتيك بالتوفيق ويبلغك مرادك وحيث لا يمكنني ان اذهب معك الى مدينة العقر فاني ارافقك بحرًا الى اريافها فتذهب انت الى المدينة المشار اليها وانا انتظرك في الارياف وادعو لك بالتوفيق . فلما سمع الملك كلام الوزير فرح فرحًا عظيمًا وفي الحال اقام احد وزرائهِ وكيلاً عنهُ وتنكر بثوب السياح وسافر مع وزيرهِ المشار اليهِ ولما وصلا الى ساحل البحر ركبا سفينة وسافرا في البحر وبعد ايام طويلة وصلا الى ساحلٍ عظيم وخرجا حينئذ الى البر ودخلا مدينة عظيمة فعند ذلك قال الوزير للملك : يا سيدي هذه حدود مدينة العقر وهنا محل لراحتي اذ ليس في وسعي ان اتجاوز هذه الحدود لعجزي فاذهب وحدك في هذا الطريق وسر ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع تصل الى عين ماء بجانب بستانٍ عظيم وهناك ترى عجائب وغرائب فعسى الله تعالى ان يمن عليك بنوال المرغوب ومتى رجعت الى هنا تجدني بانتظارك. فعند ذلك قام الملك مسافرًا وفي اليوم الرابع وصل الى عين ماء بجانب بستان عظيم فبعد ان شرب قليلاً وجلس ليستريح نظر بغتةً رجلين فجلسا بجانب العين واخذا يتخاصمان فدنا الملك منهما وسألهما عن سبب الخصام فاجاباهُ :

ان نزاعنا على اربعة اشياء اختلفنا في قسمتها اولها كيس ومن خصائصهِ انهُ
متى احتجنا الفضة والذهب نجد فيهِ مرادنا ولا ينقص منهُ شيء والثاني صحن
من خشب نجد فيهِ كلما نشتهيهِ من الطعام والشراب والثالث حذاء ومن
خصائصهِ ان كل من لبسهُ يصل الى المحل الذي يريدهُ بطرفة عين والرابع
سيف اذا استلهُ احد في برية قبل طلوع الشمس تظهر امامهُ مدينة عظيمة
فيها من سائر اصناف المخازن والاسواق ومتى ارجع هذا السيف الى غمده
يغيب كلما يكون قد ظهر للعيان فلنفاسة هذه الاشياء المصنوعة من الطلسم
لم نتفق على قسمتها فلذلك صرنا نطلب قساماً يقسمها بيننا وحيث قد
التقينا بك فنحن راضيان بما تحكم بهِ. قالا هذا ووضعا الاربعة اشياء بين يدي
الملك فاجابهما الملك : اعطياني كلتين فاطرحهما بعيداً واي منكما سبق الاخر
واتاني بهما فيستحق الاربعة اشياء الواقع عليها الخصام فارتضى المتخاصمان
بذلك وذهبا ليحضرا الكلتين فعند ذلك قال الملك في نفسهِ ليس من وسيلة
انسب من هذه لنوال مأربي وفي الحال تأبط السيف المار ذكره واخذ
الكيس والصحن بيده ولبس الخف بقدميهِ . وبعد ذلك اشتهى ان يصل الى
قصر ملك العقر فلم يكن الاكلمح البصر حتى راى ذاتهُ بجانب القصر واخذ
ينظر يمنةً وشمالاً محاولاً الدخول اليهِ فوقع نظرهُ بغتةً على رجل فاخذ
يتفرس فيهِ فاذا هو ابن وزيره الذي اقامهُ وكيلاً عنهُ في المملكة واما ما كان
من امر هذا الغلام فانهُ كان سامعاً كلما قالهُ ذاك الوزير المسن عن ابنة
سلطان العقر فابتلى بعشقها وحيث كان ساحراً ماهراً توصل بواسطة سحره
الى قصر مدينة العقر واما ذاك الوزير الحكيم الذي اهدى الملك الى هذه
الابنة فكان يتضرع الى الله تعالى ليدرك بسيده غاية الوطر فقبل الله تضرعه
واوقع في قلب الابنة حب الملك المشار اليهِ وكانت تلتمس من ابيها ان
يزوجها لهُ وتقول لهُ : لا اريد سواه لانني نظرتهُ في الحلم فاعجبني جداً فلما راى
ملك الصين ابن وزيره دعاهُ اليهِ وسالهُ عن سبب مجيئهِ فاخذ يخبرهُ

كيف انهُ عشق ابنة ملك العقر لما سمع الوزير المسن يصفها بالجمال وكرم الاخلاق وكيف انهُ حضر الى قصرها بواسطة سحرهِ وانهُ علم بانها لا تتزوج الا بملك الصين لانها رأتهُ في الحلم فاعجبها ففرح الملك فرحاً عظيماً وشكر الله على هذه المنة

هذا وكان وزراء ملك العقر قد سمعوا باوصاف ملك الصين ومزاياهُ الحميدة وكان المنجمون قد سبقوا و بشروا بقدومهِ الى مدينة العقر فلما بلغ الوزراء خبر وصولهِ اخبروا ملكهم بذلك فاستفز لاستقبالهِ بالاكرام والاحتفال واجلسهُ على سريرهِ و بعد اداء مراسم السلام اخذ كل منهما يخبر الآخر بمقصوده فعند ذلك امر ملك العقر بان تجهز ابنتهُ بالجواهر والحلي الثمينة وان تزف الى ملك الصين ففعلوا وعقدوا النكاح و بعد ايام قليلة استأذن ملك الصين حماه بالرجوع الى مملكتهِ فأذنهُ وسلمهُ ابنتهُ فاخذها وحملها على ذراعيهِ ولبس الحذاء الذي كان معهُ وقصد ان يصل الى الصين المار ذكرها فلم يكن الا كلمح البصر حتى وصل اليها

واما ما كان من امر ابن الوزير الساحر فانهُ بدعاء الوزير الحكيم لم يعد لسحرهِ قوة وحيث قد عزم على الرجوع الى بلادهِ دخل بواسطة سحرهِ في صورة دبانة وغط على كتف الملك بدون ان يشعر الملك بهِ فتيسر لهُ بهذه الوسيلة ان يتمتع بمشاهدة جمال الابنة وان يصل الى العين المار ذكرها بدون عناء وتعب فجلس الملك بجانب العين ليستريح فنظر الاخوين اللذين اخذ منهما الامتعة فصار يعتذر لهما عما بدا منهُ وقال لهما: العذر يا صاحبي لانني لم افعل ذلك طمعاً بالامتعة بل حيث كان لي غاية مهمة اروم نوالها . فاجاباه اننا كنا نعلم ان لك مقصداً تروم الوصول اليهِ ولذلك تركناك ان تذهب بالامتعة لتنال مأربك فنهنئك الان على ما نلتهُ واما الامتعة فهي هبة لك نرجو قبولها ونسأل الله ان يسهل امورك ثم اننا نعلمك الان وسيلة يمكنك بها ان تخرج من صورة وتدخل صورة اخرى فعلماهُ حينئذٍ اسماً مقدساً

فحفظة وتعلمة ايضاً ابن الوزير الذي كان في صورة الدبانة وبعد ذلك ودعا الملك وانصرفا عنة فسار الملك مسافراً ولم يدرِ بما كان من امر ابن الوزير وبقي مسافرا ثلاثة ايام كاملة وفي اليوم الرابع بلغ المكان الذي ترك فيهِ وزيره الحكيم فوجدهُ بانتظارهِ فهنأهُ الوزير بنوال مرغوبهِ وسارا نحو البحر فوجدا سفينة فركباها وسافرا نحو بلاد الصين ولما وصلا اليها دخل الملك بلاطة وادخل زوجتة دار الحريم وامر الجميع باكرامها وكان ابن الوزير ملازماً الملك بصورة دبانة

فيوماً ما خرج الملك الى الصيد فنظر وعلاً فتبعة ولم يزل راكضاً وراءهُ حتى توارى عن جماعتهِ فادرك الوعل ونزل عن ظهر جواده وذبحة وعند ذلك تذكر الاسم الذي تعلمة من الاخوين المار ذكرهما فاراد ان يمتحنة وفي الحال تلفظ بهِ فتغيرت صورتة ودخلت روحه في جسد الوعل فلما راى ابن الوزير جسد الملك فارغاً دخل فيهِ بواسطة سحره وركب جواد الملك واتى حاشيتة الذين كانوا بانتظاره ورجع معهم الى البلاط الملوكي فاستقبلة الحرم بالاكرام لانها كانت تظنة الملك واما ابنة سلطان العقر فلما رات حركاته واطواره علمت انة ليس هو الملك وخال بفكرها ان زوجها خرج من صورتهِ بواسطة الاسم الذي تعلمة فدخل فيها هذا الرجل فعند ذلك تمارضت ورقدت في فراشها فلما راها ابن الوزير على هذه الحالة قال في نفسهِ: فلندع هذه الامراة لانها في قبضة يدنا في كل وقت ولنذهب الى خلافها قال هذا وذهب الى زوجة الملك الاولى فاستقبلتة بالاكرام الا انها لما سمعت كلامة اشتبهت بهِ وتمارضت لتمنعة من نوال وصالها

واما ما كان من امر الملك فانة بعد ان قضى اياماً في صورة الوعل راى يوماً ما ببغاء ميتة فقال في نفسهِ: ان لبثت في صورة الوعل فلا ازال على هذه الحالة طائفاً في البراري واما اذا دخلت في جسد الببغاء فيمكني ان اتخلص من هذه الحالة. قال هذا ودخل في جسد الببغاء وطار نحو مدينتهِ

فوصل الى بلاطهِ ودخل حجرة زوجتهِ ووقف في طاقة صغيرة فنظر زوجتهُ طريحة الفراش وابن الوزير جالسًا بجانبها يطلب وصالها فقال في نفسهِ: كيف كان الامر فلنصبر الى النهاية لنرى ما يكون . واما ابن الوزير فلما لم ينل وصال محبوبتهِ خرج من عندها وتركها وحدها . فعند ذلك دعا الملك زوجتهُ واخبرها بما كان من امرهِ فقالت لهُ: وما الحيلة يا سيدي للتخلص من هذا الخائن فاجابها انظري حيلة لتنزعي روح هذا الملعون من جسدي لتعود روحي اليهِ . قال هذا وانصرف عنها واختفى في بساتين القصر

وفي اليوم الثاني اتى اليها ابن الوزير المشار اليهِ وطلب منها الوصال فاجابتهُ: انني احرمتك وصالي لانني مرتابة بك ولهذا وقعت في حالة المرض ووجه ارتيابي هو لان الناس تتشابه كثيرًا فخال بفكري ان زوجي قد توفي ولم يدرِ بهِ احد من اركان الدولة والاعداء فدخلت انت في صورتهِ وتملكت ملكهُ فلا تزول الشبهة من قلبي سوى بالتجربة . فاجابها ابن الوزير: وباية واسطة تزول الشبهة من قلبك فاجابتهُ: ان زوجي حينما كان آتيًا من مدينة العفر صادف شابين فتعلم منهما اسمًا كريمًا متى تلفظ بهِ ينتقل من صورتهِ الى الصورة التي يريدها فاذا قدرت على ذلك فتكون انت هو . فاجابها ابن الوزير: سمعًا وطاعة: وبعد ذلك خرج من الدار فوجد حمارًا اعرج فقتلهُ وادخل روحهُ في جسدهِ ولم يكن بعد ذلك الا كلمح البصر حتى لفظ الملك الاسم الكريم فخرجت روحهُ من جثة الببغاء ودخلت في جسده فعاد الى سرير مملكتهِ ونال من زوجتهِ ما كان يتوق اليهِ ابن الوزير وامر بان يسلم الحمار الى الحمالين فجعلوا يحملونهُ ويعذبونهُ اشد العذاب حتى مات

فالان يا قمر السكر قد قصصت عليكِ هذه الحكاية لكي تقتبسي منها الفوائد لان من استفاد من الامثال نال مرغوبهُ فانت عن قريب تنالين وصال حبيبك وزوجك . واما الان فمن كون زوجك غائبًا فاذهبي الى حبيبك لتنالي وصالهُ . فعند ذلك قامت قمر السكر قاصدة حبيبها فرات قد

اصبح الصباح فرجعت خائبة واذ لم تنل مرادها وافقتة الى الليلة التالية وقضت ذلك النهار حزينة باكية ولما اتى المساء اتت الببغاء وقالت لهُ: قد استفدت امس من نصيحتك انهُ لا يجب على الانسان ان يكتفي ببغية واحدة لا سيما اذا كان ذا همة عالية مثل ملك الصين وعليهِ فاذا قنعت بوصال زوجي فيكون ذلك دناءة مني واذا اكتفيت بوصال معشوقي الامير فذلك عين الحماقة فيجب من ثم ان اسعى في نوال وصال كليهما غير انني اذا ذهبت الى الامير فاخاف ان يطلع زوجي على سريرتي وان لم اذهب اليهِ بل انتظرت رجوع زوجي فاكون قد خسرت وصال الامير فاجابها الببغاء: ان ما تطلبينهُ ناتج عن الطمع لا عن علو الهمة فان من حصل على نعمة يجب ان يتنعم بها وحيث قد قيل: النقد خير من النسيئة فيجب عليك ان تكتفي الان بوصال الامير وتذهبي اليهِ وتنتظري رجوع زوجك لتحظي بوصالهِ ومن حصل على نعمة ولم يكتفِ بها فتكون عاقبتهُ الخسارة كما جرى للاربعة سياح الذين لم يكتفوا بما حصلوا عليهِ فسألتهُ قمر السكر: وكيف كانت هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء: انهُ كان في قديم الزمان في مدينة بلخ اربعة اصحاب على غاية الحب والوفاق وكانوا ملازمين بعضهم بعضاً في الشدة والرخاء الا ان سعدهم كان ينحط يوماً بعد يوم حتى اصبحوا في حضن الفقر والفاقة فعزموا من ثم على السياحة وسافروا الى ولاية طاغستان التي كان فيها وقتئذٍ فيلسوف برع في العلوم والمعارف فتقيدوا في خدمتهِ وبعد مدة اخبروه بحالتهم وشكوا اليهِ ما اصابهم من الفقر والفاقة. فلما سمع الفيلسوف قصتهم رثى لحالهم واعطى كلاً منهم خاتماً وقال لهم: ضعوا هذه الخواتم على رؤوسكم فيقع كل خاتم عن راس صاحبهِ الى الارض وفي اي محلٍ وقع كل من هذه الخواتم فليحفر صاحبهُ في ذلك المحل فيجد فيهِ ما يستحقهُ من كرم الله تعالى واذا اراد احدكم ان يشرك صاحبهُ معهُ فلا مانع واذا اردتم ان تتشاركوا كلكم فلا باس من ذلك فاخذوا

هذه الخواتم وشكروا الفيلسوف على انعامهِ وساروا مسافرين وبينما كانوا سائرين في الطريق وقع خاتم احدهم عن رأسهِ فحفر في المحل الذي وقع فيهِ فوجد معدن نحاس فقال لرفقائهِ هل تريدون ان تشاركوني فيما لقيتهُ فاجابوه: لا لان كلاًّ منا يطلب نصيبهُ فتركوه وساروا في طريقهم ثم بعد برهةٍ وقع خاتم الثاني فحفر في ذلك المحل فوجد معدناً من الفضة فطلب من رفيقيهِ ان يشاركاه فامتنعا وتركاه وسارا في سبيلهما ثم وقع خاتم الثالث عن رأسهِ فحفر في المحل الذي وقع فيه الخاتم فوجد معدناً من الذهب فدعا حينئذ رفيقهُ الى مشاركته فيه فأبى وقال لهُ ان خاتمي لم يقع للان عن رأسي فمتى وقع فلا ريب انني اجد كنزاً من من الحجارة الثمينة . قال هذا وترك صاحبهُ وسار في الطريق وبعد ايام وقع خاتمهُ عن رأسهِ فحفر في ذلك المحل فوجد معدناً من الحديد فحينئذ هبطت على عقله دهشة احبطت امالهُ فندم لعدم مشاركة رفقاءهُ بما وجدوا فترك معدن الحديد ورجع يفتش على رفيقهِ الاخير فلم يجدهُ فازداد حزناً وكدراً لخيبة امله وعاد الى الفيلسوف الذي اعطاهُ الخاتم ليخبره بما كان من امرهِ فوجده قد مات وكانت وفاتهُ قبل وصولهِ بيوم واحد فوقع في حالة اليأس وعزم على الرجوع الى المعدن الذي وجدهُ فعاد الى ذلك المحل واخذ يفتش مدة طويلة فلم يجد شيئاً فرجع خائباً وكان من الخاسرين

فالان يا قمر السكر اكتفي بما حصلتِ عليهِ واذا طمعتِ باكثر من ذلك فتخسرين ما في يدك فقومي في هذه الساعة واذهبي الى حبيبك . فاجابتهُ قمر السكر: ايها الببغاء لقد صدقت فيما نطقت الا انني لم ازل استصعب الوصول الى حبيبي وهذه الصعوبة حيرت افكاري. فاجابها الببغاء: اذا كانت المحبة بينكِ وبين الامير متبادلة فلا شيء اسهل من نوال الوصال لان كلاًّ منكما يرومهُ وسوف تنالينهُ كما نال ذلك الشاب البغدادي وصال معشوقتهِ الابنة الصينية رغماً عن الموانع التي حالت دون بغيته فسالتهُ قمر السكر : وما هي هذه الحكاية

حكاية

قال الببغاء انهُ كان في مدينة بغداد شاب يتعاطى التجارة فاقتنى غنى وافرًا ومالًا لا يحصى فيومًا ما نظر جارية صينية جميلة المنظر فابتلى بحبها وفي الحال اشتراها بمال وافر واخذ يصرف ما لهُ عليها بكل تبذير حتى نفذ كلما كان يملكهُ واصبح اجوع من زوالة . فيومًا ما قالت لهُ زوجتهُ انك لقد صرفت مالك جزافًا والان اصبحت فقيرًا محتاجًا والفقر المدقع هو الموت الاليم فاي لذة تنال من الوصال اذا بقينا على هذه الحالة التعيسة فاريد الان ان تبيعني وتجر بثمني فان يسر الله لك ربما استرجعتني والا فانا راضية بالهلاك ان لم اطق لوعة الهجر مدةً تمكنك من استردادي من الشاري فارتضى زوجها بذلك لان الضرورة الجأتهُ اليهِ وفي اليوم الثاني اخذها الى المدينة وباعها الى تاجر هاشمي كان قد اتى من البصرة الى بغداد بالف دينار فقبض ثمنها ورجع الى بيتهِ وقضى ذاك النهار بالبكاء والنحيب ولما اتى الليل ولم يرَ في حجرتهِ تلك الشمس المنيرة التي كان البيت يضيء بنورها ضاق صدرهُ وعيل صبرهُ وعنَّ لهُ ان يرجع الى الشاري ليسترد مبيعهُ منهُ فقام عند انتصاف الليل واخذ يفتش على التاجر الهاشمي فلم يجدهُ فغلب عليهِ النوم فنام في الطريق والدنانير في جيبهِ

هذا وكان احد اللصوص يراقبهُ فلما راه غارقًا في سبات النوم دنا منهُ وسرق الدنانير من جيبهِ وفرَّ هاربًا فلما افاق الشاب البغدادي من نومهِ تفقد كيس الدنانير فلم يجدهُ فاخذ يبكي وينوح اذ لم يعد في وسعهِ ان يسترد مبيعهُ فذهب الى جبلٍ شامخ وقام فيهِ وهو في حالة اليأس والكدر

واما ما كان من امر التاجر الهاشمي فانهُ اخذ الجارية وسافر بها الى مدينة اخرى غير انها كانت دائمًا متحسرة متاسفة وتقول لا عطر بعد عروس فتبدل فرح الهاشمي حزنًا وراحتهُ محنةً وكثيرًا ما طلب وصالها فتمنعت حتى انهُ لم يستطع ان يملي نظرهُ من رؤيتها فصار يسافر بها تارة برًا وتارة في البحر

محاولاً بذلك تسليتها واما هي فلم ترد ان تتعزى بل كان حزنها يزداد يوماً بعد يوم ففي آخر الامر ضجر التاجر من عويلها وحلف لها بان يردها الى بائعها متى نظره وان لم يرد له الثمن

واما الشاب البغدادي فقضى كل هذه الايام يفتش على محبوبته متنقلاً من جبل الى آخر ومن وادٍ الى وادٍ حتى وصل الى ارياف البحر فوجد سفينة فيها كثير من الركاب فانحدر اليها ودخل معهم وكان بالقضاء والقدر ان التاجر الهاشمي كان في هذه السفينة مع جاريته الا انهما لم ينظرا الشاب البغدادي وهو لم يدرِ بهما فمضت على هذا المنوال بضعة ايام . ففي ذات ليلة دعا الهاشمي جاريته وامرها ان تعزف له بالطنبور فاخذت تعزف فصلاً محزناً يشير الى اهوال العشق وفراق الاحباب حتى ابكت جميع الحاضرين ثم تركت الطنبور واخذت تنوح فعلم البغدادي بان محبوبته في السفينة فكتم سرهُ وصبر ليرى ما يكون من امرها

ففي اليوم الثاني خرج الركاب الى البر ليتاروا زاداً وماء فاغتنم البغدادي هذه الفرصة واخذ الطنبور فشدهُ واحكم اوتاره على منوالٍ كانت الجارية قد تعلمته منه فلما كان المساء دعا الهاشمي جاريته وامرها ان تعزف بالطنبور فلما ضربته باصابعها عرفت ان الذي حكم اوتارهُ هو حبيبها البغدادي ففي الحال رمته من يدها وهتفت صارخة : الله اعلم ان حبيبي في هذه السفينة . فاجابها الهاشمي : ان وجدناه في السفينة فانا اردكِ اليهِ لامال الثواب في الاخرة قال هذا واخذا يفتشان عليهِ في السفينة فوجداه فدعاه التاجر اليهِ وقال له : ايها الفتى ها هي جاريتك اردها اليك شرعاً واختياراً لانني لم ارَ حباً اشد من حبكما ثم اعلم انني والله لم امسها قط بيدي ولم اتمكن من روية وجهها والان قد وهبتك اياها وثمنها ايضاً فذق من لذة وصالها ما كنت تتوق اليهِ وتذكرني ما دمت في قيد الحيوة فتحير جميع الحاضرين من محبة هذين العاشقين واندهشوا من كرم الهاشمي ومروته وبعد ذلك سال

الهاشمي الشاب البغدادي عما جرى له فاجابة : اعلم يا سيدي انني كنت من اعظم تجار بغداد فانفقت كل ما املك على هذه الجارية ولما فرغت يدي بعتها منك الا انني لم اطق لوعة فراقها فذهبت عند انتصاف الليل افتش عليك لاستردها منك فنمت على الطريق فسُرق الثمن مني بدون ان اشعر بالسارق

فلما سمع الهاشمي قصتهُ لم يتمالك من البكاء ثم نظر اليهِ وقال لهُ : فلتطب نفساً لان لا ولد لي وعندي من المال ما يكفيني ويكفيكما اعواماً عديدة قال هذا واخذ الجارية بيدهِ وسلمها لهُ ففرح العاشقان فرحاً عظيماً وشكراه على كرمهِ ومروّتهِ وقضيا بضعة ايام في السفينة على احسن حال واتم منوال . فيوماً ما خرج الركاب الى البر ليمتاروا ومن جملتهم الشاب البغدادي الا انهُ انعاق لقضاء حاجتهِ وكان الركاب قد اجتمعوا في السفينة فسافرت بهم ولم تنتظره فلما رجع الى شاطئ البحر ولم يجد السفينة اخذ يبكي ويمزق ثيابهُ حتى اضحى في حالة اليأس

فلما وصل الهاشمي الى البصرة قال للجارية : قد عاهدتكِ ان اردك الى محبوبكِ وان اهبهُ كل ما املك ولكن فقد قضت التقادير بفقد هذا المحب العزيز فاطلبي مني الان ما تريدينهُ فيعطى لك فاجابتهُ : اسالك يا مولاي ان تبني لي معبدًا وفي وسطهِ قبر باسم الشاب البغدادي لاقضي ما بقي من حياتي في هذا المعبد منعكفة على العبادة ومتى حان اجلي ارجوك ان تدفنني في هذا القبر . فاستجاب التاجر رجاءها ووعدها باتمام مرغوبها

واما الشاب البغدادي فبقي على شاطئ البحر ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع مرت من هناك سفينة فرست في ذلك المحل وخرج الركاب الى البر ليستقوا فسافر معهم في السفينة وبعد ايام وصل الى البصرة فاخذ يسال عن بيت الهاشمي فاهتدى اليهِ بعد العناء والتعب فلما رآه التاجر استقبلهُ بكل ترحاب واخبرهُ بان معشوقتهُ عندهُ وقص عليهِ ما كان من امرها ثم احضرهُ اليها فلما رأتهُ انطرحت على عنقهِ واخذ كل منهما يبكي من شدة الفرح ويشكو من الم

البعاد واما التاجر الهاشمي فانهُ انجز وعده وبنى لها مسكنًا عظيماً واعطاها مالاً وافرا وما فتيء يواصلها بالاحسان حتى اتاها هادم اللذات ومفرق الجماعات

فلما انتهى الببغاء كلامهُ نظر الى قمر السكر وقال لها : اذا كانت المحبة متبادلة بينك و بين الامير مثل محبة هذا الشاب وجاريته فلا بد من ان تدركا غايتكما فقومي في هذه الساعة واذهبي اليهِ ومتى حظوت بمقابلته احفظي الحشمة والادب اذ بدونها لا لذة من وصال الامراة واذا كانت الامراة مزدانة بكرم الاخلاق فلا شيء الذ من وصالها وقد اكدوا ان الامراة اذا كانت حميدة الاوصاف فتزيد عمر رفيقها والعكس بالعكس فاجابتهُ قمر السكر : ما معنى هذا الكلام هل ان الحيوة تقبل الزيادة والنقصان وما الذي اوجب اختصاص النساء بذلك اي بتطويل الاعمار وتقصيرها فاجابها الببغاء ان العمر من حيث كيانه الطبيعي لا يقبل الزيادة والنقصان ولكن فمعنى الزيادة هنا الصحة والراحة فاذا كان للرجل زوجة جميلة المنظر مهذبة الاخلاق فيصرف حياتهُ باعظم لذة واتم هناء واذا كانت بعكس ذلك فلا يجد في عمرهِ قط راحة وكفى على ذلك شاهدًا حكاية ذاك الشيخ المسنّ فسالتهُ قمر السكر : وماهي حكايته

حكاية

قال الببغاء : ان فلاحًا كان يومًا ما يفلح ارضهُ فنظر بغتةً حلقة من حديد معلقًا بها حجر كبير فرفعهُ بكل عناء فوجد مخزنًا كبيرًا فدخلهُ فرأى فيهِ كمية وافرة من الحنطة وكان حبها كبيرًا بقدر ثمر النخل فاخذهُ العجب من ذلك وذهب الى والي البلدة واخبرهُ بالكيفية فتعجب الوالي غاية العجب و بعث يخبر الملك بذلك وارسل لهُ انموذجًا من الحنطة فلما وصل الكتاب الى الملك ورأى الحنطة اخذهُ العجب والاندهال فجمع وزراءهُ واركان دولتهِ واراهم الحنطة . فتعجبوا جميعهم من ذلك غاية العجب فقال لهم الملك هل لا يوجد من يعرف باي زمنٍ زُرع هذا القمح . . . هذا وكان للملك

نديم على غاية من الفطنة والدراية فاجابهُ : يا مولاي ما من احد يعرف ذلك الأَشيخ قد طعن في السن وهو موجود الان في المدينة الفلانية التابعة هذه المملكة . فاستصوب الملك وسائر الحاضرين كلامهُ واعطوا احد الجنود انموذجًا من الحنطة وارسلوهُ الى الشيخ المار ذكرهُ ليسأ لهُ عن ذلك فبينما كان هذا الجندي سائرًا في الطريق التقاه احد اصدقائهِ فسالهُ الى اين ذاهب فاخبرهُ الجندي بحقيقة امرهِ فقال لهُ صاحبهُ : الحمد لله الذي يسر لي لقاءك لانهُ عرض لي بعض مشاكل اريد حلها من الشيخ الموما اليهِ لانهُ على جانب عظيم من الحكمة فاكلفك ان تسألهُ عنها بعد ان يجيبك على سوال الملك فقال لهُ الجندي : سمعًا وطاعةً فما هي هذه المسائل . فاجابهُ صاحبهُ : السوال الاول هو ان الانسان متى طعن في السن يبيض شعر راسهِ ولحيتهِ فلماذا صار اختصاص ذلك بالبياض دون غيرهِ من الالوان : السوال الثاني هو ان كلاً من الذكر والانثى يجد في الجماع لذة متساوية فلاي سبب يكون الرجل اشد وفاءً من الامرأة والسوال الثالث هو ان الرجل اذا شاخ واشتعل راسهُ شيبًا فيزداد هيبةً وجمالاً وبعكس ذلك الامرأة فما هو سبب ذلك فهذه هي المسائل التي اروم اجوبتها . قال هذا وودعهُ وسار في طريقهِ

واما الجندي فلم يزل سائرًا حتى وصل الى المدينة المعينة واخذ يسال عن الشيخ حتى اهتدى اليهِ فاذا هو نحيف الجسم قد خاطهُ الشيب فعرض عليهِ سوال الملك واراهُ الحنطة التي اتى بها فاجابهُ الشيخ : يا بني لا اعلم باي زمن نبت هذا القمح غير ان لي في هذه المدينة التي تراها من هنا اخًا اكبر مني سنًا ومعرفة فاذهب اليهِ واسالهُ عن ذلك . فودعهُ الجندي وذهب الى تلك المدينة فاهتدى الى الشيخ الموما اليهِ فاذا هو شاب ذا اللحية سوداء كانهُ اصغر سنًا من اخيهِ فتعجب من ذلك غاية العجب وعرض عليهِ مسالة الملك واراهُ القمح فاجابهُ : يا بني انني والله عاجز عن حل هذه المسالة غير

ان لي في هذه المدينة القريبة من هنا اخاً اكبر مني سناً فاذهب اليهِ واسالهُ عن ذلك فقام الجندي وذهب الى هذه المدينة فعثر على الشيخ الموما اليهِ فاذا هو شاب جميل الصورة اشد نضارةً من اخويهِ المارّ ذكرهما فاندهش من ذلك وقال في نفسهِ سبحان الله كيف ان ذلك الشيخ قد قال لي ان هذا هو اخوهُ الاكبر حالة كونني اراه اصغر سناً من اخويهِ فهذا من اغرب الامور قال هذا وسلم عليهِ وعرض عليهِ مسالة الملك واراهُ الحنطة فتفرّس الشيخ فيها وقال لهُ: يابني ان هذا القمح انبتتهُ الارض قبل عصرنا هذا بمائة سنة وقد رزقهُ الله لطائفة من الناس كانت على جانب عظيم من البر والصلاح فمنحهم الاله المنان مواهب عظيمة جزاء لافعالهم الحميدة ومن حكاية مشتري البيت مع بائعهِ تعلم درجة صلاحهم فسالهُ الجندي: وما هي هذه الحكاية

حكايــة

قال الشيخ . في ذلك الزمان باع رجل بيتهُ من اخر فاستلمهُ المشتري واخذ يرممهُ ويصلحهُ فوجد في عرصتهِ حباً كبيراً مملوءاً ذهباً ففي الحال اخذه الى البائع وقال لهُ: يااخي انني قد وجدت في البيت الذي اشتريتهُ منك حباً مملوًا ذهباً فها هو خذه لانهُ مالك فاجابهُ البائع: يا اخي انني قد بعتك بيتي بكل ما فيهِ منظوراً كان او غير منظور فمن ثم يكون هذا الكنز داخلاً في مشتريك ولست انا الذي دفنتهُ في هذه الارض حتى استحقهُ واما المشتري فلم يقنع بذلك بل اشتد بينهما الخصام حتى افضى بهما الى رفع دعواهما الى الملك فقدما لهُ عرضاً وطلبا منهُ فصل الخصومة فاستحضرهما الملك بين يديهِ فقصا عليهِ ما كان من امرهما ولم يرتضِ احدهما باخذ الحب ولم يشأ الملك ايضاً ان ياخذهُ ففي اخر الامر سالهما الملك هل لكما اولاد فاجاب البائع يامولاي ان لي ولداً واجاب المشتري ان لي ابنةً فعند ذلك قال لهما الملك : زوجا الابنة للغلام وخذ انت ايها الشاري نصف الذهب جهازاً لابنتك والنصف الثاني ياخذه البائع لينفقهُ في عرس ابنهِ فارتضى المتداعيان بهذا الحكم وفي الحال انتهى

الخلاف من بينهما وفعلا كما امرهما الملك

فمن هذا يظهر يابني ان هذا القوم كان على جانب عظيم من البر والصلاح ولهذا السبب منحهم الله اعظم المواهب فلما سمع الجندي جوابه عزم على الرجوع غير انه تذكر المسائل التي عرضها عليه صديقه الذي صادفه في الطريق فعرضها على الشيخ وسأله ان يجيبه عنها فاجابه : هذا الجواب السوال الاول ان الانسان متى طعن في السن يستحيل شعره الى البياض لا الى غير ذلك من الالوان لان الانسان حينما يكون في نضارة شبوبيته يكون شعره اما اسود واما اشقر فاذا شاخ وبلغ حد الكمال فيبلغ شعره ايضاً حد الكمال وكل شيء بلغ الكمال قارب النهاية والزوال وزوال الشعر يكون بانعكاس لونه ومن المقرر ان عكس الاسود هو الابيض ويوجد ايضاً سبب اخر وهو انه كما ان سواد الشعر او شقرته هو علامة الشيبوبة فكذلك المشيب هو من علامات الشيخوخة لانه من مكملات الهيبة والجلال اذ هو اللون المحبوب الدال على الطهارة والنقاوة

والجواب عن السوال الثاني ان الرجل والامرأة يلتذان بالجماع لذة متساوية ومع ذلك فقد خص الرجل دونها بالوفاء والوداد لان الامرأة متى تزوجت تصبح عرضة للعوارض النفسانية كالرحم والحبل والولادة . وزد على ذلك اشتغالها في امور بيتها فهذا كله مما يقلع من فوادها بعض الشعائر الانسانية ولهذا تكون الامرأة غالباً عديمة الوفاء واما الرجل فلم يقسم له الباري تعالى شيئاً من الاعراض المار ذكرها ولهذا خصه بالوفاء والوداد لتسوية الاختصاص بين الرجل والامرأة

والجواب عن السوال الثالث هو ان الرجل اذا شاخ لا يزول حسنه بخلاف الامرأة لانه من المقرر ان الله تعالى خلق الرجل من التراب وخلق الامرأة من جنبه وحيث ان التراب لا يزول بتقادم الزمان بل يبقى على حاله فكذلك الرجال الذين فطروا منه واما النساء فقد خلقن من اللحم

قد تصدقت بما لك على الفقراء لوجه الله الكريم فقد رضي الله عنك لانه قيل: من جاء بالحسنة فلهُ عشر امثالها . وعليهِ فقد اعد الله لك في الآخرة مقاماً عليًا و يسر لك في هذه الدنيا اوفر الخيرات وسخرني لك ونهار غد اظهر لك بصورة برهمي فخذ بيدك عصا واضربني بها حالاً على راسي فاموت فعند ذلك خذ جثتي وضعها في اجمل مكان ومتى لزمك شيء من المال فاقطع منها قدر ما تشا فيستحيل ما نقطعهُ ذهباً خالصاً غير انهُ يجب عليك ان تحفظ هذا السر في طي الخفايا. قال هذا وتوارى عنهُ

وفي اليوم التالي ذهب هذا التاجر الى دكان حلاق ليحلق شعر لحيتهِ فظهر لهُ اذ ذاك الشيخ الذي نظره في الحلم بصورة برهمي فوثب عليهِ التاجر وضربهُ بالعصا على راسهِ فوقع على الارض ميتاً واما الحلاق فاخذهُ العجب من هذا الامر فعند ذلك اخذ التاجر سكيناً وقطع من جسد البرهمي قطعاً كثيرة واعطاها الى الحلاق فلما تفرس فيها وجدها ذهباً فازداد حينئذٍ تعجبهُ واما التاجر فوضع الجثة في كيس واوصى الحلاق بان يكتم هذا الامر واخذ الكيس واتى بهِ الى بيته

واما الحلاق فلشدة غباوتهِ ظن بان كلما قتل برهمي تصير جثتهُ ذهباً فلذلك اقام يوماً ما في بيتهِ وليمة ودعا اليها اصحابهُ ومن جملتهم رجل من البراهمة فلما وفد البرهمي الى محل الوليمة وثب عليهِ الحلاق واخذ بيده عصا وضربهُ بها على راسهِ فوقع على الارض ميتاً فلما راى الحاضرون ذلك غضبوا على الحلاق فقبضوا عليهِ وربطوهُ وسلموهُ الى الحاكم فلما مثل الحلاق بين يديهِ سالهُ عن سبب ارتكابهِ هذا الاثم الفظيع فاخبره الحلاق بما فعلهُ التاجر المتقدم ذكره وانهُ اراد ان يقتدي بهِ فعند ذلك استحضر الحاكم التاجر المومأ اليهِ وسالهُ عما قرره الحلاق فلما راى التاجر بان سرهُ قد شاع اعتصم بالحيلة وقال للحاكم: يا مولاي هل من عاقل مميز يصدق هذا الكلام لانهُ هل يتصور ان جسد الانسان يصير ذهباً بواسطة الضرب وقد كنت اعهد هذا الحلاق

قمر السكر مسرعة نحو الباب فرأت قد طلع الصباح واشرقت الشمس على الهضاب والبطاح فعادت الى حجرتها حزينة كئيبة واذ لم تنل مرادها اجلته الى الليلة التالية وقضت ذاك النهار بفروغ صبر ولما وفد المساء اتت قمر السكر قبل الوقت الذي اعتادت ان تأتيه فعلم الببغاء ان نار الهوى غلبت عليها فاغمض عينيه وتظاهر بالرقاد فلما نظرته قمر السكر على هذه الحالة هتفت صارخةً باعلى صوتها: ايها الببغاء المغفل انك لخلوك من الم العشق تقضي اوقاتك بالنوم والراحة ومع ذلك كله فانك تدعي المساعدة لي لتنقذني من بلواي الا ان قولك لا يطابق افعالك لانك غير مبالٍ بعشقتي ومحنتي وقد عجبت غاية العجب كيف امكنك ان تنام النهار كله مع انني لم اذق قط لذة الوسن لشدة ما اصابني من الم البعاد ثم تنهدت وانشدت: شعرٌ

أمن المروّة ان ابيت مسهدًا   ارقًا ابل ملابسي بدموعي
وتبيت ريان الجفون من الكرى   وابيت منك بليلة الملسوعِ

فعند ذلك فتح الببغاء عينيه ونظر الى قمر السكر وقال لها: لماذا تقولين انني جاهل احوال العشق والغرام فتعالي لنتداعى على حقيقة ذلك ونرى من هو اشد عشقاً من الاخر فانتِ منذ ما ابتليت بالعشق والغرام قد عيل صبرك واما انا فمنذ بلغت سن الرشاد لم ازل صابرًا على اهوال العشق هذا فضلاً عما عانيته من حسرتك التي اذابت فوادي كمدًا وهذا لا ريب فيه لانك تعلمين كم يهمني امرك ولهذا السبب كنت غارقًا في بحر التفكر لما اتيت اليَّ فظننتني نائمًا مرتاحًا مع انني لم اذق قط لذة الرقاد بل كنت مفتكرًا بعواقب الامر وناظرًا الى اسرار الحكمة التي اهبطت اليَّ من العلا فمنها ما يمكني ايضاحه ومنها ما يجب كتمه وقد أُلهمت والله اعلم ان زوجك ياتي قريبًا فخفت من ان يحول رجوعه بينك وبين مرامك فتضحين مخجولة من معشوقك كما خجلت زوجة الزاهد من زوجها فسالته قمر السكر وكيف كانت حكايتها

حكايـــة

قال الببغاء : انهُ كان في عهد بني اسرائيل زاهد منقطع لله تعالى الا انهُ كان على جانب عظيم من الفقر والفاقة وكان من عادتهِ ان يخرج كل يوم الى شوارع المدينة يتسول من الشاردين والواردين ليحصل قوتهُ الضروري فيوماً ما حينما كان يتسول نظر بغتةً رجلاً اتياً اليهِ فلما دنا منهُ قال لهُ : ايها الزاهد هل تريد ديناراً واحداً من مالي الحلال او عشرة من مالي الحرام فاجابهُ الزاهد. ياسيدي لا ارتضي بالف دينار من المال الحرام واقنع بدينار واحد من المال الحلال فسر الرجل بكلامهِ واعطاه ديناراً وانصرف عنهُ

فاتي الزاهد الى المدينة فراى رجلاً معهُ طائر غريب فاحبهُ الزاهد ورغب في قنيتهِ فتقدم الى صاحبهِ وسالهُ عن جنس هذا الطائر وعن ثمنهِ فاجابهُ ان هذا الطائر يسمى مرغ هفت رنك وثمنهُ دينار واحد فعند ذلك اشتراه الزاهد بالدينار الذي كان معهُ واخذهُ الى بيتهِ فرحاً مسروراً

وكانت زوجتهُ تنتظر رجوعهُ بفروغ صبر لتسد جوعها مما يتسولهُ فلما رجع اليها فارغ اليدين واخبرها بانهُ اشترى طائراً بدينار واحد ذهب فيها الغيظ كل مذهب واخذت توبخهُ وتقول لهُ : هلاَّ كفاك فقرنا واحتياجنا حتى اقتنيت لنا طائراً يحتاج الى النفقة مثلنا ولا منفعة منهُ. قالت هذا واخذت تبالغ في اهانتهِ وشتمهِ غير انها حيث كانت جميلة جداً فلم يستأ زوجها منها بل تحمل اهانتها بطيبة قلب فوضع الطائر في قفص وعلقهُ في الحائط فعند المساء تنفض الطائر في قفصهِ فتقدم الزاهد اليهِ ليرى ما اصابهُ فرأى في القفص جوهرة ثمينة وقعت من جناحي الطائر فاخذها الى المدينة وباعها بمائة دينار فاشترى كلما يعوزه من لوازم البيت ومن ذلك الحين اطلق الطائر من قفصهِ فكان يطير منهُ ويغيب كل النهار وعند المساء يرجع الى بيت الزاهد وفي منقاده زمردة ثمينة وبقي على هذه الحالة اياماً عديدة وكان الزاهد يبيع كل زمردة منها بدينار فجمع من ذلك مالاً وافراً وزد على ذلك ان زوجتهُ

كانت عاقرًا فبعد ان اشترى الطائر حبلت وولدت ولدًا ذكرًا ففرح بهِ ابوهُ فرحًا عظيماً وسماه فريدًا واحضر لهُ ظئرًا لتربيتهِ وتحرس طفوليتهُ وبعد ذلك عزم على الحج ليشكر الله تعالى على انعامهِ فدعا زوجتهُ وقال لها بحيث قد عزمت على الحج فاوصيك بهذا الطائر الذي كان سبب غبطتنا وسعادتنا فاحسني الالتفات اليهِ والى ابني العزيز الذي اودعك اياه حال غيابي ثم ودعها وسافر الى المدينة المنورة

واما ما كان من امر زوجتهِ حال غيابهِ فانها ضجرت من الاقامة في البيت فخرجت يومًا ما الى المدينة فرأت شابًا يتعاطى الصرافة فلما نظرت ما هو عليهِ من الجمال شغفت بهِ وصارت تأتي كل يوم وتقف امام حانوتهِ لتروي غليل فؤادها من مشاهدتهِ فيومًا ما اشتد عليها الغرام فعيل صبرها وفي الحال بعثت تدعو الصراف الى بيتها فاتى اليها ولما راى حسنها وجمالها هام بحبها واستحكمت بينهما رباطات الحب والوداد حتى صار الصراف يأتي اليها كل يوم ويواصلها فيومًا ما اخذت تخبره بما كان من امر زوجها مع هذا الطائر وكيف كان سبب سعادتها فلما سمع الصراف كلامها ذهب الى احد اصدقائهِ الذي كان ممتازًا بالفطنة والدراية واخبرهُ بقصة الطائر فقال لهُ صديقهُ لا تتعجبنَّ من ذلك لانهُ وان يكن هذا الطائر ذا فائدة عظيمة في حياتهِ فان فائدتهُ بعد موتهِ اعظم لان من اكل راسهُ يصير ملكًا او وزيرًا فلما سمع الصراف كلام صاحبهِ تمنى ان ياكل راس الطائر فذهب حسب عادتهِ الى بيت الامراة وطلب منها ان تذبح الطائر وتطعمهُ اياه مشويًا فاجابتهُ الامراة: ان هذا الطائر كان سبب سعادتنا وثروتنا ومع ذلك فلا اضنّ بهِ عليك لاني مستعدة ان افديك بنفسي فهلمَّ اليَّ نهار غد فتجدهُ معدًا لغذائك فعند ذلك فرح الصراف فرحًا لا يوصف ورجع الى بيتهِ

فلما كان اليوم الثاني بكرت زوجة الزاهد فذبحت الطائر ووضعتهُ في اناءٍ لتطبخهُ فلما نظرهُ ابنها على هذه الحالة وكان يحبهُ حبًا شديدًا طفق يبكي وينوح ولم تستطع امهُ ولا مرضعتهُ ان تسكتهُ فقالت الظئر لامهِ ان تعطيهُ

قطعةً من لحم الطائر فلعلهُ يسكت فاجابتها الام : اذا اعطيتهُ ذلك فلا يعود الباقي يكفي الصراف فاجابتها المرضعة : اذن اعطيهِ راس الطائر فاعطتها اياه وقالت لها خذيهِ واطعميهِ للولد فاخذتهُ الظئر حالاً واطعمتهُ للولد فكفَّ عن البكاء وسكت ثم بعد ذلك اتى الصرّاف بيت معشوقتهِ فاستقبلتهُ بكل ترحاب وقالت لهُ : لقد ذبحت الطائر اكراماً لك وهيأتهُ لك طعاماً ثم احضرت المائدة بين يديهِ واتت بالطائر على صحن كبير فاخذ الصراف يفتش على رأس الطائر فلم يجدهُ فسأل الامرأة عنهُ فاجابتهُ ان رأس الطائر لا يؤكل بل ان اللازم منهُ للأكل هو جسده فقط فانني لما شويتهُ اخذ ابني يبكي فطلبت مني مرضعتهُ ان اعطيها الرأس لتطعمهُ للولد حتى يكف عن البكاء فاعطيتها اياهُ ولما اكلهُ سكت فلما سمع الصراف كلام الامرأة كاد يغيب عن الصواب من شدة الكدر والاندهاش فقام عن المائدة بدون ان يمد يدهُ اليها وخرج من البيت غاضباً واذ لم يسكن غضبهُ بوجهٍ من الوجوه اتى صاحبهُ المار ذكره واخذ يخبره منصلاً بما كان من امرهِ مع الامراة . فقال لهُ صاحبهُ لا تحزن يا اخي لان لذلك دواء سهلاً لانهم قد اجمعوا ان كل من يأكل راس الرجل الذي اكل راس هذا الطائر يصير ملكاً فلما سمع الصراف هذا الكلام بعث يخبر زوجة الزاهد بانهُ حيث طلب منها ان تطعمهُ راس الطائر فاطعمتهُ لابنها فيريد منها ان تذبح لهُ ابنها وتطعمهُ راسهُ ليدوم على صداقتها وان ابت فلا يعود ينظر الى وجهها ما دامهُ في قيد الحيوة

فلما بلغ زوجة الزاهد هذا الكلام غلبت عليها شهوة النفس فتعهدت لهُ بذبح ابنها واجابتهُ بانها صارت تنتهز فرصةً مناسبة لاتمام مرغوبهِ . فلما بلغ الصراف جوابها فرح فرحاً لا يوصف وصارت هي تترقب فرصة مناسبة لتذبح ابنها وتطعم راسهُ للصراف

واما الظئر فلم تلبث ان عرفت ما قصدتهُ سيدتها ففي ذات ليلة بينما كانت زوجة الزاهد غارقة في سبات النوم غادرتها الظئر نائمةً واخذت الولد

وهربت به من وجه امه وسارت حتى طلع الصباح فافضت الى مدينة عظيمة وفي اليوم الثاني سافرت منها الى مدينة اخرى و بقيت تسير ثلاثين يوماً متوالية تنتقل من مدينة الى مدينة حتى افضت الى عاصمة المملكة فاستاجرت فيها بيتاً واقامت فيه مواظبة على تربية الولد الذي كانت سبب نجاته

واما ما كان من امر زوجة الزاهد فانها استيقظت من النوم عند الصباح فلم تجد ابنها ومرضعته فاخذت تفتش عليهما فلم تجدهما فحزنت حزناً مفرطاً وقالت : يا لسوء حظي كيف يمكنني ان اعتذر للصراف الذي صرت الان اخشى شره واما الصراف فلم يلبث حتى بلغه الخبر فذهب الحزن فيه كل مذهب وابتدل حبه لزوجة الزاهد بغضاً واصابه من جرى ذلك مرض عضال اقتاده الى القبر

و بعد مدة رجع الزاهد من الحج فلم يجد ولده ولا ظئره ولا الطائر فقال سبحان الله ابن الطائر وابن الولد ومرضعته فنظرت اليه زوجته باكية وقالت له : ليفدوك جميعاً لانهم ماتوا حال غيابك واخلفوا لي حزناً جسيماً اضعف جسدي وقواي حتى صرت اشابه الخيال فعند ذلك حزن الزاهد حزناً مفرطاً واخذ يبكي و ينوح

واما ما كان من امر فريد فانه نما في العمر وولع بركوب الخيل والصيد فيوماً ما ركب جواده وذهب للصيد فمر تحت الكشك الذي كان يجلس فيه حرم الملك فنظرته ابنة الملك وكانت بديعة الجمال فكلفت به وابتلت بغرامه واما فريد فنظر بغتة الى الكشك فرأى هذه الابنة الفريدة الحسن فابتلى بعشقها وغرامها وشرع كلٌّ منهما يسعى في مداواة عشقه وكان فريد يركب كل يوم جواده محتجاً بالذهاب الى الصيد ويمر تحت الكشك ليرى الابنة المشار اليها التي كانت تنظره في الشباك لتتمتع بمشاهدته

و بقي فريد على هذه العادة اياماً كثيرة فيوماً من الايام مر كجاري عادته تحت الكشك فدعته الابنة وكان قد عيل صبرها وقالت له : اعلم يا صاح

ان ابي قد طعن في السن وليس له وارث سواي ولذلك يحبني حباً مفرطاً ومهما طلبت منهُ فلا يرفض طلبي وكان يبحث لي على شاب جميل الصورة ليزوجني منهُ الا انهُ اخيرًا علق نكاحي بشرط خدمة يجب تقديمها له واشرط ذلك على نفسهِ امام وزرائهِ ورجال دولتهِ وبدون ان تتم هذه الخدمة فلا يزوجني من احد واعوذ بالله من ان اكلفك بها او ان اخبرك عنها لانها ذات خطر مبين وقد هلك بها كثير من الشبان فسالها فريد وما هي هذه الخدمة فأبت ان تخبرهُ بها وبعد ان الح عليها جدًا قالت له: انهُ يوجد في الصحراء الفلانية مرعى لخيل ابي فظهرت فيهِ افعى عظيمة اهلكت جانبًا وافرًا من الخيل وقطعت تلك السكة حتى لم يعد احد يتجاسر ان يمر فيها فتعهد ابي حينئذٍ بان يزوجني لمن يقتل هذه الافعى فاجابها فريد: يا سيدتي ان للانسان عمرًا مقدرًا منذ الازل فمن لم يحن اجلهُ فلا يموت ولو عرض نفسهُ للاخطار والمهالك وقد قال الله تعالى: واذا جاء اجلهم فلا يتاخرون ساعة ولا يستقدمون وعليهِ فاريد ان اذهب الى الافعى واحاول قتلها فان قتلتها نلت مبتغاي وان قتلتني فتذكريني ما دمت في قيد الحيوة لانني اكون قد مت شهيد حبك وغرامك قال هذا وصمم على مصارعة الافعى لينال بغيتهُ وودع الابنة والدموع تهطل من عينيها وذهب الى مرضعتهِ واستاذنها بذلك ثم اتى بلاط الملك واستأذنهُ ليذهب لقتل الافعى فلما نظرهُ الملك احبهُ حبًا شديدًا لجمال صورتهِ ونظر الى وزيرهُ وقال له: لو لم اتعهد بان ازوج ابنتي بمن يقتل الافعى لكنت الان ازوجها من هذا الفتى ولا يمكنني الان ان ارجع بوعدي لانهُ يجب على الملوك ان يفوا بوعدهم. واما انت فخذ هذا الفتى وانصحهُ ليعدل عن قصدهِ لئلا يهلك كما هلك غيرهُ فيخلف لي الحزن الشديد والكمد المديد وقل له ان يصبر لنرى ما يتم من قبل الله تعالى فلعل الافعى تموت حتف انفها فاخذ الوزير ينصح فريدًا حسب امر الملك فلم يذعن فريد لكلامهِ بل بقي مصرًا على ارادتهِ فخرج الى الصحراء بصحبتهِ اليها رجال الدولة واعيان

المملكة ولما دنوا من المحل المعهود اهدوا فريدًا الى المكان الموجودة فيه الافعى فعند ذلك استل فريد سيفهُ واخذ يفتش عليها وبقضائهِ تعالى وجدها نائمة فاغتنمها وضربها بالسيف ضربة قوية فقطعها شطرين ثم قطع راسها واتى به الى الملك فلما نظرهُ الملك ورجال الدولة بهتوا حائرين مندهشين واما عقلاء المدينة والعرافين فقد قالوا ان قتل هذه الافعى لم يكن بقوة بشرية بل ان قاتلها قد اكل راس الطائر المسمى مرغ هفت رنك. فسالوا فريدًا عن ذلك فاخذ يقص عليهم حكايتهُ مثلما سمعها من مرضعتهِ فلما سمعها العلماء والحكماء احبوه حبًا شديدًا واما الملك فقد فرح فرحًا عظيمًا من قتل الافعى ونجاة فريد من الخطر فزوجه ابنتهُ وتنازل له عن الملك واجلسهُ على سرير السلطنة لانهُ كان وقتئذٍ قد طعن في السن واضحى عاجزًا عن ادارة مهام المملكة

وبعد ان تبوأ فريد سرير الملك بعث يستحضر لديهِ اباهُ وامهُ والصراف المتقدم ذكره ليقتلهُ واما الصراف فكان قد مات من مدة طويلة واما الزاهد وزوجتهُ فخافا خوفًا شديدًا وقالا لبعضهما ماذا يا ترى يبتغي الملك منا فحضرا بين يديهِ وهما يرتعدان خوفًا وبعد ان سجدا له عرفهما فريد بذاتهِ وقلد اباهُ منصب الوزارة واقام مرضعتهُ رئيسة على حرمهِ ثم اختلا بابيهِ وامهِ واخذ يخبر اباهُ بما كان من امرامهِ اولاً واخرًا فخجلت زوجة الزاهد وخافت خوفًا شديدًا وقالت حقيق انني كنت احب الصراف الا ان حبنا كان طاهرًا ولم نرتكب قط فعلاً شنيعًا ومع ذلك كلهِ فانا تائبة نادمة على ما فرط مني ثم بعد ذلك قام فريد وقبل يدي والديهِ وطلب رضاهما وعاش معهما زمنًا طويلاً بالمسرة والحبور

فلما انهى الببغاء حكايتهُ هذه نظر الى قمر السكر وقال لها: ياسيدتي ان المقصود من هذه الحكاية ان لا تماطلي بالذهاب الى حبيبك لانهُ يحتمل رجوع زوجك قريبًا فيحول بينك وبين مرامك فتصبحين مخجولة من الامير مثل زوجة الزاهد المار ذكرها فاغتنمي اذًا هذه الفرصة واذهبي الى حبيبك فلما سمعت قمر السكر هذا الكلام قامت لساعتها مسرعةً نحو الباب ولما مدت

يدها لتفتحهُ فاذا بهِ يدق من الخارج بقضاء الله تعالى وحكمهِ ففتحتهُ لتنظر من قرعهُ فاذا هو زوجها ساعد راجعاً من سفرهِ فلما وقع نظرها عليهِ بهتت حائرة مندهشة لا تدري بماذا تتكلم . وبعد ان اطرقت هنيهةً قالت لهُ: الحمد لله ياسيدي الذي ردّك اليَّ سليماً سالماً فان الببغاء قد اخبرني بان قدومك يكون في هذه الساعة ولذلك تعصبت وتزينت واتيت لملاقاتك واما ساعد فلم يصدق كلامها غير انهُ حيث كان على جانب عظيم من الحكمة والدراية فلم يتعجل في الامر بل ذهب الى الببغاء وسألهُ عن احوال زوجتهِ حال غيابهِ فاجابهُ الببغاء : يامولاي انهُ لا يليق بالانسان ان يمدح نفسهُ الاَّ ان الضرورة تبيح المحرمات وبناء عليهِ اقول لك انني قد اتيتك خدمةً نصوحة لا يقدر احد على القيام بها وهي انني صنت عرضك من الدنس ومنعت زوجتك من ان تمد يدها الى المحرمات واعلم يامولاي ان الانسان يجب في الدنيا كلما يشتهيهِ الا ان صديقاً نصوحاً مثلي لا يتوقع في كل حين واما انا فلا اطلب منك عوضاً عن خدمتي لك لانني فعلت ذلك لوجه الله الكريم وانا راضٍ بكلما تتكرم بهِ عليَّ فان استحسنتَ اطلاقي من هذا القفص فاذهب الى اهلي واصحابي لاشاهدهم واحضر اليك في غالب الاحيان لاكمل خدمتي لك فهذا ما اريدهُ منك فان اجبت سؤالي فتوليني جميلاً لا انساهُ مدى الحيوة

واما ساعد فقد ارتاب بكلام الببغاء وقال لهُ : استحلفك بالله ان تخبرني بالواقع ايها الببغاء ولا تخفِ عليَّ شيئاً لانني اريد ان اعرف كلما جرى حال غيابي فعند ذلك اخذ الببغاء يقص عليهِ ببلاغة شائقة وفصاحة رائقة كلما كان من امر زوجتهِ من حين غيابهِ حتى رجوعهِ وقسم لهُ يميناً ان قمر السكر لم تاتِ قط فعلاً منكرًا ولم ترَ وجه الامير الذي عشقته وانهُ كان يمنعها مرغوبها بالحيلة والخداع فصدق ساعد كلامهُ وشكرهُ على خلوص حبهِ ووداده وعلى ما ابداهُ من الحكمة الفائقة في صيانة عرضهِ فاطلقهُ من القفص مكافاةً لهُ على خدمتهِ فذهب الببغاء الى البساتين وحظي بمشاهدة اهلهِ واصحابهِ وكان في

بعض الاحيان يأتي لزيارة سيده ليشاهده ويمده بنصائحه

واما قمر السكر فقد تابت واستغفرت زوجها عما بدا منها وتمكنت بينهما رباطات الحب والوداد وعاشا مع البيغاء بارغد عيش واتم هناء الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات وهذا ما انتهى اليه امر هذا التاجر وزوجته مع البيغاء فالحمد لله الذي لا ينتهي وبقيت هذه الحكاية عبرة للمعتبرين ونصيحة للمنتصحين فعلمت وافادت جميع العاشقين

هذا وارجو ممن طالع هذا الكتاب ان يغض الطرف

عن عيوبه ويصفح عن مؤلفه ويستر على ذنوبه

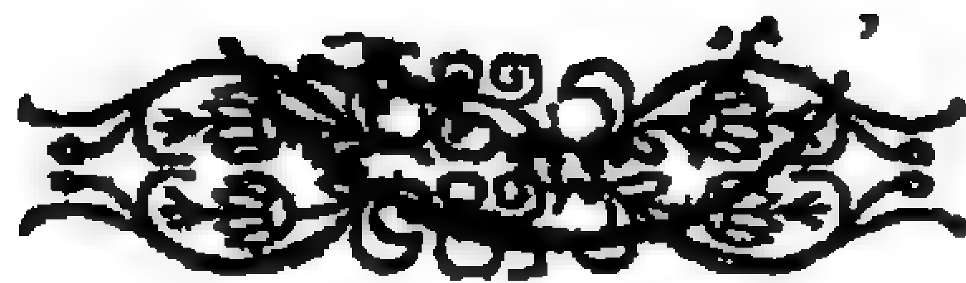
واسأل الله ان يجعله نافعاً لقارئيه ومفيداً

لمطالعيه واحمده اذ وفقني على التمام

لانه كما جود براعة المطالع

فقد احسن براعة

الختام





وجه	سطر	خطأ	صواب
١٣	٦	[illegible]	ما عن لكِ
١٨	١٥	بفائدات	بعائدات
٣٠	٧	ضور	خور
٣٢	٣	او يفادي	او يغادي
٤٠	١	وكانت حينئذ	وكانت الذئاب حينئذٍ
٤٣	١٩	لم تمر يدها	لم تمدّ يدها
٥٣	١١	ولم يعد يقف	ولم يعد ولم يقف
٥٣	١٦	فاجابتها العجوز ايها الامراة	فاجابتها الامراة ايتها العجوز
٦٧	١٤	لم يوخذ	لم يوجد
٧١	٢٤	جئتم شيئاً	جئتم شيئاً اداً
٧٤	١	تنكث	تنكب
٧٧	١٥	افطى	افضى
٨٧	١	ان وطناً	ان لي وطناً
٩٩	٢٠	ابديتموهُ	ابديته
..	٢١	وقد	قد
١١٤	٢٣	فسقياً	فسقياً لكِ
١١٦	١	خال الاجداد	خامل الاجداد
..	..	يا لفطنة	يا لعظمة
١٣١	٥	فصل فحامت	فصل الصيف فحامت

وجه	سطر	خطا	صواب
١٢٣	٣	اوجارها	اوكارها
١٤٠	٢١	وتكون	ولكن
١٤١	١٨	فرخ بخت	والصغير فرخ بخت
١٤٥	٣	عقاباً كبيراً	عقاب كبير
١٤٧	٢٤	قطرا لبحر	قعرا لبحر
١٦٣	١٤	برصد	برمد
١٦٦	٦	يدعوك	يدعو لك
١٦٦	٢١	المورخين	المورخون
١٦٦	٢٤	اقادة	انارة
١٧٣	١٠	وقاضوه	وقادوه
١٨٤	٢١	الراحة	الرحمة
١٩٠	٣	واذا رمقتة	اذا رمقتة
١٩٩	٢١	فهل كنت	فهل ما كنت



هذا وقد وجدنا بعض اغلاط طفيفة تركنا اصلاحها لنباهة المطالع

